

حبيبنا موقع فلا كلبي

لزيارة الموقع

اضغط هنا

مشاكل الطفل والمراهق النفسية

حمزة الجبالي



مشاكل الطفل

و

المراقبة النفسية

تأليف

حمزة الجبالي

دار المشرق الثقافي
عمان - الأردن

دار أسامة للنشر والتوزيع
عمان - الأردن

الناشر

دار أسامة للنشر والتوزيع

الأردن- عمان

ودار المشرق الثقافي

• الإدارة: هاتف: ٥٦٥٨٢٥٣- فاكس: ٥٦٥٨٢٥٤

• المكتبة: العبدلي: تلفاكس: ٥٦٥٨٢٥٣

• المكتبة: البلد: تلفاكس: ٤٦٤٧٤٤٧

ص.ب. ١٤١٧٨١

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

٢٠٠٦م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠٠٦ / ٤ / ٧٤٠)

٣٦٢,٨

الجبالي، حمزة

مشاكل الطفل والمراهق النفسية/ حمزة الجبالي. - عمان: دار

أسامة، ٢٠٠٦.

() ص .

ر.إ: (٢٠٠٦/٤/٧٤٠).

الواصفات : /المشاكل الاجتماعية//الأطفال//إعارة الطفولة/

تم إعداد بيانات الفهرسة وتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

مُكَلِّمَاتُ

الذي لا شك فيه ان هناك علاقة قوية بين التربية والصحة النفسية، حيث ان هدف التربية يجب ان يكون قائماً على تحقيق للصحة النفسية، لذلك لا بد ان تكون هناك علاقة وطيدة بين الطرفين.

والواقع ان المشاكل النفسية التي يتعرض لها الاطفال في سنواتهم الاولى تعود في اغلبها إلى اسباب متعلقة بالتغذية واخرى بالنوم وثالثة بالاسباب العصبية والنطق والاخلاقية والدراسية والجنسية.

فالتربية الناجحة تعتمد اعتماداً كلياً على الاستعدادات النفسية والعصبية لدى الاطفال، كما ان البيت والمدرسة أدواراً متكاملة في تحقيق هذه التربية المثالية.

لقد جاء هذا الكتاب ضمن موضوعات متعددة ابرزها:

- المشكلات المتعلقة بالتغذية.
- المشكلات المتعلقة بالاغصاب؟
- المشكلات المتعلقة بالنطق.
- المشكلات المتعلقة بالاخلاق.
- المشكلات المتعلقة بالدراسة.
- المشكلات المتعلقة بالجنس.

وقد حاولنا من خلال عرض هذه المشكلات السابقة الوقوف عند اسبابها التي أوجبتها، ومحاولة فرض الحلول المناسبة لحلها، لعلنا نحقق للهدف المرجو الذي اردناه من وراء هذا الكتاب.

وهذه الدراسة التي بين ايدينا هي دراسة مبنية على شواهد واستبيانات



مرجعها الواقع الذي يعيشه الطفل سواء اكان في المنزل ام في المدرسة.

والله ولي التوفيق

المؤلف





لا شك ان الطفل في سنواته الأولى يتعرض للعديد من المشاكل التي قد تسبب له اثارا سلبية وتكون في كثير من الأحيان مشكلة أثراً نفسياً في حياته المستقبلية، كما انها تترك أثراً في محيطه العائلي، وسنحاول هنا ان نوضح هذه المشاكل مع التطرق لاسبابها وطرائق حلها والتخلص منها.

أولاً: المشكلات المتعلقة بالتغذية

قد يسأل سائل: ما الصلة بين التغذية والصحة النفسية ؟ نعلم أن هناك فرقاً بين الأثر الناتج من إجابة الطفل إلى كل ما يطلبه من طعام وبأسرع طريقة ممكنة؛ وإجابته إلى بعض ما يطلب، وبشيء من عدم الهلع في الإجابة. يترتب على مثل هذه المواقف منذ اللحظة الأولى أساليب للسلوك يواجهنا بها الطفل، من هذه: أسلوب العنف والإلحاح، وأسلوب التحليل، وأسلوب الخضوع والتسليم. وأمثلة هذه التشنجات السلوكية أو الأساليب السلوكية قد تظهر مرتبطة بمواقف، ربما تبدو لنا بسيطة ضئيلة الأثر؛ كمواقف التغذية على اختلاف أنواعها.

ولكنها في الواقع تترك أثراً راسخاً عند التقدم في العمر. وعملية التغذية عملية هامة بالنسبة للطفل، إذ تكاد تكون الشيء الوحيد الذي يشغله في الأشهر الأولى، ويرجع أثرها إلى تكرارها مرات عديدة كل يوم، وإلى ارتباطها بذهن الطفل بالأم.

وهي أول شخص تتكون حوله عواطف الطفل. وتكون هذه العواطف مرتبطة بعملية التغذية والانفعالات المصاحبة في أثناء مواجهة مشكلاتها.

وهناك كثير من مشكلات السلوك تشق أسبابها من مناسبات تناول الطعام. وأساس هذه المشكلات هو طريقة اعطاء الطعام لطفلها وهي معاملات معينة، تكاد تكون ثابتة، من جانب الوالدين. ويرد الطفل على هذه المعاملات والمواقف بأسلوب أو أساليب معينة تكون في الغالب لا شعورية. ونظراً لأن طريقة تناول هذه تتكرر منذ ولادة الطفل مرات عديدة في كل يوم كما وترتبط

في ذهن الطفل بهذه المناسبات انفعالات الارتياح والتألم والتضايق وعواطف الحب وعواطف الكراهية؛ فإن الاحتمال قوى في أن يكون لمواقف تناول الطعام أثر ثابت في تكوين شخصية للطفل.

فإذا أخذنا عملية مص الثدي في الأشهر الأولى، نجد أنها أهم الخبرات الحيوية عند الطفل. ونجد أنه يقابل في مواقف الرضاعة مشكلات قد نستعين بها، وقد لا نشعر بها على الإطلاق؛ كتدفق اللبن أو قلته، أو عدم القدرة على المص لعدم ملائمة (الحلمة)، وما إلى ذلك. وقد يتوقف على طرق مواجهة لطفل مشكلات مواقف الرضاعة تكوين جانب كبير من طابع (الشخصية) الذي يلاحظه بعض الآباء، مما يسميه أتلر بأسلوب الحياة أو طابع السلوك^(١).

كذلك مواقف النظام لها مشكلاتها، ولها أزماتها عند الطفل. ويجب مقابلة هذه الأزمات بأسلوب يحل المشكلة، يمنع ظهور مشكلات أخرى في حياة الطفل. ولأجل أن تمر فترة النظام بسلام ينبغي التمهيد لها من الأشهر الأولى، بتمرين الطفل على تناول السوائل من ملعقة أو كوب، وأخذ بعض الأغذية التكميلية التي لا بد أن تستوفي شروطاً معينة.

وخلاصة ما تقدم إن تناول الطعام له أهميته الكبرى عند المستغلين بالدراسات السيكولوجية للأطفال في مراحل نموهم المختلفة مبتدئين في ذلك بالشهر الأول.

حالات

من النادر أن تعرض على العيادات السيكولوجية حالات أساس الشكوى منها صعوبات تتعلق بالتغذية فقط. ولكن تظهر صعوبات التغذية عادة - كغيرها من الصعوبات - ضمن مشكلات أخرى تكون في الغالب أكثر لفتاً لنظر القائمين

(١) Style of life



برعاية الطفل من مشكلات التغذية نفسها. وتظهر مشكلات التغذية ضمن مشكلات نوبات الغضب، والغيرة، والتأخر الدراسي، وفقدان القدرة على التركيز، وضعف الثقة بالنفس، والقلق النفسي، والإغراق في أحلام اليقظة، وما إلى ذلك.

لنأخذ حالة ولد كان في سن العاشرة من عمره، وكانت شكاوى والديه منه أنه خامل، خجول، عنيد، شديد الغيرة من أخوته، ولا يميل إلى العمل الدراسي، ميل إلى الكذب، وهو فوق ذلك كله يتأفف من الكثير من أنواع الطعام، وقد استرعى نظر والدته تأففه بنوع خاص من بعض الخضراوات الممتزجة أجزاؤها بعضها ببعض (كالقرع والسبانخ) وما شابه ذلك، وبعض أنواع الفواكه كالموز. فكان لا يكاد يمسك الموز بأسنانه حتى تظهر عليه علامات الاشمئزاز والتأفف، ويصرح ثم يقذفه من فيه. وكان يقبل على الأطعمة الواضحة الأجزاء كالبطاطس، وبعض النشويات، وبعض أنواع الحلوى، والبيض، واللين.

هذا النوع من الصعوبة موجود عند معظم الأطفال، وهو يختفي عادة مع التقدم في السن. ولكن اشمئزاز هذا الطفل يزداد مع تقدمه في السن. ولعل من أسباب ذلك أن الأم كانت تلجأ إلى طرق الإغراء المختلفة، وكانت أحيانا تلجأ إلى العقاب، حتى ترغمه على تناول ما لا يحب.

وقد يكون بعض صعوبات هذا الطفل - لا كلها - راجعا إلى مكانة الطفل في المنزل. فالأم تعلن أنها تحب البنات أكثر من البنين، وتفضل - بناء على ذلك - أخته عليه تفضيلا واضحا، لا مراعاة لشعوره فيه.

وحالة أخرى كانت الشكاوى الأساسية منها شدة الخجل، والحساسية للنقد، وفقدان الشهوة للطعام، وطول المدة التي يقضيها الطفل على مائدة الطعام مع تناوله قسما صغيرا جدا منه. وقد اتضح أن الوالد قلق على أولاده وعلى نوع ما يأكلونه وكميته إلى حد بعيد. ويحتمل أن يكون هذا القلق هو العامل الأساسي.



وليس هذا مجال تفسير قلق الوالد، وشرح نوعه وطريقة تأثيره في الابن. وحالة ثالثة أرسلت للعيادة لتأخر في النطق. وقد تبين في أثناء دراستها أن الولد يرفض كثيراً من أنواع الأطعمة. وهو فوق ذلك ميل إلى الكذب والمعادنة ومخالفة الأوامر. ولعل السبب في ذلك أن الولد يجاب كل طلب له إشفاقاً عليه. والبيئة غنية جداً بحيث يمكنها أن تلبي كثيراً من مطالبه. والولد لتأخر نطقه وسمعه وتأخره للعقلي العام يجد في إصراره على مطالب خاصة مجالاً طيباً لاثبات ذاته. وللولد مربية تعنى بأمره، وهي شديدة قاسية، مما يدفعه للمعادنة والكذب ومخالفة الأوامر.

ومن بين الحالات النادرة التي اتجهت الشكوى الأساسية فيها إلى قلة الإقبال على الطعام، حالة طفل في الرابعة من عمره، على جانب كبير من الذكاء - كما دل على ذلك اختبار ذكائه - جم النشاط والجرأة والظرف؛ إذ تجده باس الوجه، إجماعياً، حسناً، قليل الخجل. مليئاً بالحيوية.

فاذا جلس هذا الطفل إلى مائدة الطعام فانه يكاد لا يأكل، وكثيراً ما يضع اللقمة في فمه ويتركها مدة طويلة يشرد في لثائها بذهنه. فإذا نبه إلى ذلك فانه يشرب كمية كبيرة من الماء لتساعده في عملية الابتلاع. ويقول والده : أن ما يتناوله الولد من الطعام ضئيل جداً على الرغم من كل ما يبذله معه من محاولات الإغراء، ومحاولات التهديد، والإهمال أحياناً. ولعله من الواضح أن هذه المحاولات الإيجابية هي التي تصرف الولد غالباً عن تناول الطعام.

أنواع المشكلات وطرق تحريدها

يتبين من الحالات السابقة، ومن غيرها أن من أبرز مشكلات التغذية فقدان الشهوة (Anorexia). وعند بحث هذا النوع من المشكلات، يجب أن نعرف إن كان فقدان الشهوة دائماً أم مؤقتاً. فان كان دائماً يعزى إلى عوامل



مزمنة، وإن كان مؤقتاً فإنه يرجع إلى عوامل طارئة.
ويجب أن نعرف كذلك إن كان ظهوره فجائياً أم تدريجياً، ويكون فقدان
الفجائي في غالب الأحيان مصحوباً بأعراض أخرى ظاهرة، كارتفاع درجة
الحرارة أو النقرز أو الحالات النفسية الحادة كالغضب واليأس والحزن وما
شابه ذلك.

كذلك علينا أن نعرف إن كان فقدان الشهوة عاماً يتناول جميع
للمأكولات، أم خاصاً يتناول دون بعضها الآخر. ويجب أن نتقصى لنعرف ما إذا
كان ذلك يظهر في جميع المناسبات أم في مناسبات معينة كالأكل المنفرد، أو
الأكل على مائدة غير منسقة أو غير متنوعة الأصناف أو غير ذلك.
ويظهر فقدان الشهية بصور مختلفة منها:

١- انعدام الرغبة في تناول الطعام

٢- البطء الشديد في ذلك.

٣- التأفف وما إلى ذلك.

وإلى جانب فقدان الشهية بمختلف صورته نجد الشره، فبعض الأطفال
يزدرون الأكل ازدراءً. وبعضهم يأكل كميات كبيرة جداً. وما ذكر هنا عن فقدان
الشهية يمكن أن يذكر عن الشره، فيجب بحثه لمعرفة ما إذا كان عاماً أم خاصاً،
فجائياً أم مؤقتاً... إلى غير ذلك.

ومن المشكلات الحادة النادرة ما يرتبط بتناول الطعام ارتباطاً شديداً
كالتقيؤ أو الشعور بالغثيان وترجيع الطعام وغير ذلك.

ويجب أن نذكر عند بحث هذه المشكلات، الصلة الشديدة بين النشاط
الغدي العام، وتمثيل الطعام والقابلية لأخذه. وعلينا كذلك أن نذكر ما بين
الأجهزة الهضمية والتغيرات الجسمية المصاحبة للانفعال من صلة شديدة.
ومعروف أنه في أثناء الانفعالات الشديدة لا يقوم الجهاز الهضمي بأداء

عمله أو يؤديه ناقصاً^(١) . فالمصارة الهضمية يقل إفرازها أو يقف. وتتعدل كذلك جميع العمليات اللازمة للهضم^(٢). ونلاحظ عادة أننا في أثناء الحزن أو الغضب أو اليأس شهوتنا إزاء تناول الطعام. فيجب أن نؤجل للطفل وجبة طعامه إن كان في حالة لنفعالية شديدة حتى يهدأ منها. ويستثنى من الحالات الانفعالية حالات الضحك اللخالي من التهيج الشديد. فهذا النوع من الضحك يكون مصحوباً بحالة تراخ. والوصول إلى حالات تراخ قبل بدء تناول الطعام من العادات الطيبة.

كيف ندرس مشكلات التغذية . . . ؟

بعد أن حددنا المشكلة تحديداً ووضحا نتجه إلى دراسة العوامل التي تؤدي إلى ظهورها ولو أن دراسة العوامل وتحديد المشكلة يتداخلان أحياناً تداخلاً كبيراً.

ففي فقدان الشهية نتجه أولاً لدراسة العوامل الجسمية، فيقوم الطبيب المختص بفحص ما قد يكون هناك من إمساك، أو سوء، وما هناك من أعراض ظاهرة كالقيء، واتساع اللسان، وسقوط المعدة، وما إلى ذلك. كذلك عليه أن يدرس أن هناك اشتباهاً في مبادئ سل، وإن كان هناك مصادر (للتوكسينات) تقلل من الحيوية العامة. كذلك ندرس حالة الغدد. وهناك فوق هذا بعض الخصائص الجسمية العامة التي تصاحب عادة فقد الشهية.

فصاحب للجسم الطويل الرفيع يكون قليل الشهية، بخلاف صاحب الجسم العريض الواسع. وقد وجد أحد الباحثين أن ٨٢% من الأطفال الفاقدي الشهية

(١) وعلى العكس من ذلك الجهاز التنفسي والجهاز الدوري فلينهما يبديان عملهما بغاية الكفافية في أثناء التهيج

الانفعالي : D. Thom ; Everyday Problems of Every day Child.

(٢) ويلاحظ أن بعض الأمراض المعدية والمعدية قد اكتشف حديثاً أنها قد تكون سيكولوجية الأصل أي ناشئة من حياة لنفعالية غير سوية. مثال ذلك التفرحة المعدية، والتهاب القولون.



للطعام من النوع الرفيع الطويل.

والأعراض الجسمية تكون في حالة فقدان الشهية أحيانا سببا لها وأحيانا نتيجة لها. وعلى أي حال يجب فحصها فحصا جيدا، والعمل على تحديد الدور الذي تلعبه.

نتج الدراسة أيضا في مثل هذه الحالات إلى نوع التغذية، فيجب درس غذاء الطفل درساً جيداً، لمعرفة درجة اتفاق ما يأخذه مع ما يحتاجه الجسم من (فيتامينات) وأملاح معدنية، ودهنيات، وما إلى ذلك.

ويلاحظ أن كثيراً من الأطفال لا يجوعون في الميعاد بسبب كثرة أكلهم للمواد الدسمة، التي يحتاج للجسم لهضمها مدة طويلة، أو لتناولهم مواد شديدة الحلاوة قبيل الأكل، أو لعدم انتظار المواعيد، أو للنقص في فيتامينات معينة، أو غير ذلك.

بعد دراسة الناحيتين السابقتين نتج لمعرفة ما إذا كانت هناك عوامل مسببة للإتهاك العصبي كقلة النوم وسوء التهوية وقلة الرياضة، والعمل المستمر القليل للتويع. ويلاحظ أن تلاميذ المدارس يأكلون في الإجازات الصيفية أكثر مما يأكلون شتاء في أثناء العمل.

هذا على الرغم من أن حاجتهم للغذاء شتاء أكثر منها في الصيف، وسبب ذلك: العمل المستمر القليل للتويع الخالي من فترات الراحة. ومما يؤدي إلى الإتهاك العصبي وجود الطفل في بيئة تستثير فيه حالات حادة كالغضب، أو الضحك، أو كثرة الكلام، أو للضحج، وما إلى ذلك بسبب ما يفعله الكبار أحيانا مع الصغار عادة لتسلية أنفسهم.

علينا فوق ما تقدم، أن ندرس الحياة الانفعالية للطفل من غضب، أو حزن، أو يأس، أو غيره أو فقدان للشعور بالأمن، أو تضايق من تقييد الحرية، أو ما شابه ذلك من حالات الانفعال، التي لا بد لدراستها من ملاحظة الطفل،

وإعطائه فرصة التعبير الحر عما عنده من اتجاهات نفسية، ومن دراسة ظروف الطفل نفسها، من حيث علاقته بوالديه وأخوته ورفاقه، وسلوكه في أثناء لعبه وعمله بالمدرسة، وما إلى ذلك.

والوالدان من أهم ما يتجه إليه الذهن عند درس هذه المشكلة؛ فبعض الأمهات يضربن أسوأ المثل لأطفالهن، بأن ينقطعن إلى حد كبير عن تناول الطعام لتخفيف أوزانهن. وبعض الآباء لا يتناول وجبة الإفطار إما بسبب قصر المدة الواقعة بين الاستيقاظ وترك المنزل للعمل، أو بسبب التدخين، أو بسبب الإنهاك الناشئ من السهر في الليلة السابقة، أو غير ذلك. وبعض الآباء يكثر من التنبهات في أثناء تناول الطعام، فينتهزون فرصة تناول الطعام لتلقيح الطفل آداب الأكل، وتقاليده، مما يصرف الأطفال عن الطعام نفسه. ويجب أن يذكر الآباء أن الطفل يتعلم آداب المائدة بمرور الزمن عن طريق المثال والممارسة المتكررة، لا عن طريق التلقيح والشرح. كذلك يخطئ بعض الآباء إذ يقومون بإغراء الأطفال، أو بإجبارهم، أو بإقناعهم بمختلف الأساليب لتناول الطعام عامة، أو لتناول نوع معين منه، وهذا النوع من الآباء يكون عادة قلقاً، إما على الطفل، وإما على نفسه.

وفي الحالة الأخيرة يسقط قلقه الذاتي على الطفل. وتكون الشهية لدى الطفل أحياناً حيلة شعورية أو لا شعورية لعقاب الوالدين، أو لعقاب الذات، وهذا يحدث إذا أذنب الطفل، فقد يعاقب نفسه بالإقلاع عن الطعام. كذلك إذا عوقب الطفل من والديه، فقد يقلع عن الطعام عقاباً لوالديه ولنفسه في الوقت عينه.

وتلخيصاً لما تقدم نقول، أنه بعد درس جميع العوامل الجسمية المحتملة، ندرس الظروف والمواقف التي تظهر فيها المشكلة، وبنوع خاص الموقف الذي ظهرت فيه أول مرة، وعلينا كذلك أن ندرس الوظيفة التي تؤديها المشكلة لصالح للفرد. أما المواقف، فأهمها معاملة الوالدين للطفل عامة، ومعامليهما له في أثناء



الطعام خاصة. كذلك من المواقف ما يربط الطعام في ذهن الطفل برباط منفرد أو غير سار، كأن يغري الطفل على شاي مثلا على أنه شاي خالص، ثم يكتشف في أثناء شربه له أنه مخلوط بزيت الخروع مثلا. أما الوظيفة التي يؤديها فقدان الشهية. فأهمها جذب الانتباه؛ فمن الجائز أن تمنع الطفل - دون أن يقصد دائما - يثير حوله اهتماما من والديه لا يحصل عليه عادة بغير هذا التمتع. ومن الجائز - كما قلنا أن إضراب الطفل عن الطعام يشعر الوالدين بذنبهما لإيقاعهما عليه عقابا معينا.

البطء في تناول الطعام

وينتصف بعض الأطفال ببطء شديد في تناول الطعام. ولعل أهم سبب لذلك، هو أن تناول الطعام ينظر اليه في بعض الأحيان كنوع من اللعب يصرف الطفل فيه من الوقت ما شاء كيفما شاء. ولكن هناك إلى جانب هذا، صعوبات المضغ الناشئة من أسباب محلية في الأستان أو في الفكين أو غير ذلك، أو أسباب عامة كالتعب والانهك. كذلك قد يرجع السبب إلى عدم الرغبة في تناول الأطعمة المعروضة. أو استمرار تناول الطعام رغم للشبع، أو انشغال الذهن، أو الاغراق في أحلام اليقظة وكثير من الأطفال يشغلون في أثناء تناول الطعام بمشكلاتهم الخاصة، أو بملاحظة ما يجري حولهم من الكبار في أثناء تناول الطعام. وجميع النواحي التي اتجهنا إلى دراستها في فقدان الشهية يمكن أن نتجه إليها عند دراسة حالات البطء في تناول الطعام.

موقف الآباء وما يترتب عليه

وينظر الآباء للأكل ومواقفه نظرة خاصة، ولهم إزاء ذلك اتجاهات معينة تكاد تكون محدودة في كل والد. وسبب ذلك أن درجة اقبال الطفل على الطعام تعتبر عادة دليلا على الحالة الصحية. ويختلف الآباء بعضهم عن بعض في

درجة اهتمامهم بصحة الأطفال، وذلك الاهتمام الذي يصل في أقل درجاته إلى الإهمال، وفي أكبر درجاته إلى القلق. وتختلف - تبعاً لذلك الاهتمام - عناية الآباء بغذاء الطفل. ونظراً لأهمية الأكل في نظر الأطفال أنفسهم، فإننا نجد أن الأطفال في حالة إهمالهم قد يحلون مشكلاتهم بأنفسهم. وأما في حالة القلق على الطفل، فإننا نجده يفقد ثقته في ولديه.

إذا أدرك ضعفهما، وبذلك ينهدم المثال الأول للقوة الذي كان مثلاً أمامه. ويحتمل أن ينتقل قلق الآباء نحو الأبناء إلى الأبناء أنفسهم، فيصبح الابن قلقاً على نفسه ضعيف الثقة فيها. وينظر الآباء عادة إلى قلقهم هذا على أنه نوع من العطف يجب على أبنائهم أن يحموهم عليه. ويجب أن يعلم الآباء أن حالات القلق عندهم تؤثر في أطفالهم من أعمار مبكرة جداً، لا عن طريق الإدراك والتحليل والمعرفة الصريحة، وإنما عن طريق المشاركة الوجدانية البدائية^(١).

ويصاحب للقلق عادة ما يمكن أن يسمى بالتقنين (Standard-ardisation) ويقصد به تحديد كميات الأكل اللازمة لكل فرد. ويلاحظ أن بعض الآباء يعتقد أن الطفل في سن معينة لابد من أن يأكل كميات معينة. ويشغل الآباء أنفسهم بكمية الوجبة، ونوعها، وعدد الوجبات. وقد يصلون في ذلك إلى درجة أنه إذا سقطت وجبة منها قلقوا، وخافوا من عواقب هذا على صحة الطفل. ويجب على الآباء أن يتذكروا أن الأطفال يختلفون في أوزانهم وفي سرعة نموهم، وفي نوع نشاطهم، وما يتطلبه نشاطهم من طاقة. الكمية التي يحتاجها الطفل تختلف عادة من طفل إلى آخر.

وتختلف كذلك في الطفل الواحد من وقت إلى آخر اختلافات كبيرة في بعض الأحيان. وتتوقف هذه الاختلافات على الحالة الوجدانية، وعلى نوع النشاط

(١) راجع صفحة (٨٤).

الذي يبذله وكميته وعلى الظروف التي يتناول فيها طعامه، وعلى نوع الحياة التي يمر بها... إلى غير ذلك.

على أن نوعا من المتقين الخاص بنوع الأكل، وكميته، ومواقفته، يجب أن يراعى ليحقق الغاية الأساسية، وهي أن يأخذ الفرد طعامه، بحيث يهضمه، ويمثله جسمه ويتحول إلى فوق يستفيد منها في نشاطه، ويشترط ألا يكون تقينا جامدا لا مرونة فيه. ولكن إذا لوحظ أن أكل الطفل قد نقص في كميته وبعض عناصره وعند مرآته نقصا واضحا فإنه حينئذ يجب البحث في حالته.

والتشبت بالنقنين يكون، كما قلنا، مصحوبا بقلق من جانب الآباء ويكون مصحوبا عادة بشيء من الاغراء ثم الارغام، مما يربط الموقف كله - بما فيه من أكل والدين وأسلوب معاملة - برباط انفعالي غير سار، وقد يترتب على هذا نشوء كراهية الطفل للوالدين، مما قد يؤدي إلى أعراض مرضية. ويلاحظ أن مراقبة الآباء للبناء تصرف الطفل عن الطعام، وتعطيه سلاحا قد يستغله بنجاح ضد والديه. وتنشأ هذه المراقبة عادة من قلق الآباء الناشئ، بدوره من الخوف من الأمراض أو من الوفاة، فكثيرا ما يحدث أن يموت للطفل قريب بمرض السل، فيكون هذا الحادث بداية لحملة شديدة على الطفل في التغذية. كذلك قد يحدث أن يموت قريب بمرض (التيفوئيد) فتحاط عملية الأكل باحتياطات شديدة جدا لمنع الذباب فينصرف الطفل - بسبب هذه الاحتياطات وما يصاحبها من الخوف - عن تناول الطعام. فضلا عن أنها قد تغرس فيه خوفا شاذا مرتبطا بالطعام، وتؤدي إلى مشكلات أخرى عديدة.

ويلاحظ أن شدة قلق الآباء تعطي الأطفال فرصة الشعور الزائد بأهميتهم، واعتراف السلطة بهم. وهذه نتيجة تسرهم، فندفعهم أحيانا إلى التمسك بما يثير هذا القلق. والطفل عنده بطبيعته نزعة قوية للسيطرة؛ وذلك لضعفه، وقوة من حوله. فهو يطمس الفرص إلى التعبير عن هذه النزعة للسيطرة. فإذا



أضرب مرة عن تناول الطعام، وأثار هذا الإضراب قلق والديه، أو غضبهما، أو حفزهما على ضربه. فإنه يصل بسلاحه هذا إلى أحداث حدث عظيم محموس. لذا كان خير الطرق إزاء هذا التصرف من الأطفال الإهمال والهدوء التام من جانب الآباء.

وكثيرا ما يحدث أن تقوم الأم بإغراء الطفل، ورجائه، والتوسل إليه وأحيانا يجري الطفل في أرجاء المنزل، والأم تجري وراءه بغذائه عليه يتناوله.

هذا منظر يشعر الطفل بسيطرته وتملكه الموقف. وكثيرا ما تأمر الأم طفلها بتناول الطعام فإن رفض تلجأ إلى تهديده. فإذا صمم فقد تعود إلى إغرائه وتتنازل عن تهديدها. وهكذا قد تتأرجح الأم بين الإغراء، والتهديد، والافتناع، والوعد بثواب، أو الوعيد بعقاب، وما إلى ذلك من الأساليب لضربه التي يترتب عليها أحيانا اضطراب نفسه، وأحيانا يترتب عليها زيادة تمسكه بموقفه، لأنه يشعر فيه بقوته.

وأحيانا تشكو الأم حال طفلها إلى جيرانها أو زوارها، وتشفع شكواها بأن تقول : أنها غلبت على أمرها معه، ولا تدري ماذا تفعل. وتحدث هذه الشكوى أحيانا على مسمع من الطفل، الذي يشفق لذة كبرى من أنه وصل إلى ما تشاق إليه نفسه من القوة، مما جعل شخصا كبيرا كأمه فيشغل أمامه، ويعترف بذلك. ويلاحظ أن رفض الطعام يكثر عادة في الطفل الوحيد أو الشبيه بالوحيد أو المدلل - أي الطفل الذي يحتمل أن تضعف الأم أمامه.

ويدفع القلق أحيانا إلى كثرة التكلم عن المرض والتسمم والأغذية الثقيلة والأغذية المفيدة وما إلى ذلك. ويصحب التكلم عن هذه النواحي - خصوصا الخوف من المرض والتسمم - حالة انفعالية. ويسمع الأطفال هذه الأحاديث إما عرضا، ولما لأنها موجهة إليهم، ولا يفهمون منها شيئا، ولكنهم يتأثرون بما بها



من اتجاه انفعالي، يترتب عليه خوف وصدوف عن تناول الطعام في غالب الأحيان.

ويؤثر الآباء في أبنائهم دون أن يشعروا عن طريق الإيحاء؛ فكمثرا ما يحدث أن طفلا يرفض اللبن، لأن الأم قالت: انها لا تحب اللبن. أو يرفضه لأنه رفضه مرة، فقالت الأم: ان ابنها لا يحب اللبن. بذلك تثبت لديه الفكرة عن طريق الاتجاه الذي وجهته فيه الأم. وثبوت الفكرة يؤدي وظيفة هامة، وهي أن الطفل تصبح له خاصية مميزة يتكلم عنها الناس.

وبلاحظ أن كراهية الأطفال والبالغين لكثير من أنواع الطعام، وحبهم لكثير من الأنواع الأخرى يأتي غالبا عن طريق الإيحاء، بمعنى أن اتجاهات الكبار نحو الطعام من حب وكراهية قد تخلق في الطفل اتجاهات مماثلة. ويجب أن نشير إلى أن إيحاء السلوك أقوى دائما من إيحاء الكلام، ف رؤية علامات الاشتمزاز التي تبدو على الوجه أقوى أثرا من سماع اللفاظ الدالة عليه.

خلاصة هذا أن الأطفال يتأثرون كثيرا من موقف آباءهم ازاءهم عند تناول الطعام وكذلك من موقف الآباء أنفسهم ازاء الطعام.

الشره

ومن المشكلات التي يندر أن يشكو منها انسان مشكلة الشره، وهي تبدو بصور مختلفة منها: أن يأكل الإنسان أكثر مما يحتمل، أو أن يزداد الأكل لزيادة دون أن يحسن مضغه. وما قلناه عن فقدان الشهية يمكن أن يقال عن الشره من أنه قد يكون عاما، وقد يكون خاصا، وقد يظهر في مناسبات معينة أخرى.. إلى غير ذلك.

وعلينا أن نذكر بهذه المناسبة أن الناس يقال عنهم: انهم يأكلون غالب

أكثر مما نحتاج إليه جسومهم. فتناول الطعام لا يحدث عادة لسد حاجة جسمية فحسب؛ وإنما يحدث لأنه عادة معينة يريد أن يمارسها الفرد في أوقات معينة. وهذه العادة ينظر إليها بعض الناس على أنها نوع من النشاط اللذيذ المقصود لذاته. ولذا يصبح بعض الناس شغوفاً بالأكل، ينظر إليه كنوع من الهواية التي يصرف فيها ماله وتفكيره ونشاطه.

وإذا اتجهنا لدرس حالة شره، فأول ما يجب أن يتجه إليه الذهن هو درس الحالة الجسمية كالديدان واضطراب الغدد أو غير ذلك. ثم ندرس حياة الفرد الانفعالية. فكما يكون الشره ظاهرة للحرمان، كذلك يمكن أن يكون ظاهرة للتكليل. فالشخص المدلل لا يمكنه عادة أن يضبط نفسه أمام رغبة من رغباته، بل يهيئ لنفسه فرص للتلذذ الذاتي، وكأنه في ذلك يدلل نفسه. ويلاحظ أن أصحاب النزعات (البوهيمية) - على وجه العموم - كانوا أصلاً محرومين أو مدللين.

ويكون الشره أحياناً مظهراً من مظاهر النزعات الاعتدائية؛ ففيه مجال العض والانقباض والفتك. وكثير من الناس في حالات الغضب المكتوم يعبرون عن غضبهم هذا بالانكباب على التسخين، أو السكر، أو تناول الطعام، أما وما شابه ذلك.

كذلك يمكن أن يكون الشره دالاً على فقدان الشعور بالأمن^(١)؛ فهو يظهر أحياناً في حالات اليأس، وفقدان الغير، والشعور بالانكئاب المصحوب بالحاجة للحادة إلى التفريغ عن النفس عن طريق الأكل والشرب. وكثير من الناس يزداد وزنه بسبب الإفراط في السكر والأكل والشرب

(١) في بعض الأحيان يزداد بعض الأطفال ما أمامهم من طعام حتى ينتهوا منه ليتناولوا طعاماً آخر يحبونه ويخشون أن يجهز عليه. كذلك يبطئ أحياناً بعض الأطفال في أكل ما أمامهم لكي يطيلوا مدة تلذذهم به لا سيما إذا كانوا يحبونه جداً شديداً.

والنوم بعد فقدان زوجاتهم أو أزواجهن، وقد يكون الأكل في هذه الحالات وفي غيرها نوعا من النشاط اللذيذ ينتهي به الفرد عن مشكلاته الأخرى. كذلك يمكن أن يرجع الشره إلى ضيق الميول، وسعة وقت الفراغ، والملل.

أما أصحاب مدرسة التحليل النفسي فقد ينظرون إلى الشره على أنه تثبيت لمرحلة اللذة الذاتية المرتبطة بالفم (Oral Auto- erotic Fixation) غالبا ما يرجع في أصله إلى مشكلات مرتبطة بعملية الرضاعة.

القيء :

من المشكلات التي ترتبط عادة بتناول الطعام مشكلة القيء ولبحث حالة القيء يعرف أولا إن كان متكرر الحدوث أو عارضا. ويعرف إن كان مرتبطا بمناسبة معينة أم عاما، وبعد أن تحدد المشكلة تفحص الناحية الجسمية أولا، ثم تدرس الحياة الانفعالية وتدرس المناسبات التي يظهر فيها القيء.

وكثيرا ما يحدث أن يكون القيء ناشئا من ارغام الطفل على تناول طعام لا رغبة له فيه^(١)، وهذا الارغام يؤدي الى نفسية مكبوتة غالبا، ويعقبها عادة قيء. وقد يحدث القيء - كما يحدث أي عرض جسماني - على أساس (الهستيريا)، التحويلية؛ أي أن التقوي يقوم بجذب انتباه الغير، أو بتخويف الكبار، أو يكون تعبيراً عن نفسية أساس انفعالها للقرز أو الخوف وما إلى ذلك.

كذلك يمكن أن يحدث التقوي بالإيحاء أو بالمشاركة الوجدانية. فبعض الأطعمة قد يوحى للطفل بموارد تشمئز منها نفسه، وقد يتقيأ الطفل لأنه رأى غيره يتقيئون. وقد يكون الإيحاء في حالة التقوي ذاتيا أو فرديا أو اجتماعيا، وقد

(١) ماري طفلة أمريكية عمرها سنتان ونصف السنة، جلست مع أمها إلى مائدة الطعام وكان المنزل على روة مرتفعة، وفي لثاء جلوسهما قامت زوجة شديدة جدا شعرا بها شعورا واضحا. وفي أثناء تناول الطعام قدم للطفلة كراع، فرفضت أن تأكله، فنهرتها أمها وأرغمتها ونجحت. وكانت النتيجة أن البنت بدأت تتقيأ، واستمرت أسبوعين تخاف للمواصف خوفا شديدا: The Mothers Encyclopedia

يكون إحياء شهرة أو جماع، ويمكن إيراد أمثلة كثيرة لبيان مختلف هذه الحالات (ص ٧٣).

ويشبه التقينو ترجيع الطعام، وهو مقتصر غالبا على صغار الأطفال ويرجع لوضع اليد في الفم أو الى ابتلاع بعض الهواء في أثناء الرضاعة، ويمنع بأن يترك الطفل نائماً على ظهره بعد الرضاعة بضع دقائق. هذا الا إذا بدأ فعلاً في الترجيع فيحسن رفعه حتى يتخلص من الطعام الذي يرجع. ولترجيع الطعام غير هذه الأسباب البسيطة أسباب طبية لا يمكننا التعرض لبحثها هنا.

ثانياً: المشكلات المتعلقة بالنوم

عند دراستنا لمشكلات الأطفال والناشئين والبالغين يهمننا عادة معرفة كمية النوم ونظامه؛ إذ أن كثيراً من المشكلات قد ينتج مباشرة من الاجهاد الجسمي والعصبي الذي لا سبيل إلى التغلب عليه إلا عن طريق النوم.

وكثير من حالات الانقباض ونوبات الغضب، والكسل، وضعف القدرة على التركيز، ولعدام الاستقرار، وكثرة الوقوع في الخطأ، وفقدان التوازن للحركي، وما إلى ذلك، قد يرجع عند الصغار والكبار إلى قلة أو سوء نظامه أو إليهما معاً. ويلاحظ أن حالات الأطفال للعصبية من تهتهة، ومص أصابع وقرص أظافر، وما إلى ذلك تزداد في الأيام التي لا ينامون فيها جيداً بشكل كافٍ.

ويدعي بعض الناس أحياناً أنهم لا ينامون إطلاقاً، ولكن هذا غير ممكن. فهؤلاء للناس ينامون نوماً خفيفاً متقطعاً لا يكادون يشعرون به. وقد دلت التجارب على أن الإنسان لا يمكن أن يواصل حياة عادية إذا ترك النوم مدة تزيد على ثلاثة أيام أو أربعة؛ حيث تبدأ حالات انقباض و(هلوسة)، وفقد للتوازن، وفقد شديد للقدرة على التذكر وما إلى ذلك. وقد أجريت تجارب على الحيوانات فثبت أن الكلاب تموت إذا لم تنم بضعة أيام.

ونظرا لأهمية النوم الحيوية. ولشدة غرابته كظاهرة؛ اتجه لبحثه كثير من العلماء، وأجروا حوله التجارب، ووضعوا النظريات. ولا يمكننا في هذا المجال أن نتعرض لهذه البحوث الفسيولوجية والكيميائية والهستولوجية والميكولوجية، وإنما نكتفي بالإشارة إلى نظرية (كلابريد)^(١)، الذي يرى أن النوم ليس نتيجة لحلول التعب، وإنما هو وظيفة حيوية يقوم بها الكائن الحي ليقى نفسه من حلول التعب. فالنوم في رأي (كلابريد) هو صمام الأمان. هذه هي النظرية البيولوجية المقبولة، وهي تفرض كذلك أن النوم من خصائص الكائنات الحية للراقية، ذات المجموع العصبي المركزي.

تدل هذه المقدمة على القيمة الحيوية للنوم، وعلى أن النوم تهماña دراسته من النواحي الوقائية والعلاجية، وبهماña بنوع خاص أن يكون الناسئ فيه عادات صالحة.

الحاجة إلى النوم عند الأطفال:

يلاحظ أن الطفل الصغير ينام كثيرا، إذ لا يستيقظ بعض صغار الأطفال إلا للتغذية؛ ولكن مدة النوم عند الأطفال تقل تدريجيا إلى أن تصل حدها الأدنى وهو ثماني ساعات تقريبا عند البالغين، ولا يتجاوز عادة هذا الحد الأدنى إلا في مرحلة الكهولة. وحاجة الطفل إلى النوم الكثير حاجة طبيعية، فعملية النمو السريع التي تطبئ تدريجيا بتقدم الطفل في عمره، تستفد منه مجهودا كبيرا يستغل في عملية الهدم والبناء اللازمين لأنسجة الجسم، ولا بد له من تعويض هذا المجهود في أثناء النوم؛ بإراحة نفسه راحة تكاد تكون تامة. ويخطئ من يعتقد أن الطفل لا يبذل مجهودا في أثناء ساعات يقظته، فملاحظة الطفل ندلنا على أنه دائب الحركة، لا ينقطع نشاطه، فهو يجري ويمشي، ويتأمل، ويفكر، ويمرن عضلات يديه ورجليه وأعضاء نطقه، وهذا كله مما يساعده

(١) Quoted by Coriet ; Abnormal Psychology

على فهم العالم المحيط به، ويؤدي إلى كسب مهارة عقلية وحركية تمكنه من حسن التعامل معه والملاءمة له، وبذلك يصير أكثر شعورا بالأمن فيه، وأجرا على تناوله، وتكييفه لرغباته وحاجاته. هذا كله يستفيد منه مجهودا كبيرا، لا يشعر به في أثناء بذله له؛ إذا أنه يصرف غالب هذا الجهد في صورة لعب لذيق. وهذا المجهود وحيث أن النمو يقل تدريجيا بتقدم العمر، وكذلك النشاط التلقائي الذي أشرنا إليه يقل أيضا مع تقدم السن، فيحل محله عمل جدي محدود، فإن الحاجة إلى النوم نفسها تقل كلما كبر الطفل، ولكننا لا يمكن أن نتعمد.

ففي الشهر الأول ينام الطفل عشرين ساعة تقريبا ^(١)، ثم ينخفض ما يحتاجه من ساعات النوم، إلى أن يصل إلى اثنتي عشرة ساعة في سن الرابعة، وإلى ما يقرب من تسع ساعات أو عشر في دور المراهقة، ثم إلى ما يقرب من ثمانية ساعات عند اكتمال النمو.

وهناك بين الأطفال كما بين الكبار فروق فردية، فلا يجوز تقنين ساعات النوم أو مواقيتها أو ظروفها تقنيناً محدوداً جامداً، كما لا يجوز ترك الأمور بغير تنظيم. فنوع من النظام يقتصد مجهوداً كبيراً بالنسبة للأمهات، وله أثره الحسن في صحة الأولاد. وبعض الأشخاص بطبيعتهم يحتاجون لساعات نوم أقل أو أكثر مما يحتاج إليه الشخص المتوسط الذي من نفس العمر؛ ولو أن عدد ساعات النوم يتوقف أيضاً على حالة الشخص الجسمية من حيث الصحة العامة والتغذية، وعلى الحالة النفسية من حيث الهدوء أو الاضطراب.

ويتوقف كذلك على الظروف التي ينام فيها الشخص من تهوية، ورطوبة، وحرارة وسكون. وما إلى ذلك.

نظام النوم:

يتناول نظام النوم مسائل عديدة بعضها خاص بمواعيده، وبعضها خاص

(١) D. Thom . ; Everyday Proplems of the Everyday Child



بإمكانته، وبعضها خاص بحالة الشخص الجسمية والعقلية. ويمكن أن نقول : أن الشخص إذا كان في حالة شبع دون امتلاء، وإذا كان خاليا من الأوجاع والهموم، وكان في حالة عقلية هادئة غير متوترة، وكذلك إذا كانت الظروف المحيطة عادية من حيث الهدوء والتهوية والراحة. وما إلى ذلك فإنه يمكنه أن يحصل على نوم مفيد إذا كانت مدته كافية^(١).

ويحتاج كل شخص كما قلنا، إلى عدد معين من ساعات النوم في كل أربع وعشرين ساعة. ويجب أن يكون قسط غير قليل من هذه المدة في أول الليل، كذلك يجب أن يحصل كل فرد على فترة راحة كاملة في أثناء النهار. وهذه الفترة يحسن أن تكون قبل تناول الغذاء. ويرى البعض أن تكون هناك مرة أخرى قبل تناول طعام العشاء.

وهناك عدد من المبادئ يتعلق بعضها بالظروف التي ينام فيها الطفل. فهل يحسن أن نهيا ظروف الراحة التامة والهدوء التام للنوم، أو يخشى أن يتعود عليها الطفل، بحيث إذا جدت عليه ظروف أخرى فقدترته على النوم. وللإجابة عن هذا نذكر أن الإنسان في حالة الضوء أو ارتفاع درجة الحرارة أو عدم ملاءمة الظروف بأي صورة أخرى قد ينام، وفي أثناء نومه يحدث ما يسمى تكيفا سلبيا (Negative Adaptation) وبه يبذل الإنسان مجهودا اضافيا لمنع أثر هذه المؤثرات الخارجية، ولذا نجد أن من ينام بحالة جسمية وعقلية طيبة في ظروف طيبة يحتاج لساعات نوم أقل ممن ينام في ظروف غير مريحة. ولكننا نذكر هناك أيضا أن القدرة على بذل هذا المجهود الإضافي يجب أن تكون موجودة إلى حد ما عند كل شخص، حتى يستعملها إن جدت ظروف لا تكون في الحسبان.

^(١) تكشف دراسة الأحداث المجرمين والشردين عن بيوت لا يمكن بحال من الأحوال أن ينام فيها الطفل نوما مفيدا .

ولا يمكننا التعرف هنا لسكل قواعد نظام النوم^(١) ولكن يهتأ معرفة اتجاهات الآباء نحوه. أول هذه الاتجاهات أن نظام النوم لا يجوز أن يفرض على الطفل بروح الإراغام، لأن إرغام الطفل وتحنيه فيما يتعلق بالنوم، يترتب عليه انتشار الطفل وقد يترتب عليه تعويذه المعاندة، وربما ينتج عنه كراهية لوالدين. ثم إن الإراغام نفسه يخلق في الطفل مقاومة. ولو غير ضاهرة، وبذلك ينعم التراخي اللازم قبل النوم. بالإضافة إلى ذلك لا يجوز أن يستعمل النوم أداة من أدوات التهديد، لأن أقل ما في هذا، أنه يوحي للطفل بفكرة أن النوم أمر يجب تعاقبه وتجنبه. ويجب أن يكون موقف الآباء نحو النوم موقفا طبيعيا هائئا، ولا يجوز أن يكون النوم موضوعا بكثير ما يتور حوله من النقاش، خصوصا على مسع من الأطفال.

وبحسن أن ينام الطفل في سرير مستقل من أول الأمر. وينبغي ألا ينام في غرفة والديه بعد سن السنة والنصف، فبكثير من حالات الاضطراب النفسي تنشأ من مشاهدة الاتصال الجنسي بين الوالدين في سن مبكرة. من العمر فيحسن أن يذهب للنوم صغارهم أولا، ولا يرسلون جميعا في وقت واحد حتى لا يحدث احتكاك بينهم.

وبحسن أن تراعى حالة الطفل قبل نومه، فيكون هائئا مسرورا، وليس من الحكمة مفاجأة الطفل بمنعه من اللعب ثم إرساله للنوم. بل يحسن إنذار الطفل، وإعطائه مهلة كافية، كأن يقال له أنه بعد عشر دقائق مثلا سينام، فليدبر أمر نفسه لإيقاف لعبته فترة، والبدء بالاستعداد للنوم.

وبلاحظ أن كثيرا من الأطفال يخافون الانتقال من حالة اليقظة إلى حالة النوم، لأن النوم والظلام كثيرا ما يرتبطان في ذهن الطفل بأمر مخفية، ولأن

(١) لاستزءاء هذا الموضوع يحسن قراءة كل ما يتعلق بالنوم في الكتابين الاتيين : The D.A. Kennedy : Mothers Management of Babies .The Family Book .Len Chaloner The Encyclopedia .



كثيرا من الآباء يتركون المنزل بعد نوم الأطفال دون علم الأطفال أنفسهم بذلك، ولأن الانتقال من حالة اليقظة المعروفة الواضحة إلى حالة النوم الغامضة غير المفهومة يخيف، بحسب ما لاحظنا على بعض الأطفال في سن تقع تقريبا بين الثانية والرابعة^(١). لهذا كله يحسن قدر الإمكان تفادي كل ما يجعل النوم مخفيا أو مكروها حتى يتمتع به الطفل كما يجب.

ويحسن أن ينام الطفل مجرد ذهابه إلى فراشه أو بعد ذهابه إليه بمدة قصيرة، فإن لم يحدث هذا فليؤجل ميعاد نومه نصف ساعة مثلا، على أن يعوض له ذلك النقص في وقت آخر. وتعديل بسيط مثل هذا - إذا احتاج الأمر إليه- تكون له في هذه العادة نتائج طيبة.

كذلك يحسن أن يقوم الطفل مباشرة بعد استيقاظه لأن بقاءه مدة طويلة في فراشه بعد استيقاظه يعطيه فرصة للجلبه أو لأحلام اليقظة، وفي مثل هذه الأوقات التي تقضى في الفراش في حالة لليقظة تبدأ عادة ممارسة العادة السرية.

ومن حالات العيادة حالة ولد في الخامسة والنصف له مشكلات عدة منها التبول، والعناد، وحك عضو التماسل إلى درجة الانماء، وغير ذلك من المشكلات؛ ولكن من مشكلاته أيضا أنه يصحو مبكرا جدا ويصبح توجيه اهله إلى إرساله مبكرا إلى فراشه، وكان ذلك من أسباب سهولة التغلب على هذه العادة وامكن كذلك توجيه أهله إلى ما يجب أن يتبع معه من تنظيم النشاط، وتحسين المعاملة، وتوضيح بعض ما كان غامضا بالنسبة للطفل من حيث العلاقات المختلفة الموجودة بين أفراد المنزل. وذلك لأن انفصال أم الولد عن أبيه قبل يولد مشكلة عنده.

(١) شملت مشكلة الدخول في حالة النوم والخروج منها إلى حالة اليقظة أذمن الثلاثين والعلماء قديما وحديثا ولم يصلوا إلى اجوبة شافية .

وكتمان ذلك عنه، وتعويدة مناداة جده على أنه أبوه، ومناداة أمه لجده في نفس الوقت على أنه أبوها، أوقع الولد في ارتباك شديد. ويغلب أن يكون هذا - بالإضافة إلى الأثر الناشئ من حالة أمه - بعض ما يفسر جزءا من مشكلاته.

بعض المشكلات العارضة

ومن المشكلات الهامة نقص قدرة الطفل على الانتقال من حالة اليقظة إلى حالة النوم الا بمساعدة خارجية، كأن تحمله أمه على كتفها، أو في حجرها، أو تهزه، أو تنام إلى جانبه، أو أن يضع أصابعه في فمه. واعرف أن طفلا كان إلى سن الخامسة لا ينام الا اذا جلس في حجر أمه ووضع إصبعه في فمها وخبر طريقة ازاء هذه المشكلات هي منع ظهورها بتأتا من أول الأمر، لأن تثبيتها يجعل من العسير التغلب عليها أو على مشتقاتها المتنوعة العديدة بتقدم السن. وصعوبة التغلب عليها ناشئة من ارتباطها بالنوم، فنظرا لأهميتها للانتقال من حالة اليقظة إلى حالة النوم يصعب جداً ضبطها والتحكم بها.

ومن أخطاء الأمهات حمل الطفل وهزه لأقل صوت يخرج من فيه. مع أن صراخ الطفل ليس كله ألم. فبعضه مجرد تمرين لعضلات الصوت، وبعضه صراخ احتجاج وبعضه صراخ ألماً. فمواجهة الصراخ تكون بإزالة أسبابه لا بمحاولة إيقافه إيقافاً مؤقتاً. وبعض الأمهات يحملن الطفل لا لسبب الا بقصد التسلي به. ولا يجوز أن تنتظر الأم للطفل كدمية جيء بها لتسليتها الخاصة، وإنما يجب أن تنتظر إليه كفرد له كيانه الخاص به والأمهات اللواتي يكثرن من حمل أبنائهن والاتصاق الجسماني بهم هن في العادة الأمهات اللواتي يمكن ميولا أو هوايات أو لا يشعرن بحب أزواجهن أو من حولهن، فلا يجدن اللذة لأنفسهن الا في أبنائهن. وهؤلاء يصعب عليهن جداً تربية أبناء يعتمدون على أنفسهم. وفي كثير من الأحوال ينال للطفل ما يناله من حمل وهز واكثر من



الضم.. إلى غير ذلك، وعندما تصل سنه إلى الرابعة أو الخامسة، وتجد الأم أن الطفل قد كبر، ولم يعد كالنمية كما كان من قبل، أو تجد الأم أنها أنجبت طفلاً آخر به مجال أصلاح ممن قبله للتعبير عن انفعالاتها المكبوتة، تحدث صعوبات كثيرة من الطفل للكبير، ويقال عنه علناً : انه صار ثقيلًا غير مقبول بعد أن كان خفيف الروح. وقد يبدأ عندئذ يخرّب، أو يثور، أو يقلق في نومه، أو يظهر بغير ذلك من المشكلات العديدة الناشئة من أنه لا يرغب في التنازل عن امتياز معين بعد أن ناله وتمتع به زمنًا، وصار بطريقة ضمنية حقًا مكتسبًا في نظره.

وقاعدة عامة حكيمة هي أن يسأل الآباء أنفسهم إن كانوا يريدون استمرار أسلوب المعاملة الذي ينتهجونه مع طفلهم إلى أن يصل الطفل إلى مرحلة اكتمال النمو أم لا. فإذا لم يريدوا استمرارها إلى اكتمال النمو، فلا يجوز الالتجاء إليها في أي عمر مهما كان صغيراً. بدعوى أنه يمكن الاستغناء عنها مع تقدم السن. ولا يجوز تجربتها، إلا إذا كانت ضرورية لهذه المرحلة، ويسهل تحرير الطفل منها بالتدرج مع النمو.

ويلاحظ أن في تعويد الأطفال ألا ينماوا إلا إذا كان الكبار قريبين منهم مجالاً طيباً لإثبات ذاتية الأطفال بصورة لا مبرر لها، وإخضاع الكبار لارادتهم، مما يؤدي حتماً - إن عاجلاً أم آجلاً - إلى احتكاك إرادة الطفل مع إرادة الكبار. ويمكن بسهولة أن تستنتج ما قد يؤدي إليه هذا الاحتكاك عند نفاذ صبر الآباء.

ومن أخطاء الوالدين اقلال راحة للطفل في لثناء نومه لأسباب تافهة فلا يجوز في حالة حضور الضيوف متأخرين في أثناء الليل أن يوقظ الطفل من نومه، ليراه الضيوف. وقد يكون للدافع أنانياً من جانب الأم، أو جانب الضيوف، أو كليهما، كسحب سماع كلمة ثناء، أو حب المفارقة، أو غير ذلك. ومثل هذا يحدث من بعض الآباء إذا لم يروا أبناءهم طول النهار لانشغالهم، فيوقظهم ليستلوا بهم، وقد يحضرون لهم معهم بعض أدوات الإغراء كاللعب والحلوى

وغير ذلك. وهذا يستثير الأطفال ويهيجهم، ويجعل النوم عليهم بعد ذلك صعباً. ولا يجوز إقلاق الطفل ليلاً بعد أن ينام؛ إلا إذا كان قد استوفى مدته عند النوم. وفي حالات كثيرة نجد الطفل تكثر طلباته عند النوم؛ فهو يريد أن يتبول، أو يشرب، أو يقول لأمه كلاماً أو غير ذلك، وهذا في العادة معناه أن الطفل يعتمد اعتماداً كبيراً على شخص معين، ويساوره شعور بالقلق خوفاً من أن يتخلى عنه هذا الشخص مما يترتب عليه فقد امتياز معين.

وعلى وجه العموم يكون معناه أن الطفل غير شاعر بالأمن الكافي، فيتمسك الطرق التي قد تشعره به. وفي هذه الحالة علينا أن ندرس ظروفه، لنرى ما يكون قد أدى إلى هذه الحالة. فربما كان السبب أن خادمة تركت المنزل، بعد أن تعلق بها الطفل تعلقاً شديداً لا يقدره الكبار في الغالب، ويجب قدر الامكان ألا تهيا الظروف بحيث يلتصق الطفل بأناس يحتمل جدا أن يختفوا من بينته. وربما كان السبب أن في ذهن الطفل احتمالا غامضاً بأن والديه سيتركان المنزل بعد نومه دون أن يصارحاه بذلك، ودون أن يروضاه على ألا يخاف النوم بمفرده أحياناً. وربما كان السبب أن والدته عودته أن ينام في حضنها ثم تتركه بعد إعفائه فيقوم ولا يجدها إلى جانبه... إلى غير ذلك من منات الأساليب التي تقلل من شعور الطفل بالأمن أو بالثقة فيمن حوله، والتي يرتبط كثير منها في ذهن الطفل بالنوم.

ويشبه كثرة طلبات عند النوم أرقه، من حيث الأسباب التي تؤدي إليه، ولهذين النوعين من المظاهر أسباب أخرى، كالتخويف بالقصص المزعجة وبأساليب التخويف والتهديد المختلفة، وما إلى ذلك.

ولعل أهم أسباب الأرق في أجزاء الليل المختلفة هي الرغبات المكبوتة، ومعروف أن الذات العليا أو الضمير اللاشعوري عنصر كابيت يقع عادة في نزاع مع الـ(هي)، لذا ينسب الأرق أحياناً إلى يقظة الضمير (خوفاً من



طغيان النزعات)، أو إلى الإحساس بالذنب، أو إلى الخوف من الوقوع في الخطأ؛ ومن أسباب الأرق الهوموم والرغبات المعلقة غير المشبعة؛ ومن حالات هذا النوع حالة طالب في سن الثامنة عشرة يشكو من أنه يتبدل ذهنه آخر النهار، ويصير غير قادر على الفهم أو المناقشة، ويشعر بحاجته إلى النوم، فإذا ما ذهب إلى سريره تبدأ أفكار كثيرة في الظهور، ويصبح غير قادر على النوم ساعات طويلة، بل يستمر غالباً طول الليل، لا هو بالنائم ولا هو باليقظ، إلى أن تدوخ رأسه من كثرة الأفكار، وتتخلص حالته في أن لديه شعوراً بالنقص ظهر بوضوح بعد وفاة أخيه الأكبر الذي مات بعد وفاة والده، وسبب شعوره بالنقص أنه يشعر بعدم قدرته على سد الفراغ الذي حدث بوفاة أخيه، وهناك أسباب أخرى لشعوره بالنقص منها شدة صغر جسمه، وعدم نجاحه في مغامرات صغار الشبان، سواء في تكوين الأصدقاء، أو في شهرته بينهم بما يناسب قدرته، أو في قدرته على محادثة البنات دون وقوع في الاضطراب، ومن مصادر مشكلاته أيضاً مبالغة أمه في العطف عليه مبالغة أفقته ثقته في نفسه، فهي تقضي له كل طلباته ولا ترغب في بعده عنها، وإذا خالفها أصابها المرض، واشعرته أنه السبب في مرضها، فألمه تسيطر عليه سيطرة شديدة بنوع من الضعف الذي تظهره، حتى أصبح الولد ضعيفاً جداً أمام ضعفها. ولكنه ممزق بين خضوعه لضعفها، ورغبته في التخلص من هذا الخضوع.

ووصلت به الحال إلى أنه يتعنى الموت بسبب ما هو فيه، ويشفق على أمه أن يؤدي بها ذلك إلى الحزن والمرض. والذي يقض مضجع الولد هو الأفكار، وأحلام اليقظة، وخيالات ترتبط بما عنده من رغبات مكبوتة، وصراعات نفسية عنيفة معقدة، وترجع كل هذه المظاهر في هذه الحالة إلى أسباب أخرى أعمق من هذه بكثير يرجع تاريخها إلى سني الطفولة الأولى، ولا يمكن الاقاضة في بسطها في هذا المقام.

التقلب والمشى والكلام في أثناء النوم

ويشبه الأرق النوم المصحوب بالتقلب، وكثرة الحركة، والمشى، والكلام والصياح وبعض هذه المظاهر قد يحدث في صغار الاطفال، وكثيرا ما تكون عرضية لا يجوز أن يعلق عليها كبير أهمية. فكل شخص يغير وضعه في أثناء النوم. والشخص العادي يغير وضعه حوالي ٣٥ مرة في الليلة الواحدة، وذلك ليعطى كل جزء من أجزاء جسمه فرصة كافية للاسترخاء والراحة. ولكن يجب توجيه الاهتمام إذا تكرر التقلب والمشى والكلام وما إلى ذلك بدرجة غير عادية. ويجب إذ ذاك أن ندرس الحالة أولا من ناحية الأسباب الجسمية كسوء الهضم. أو الإمساك أو الإفراط في الأكل قبل النوم، أو بعض اضطرابات الغدد كالغدد الدرقية، أو وجود الديدان، وأن ندرس كذلك نوع الغطاء ونوع الفراش ونوع التهوية وما شابه ذلك.

وإذا تأكدنا أن هذه الأسباب لا ترجع إليها مظاهر النوم المضطرب فلنبحث عن احتمال فقدان الطفل شعوره بالأمن، أو اختفاء شخص معين عزيز على الطفل بالوفاة أو السفر أو الطلاق أو ما شابه ذلك. وطبيعي أن اضطرابات الأطفال كاضطرابات السكار لا تظهر في أثناء النهار، وذلك لانشغال الفرد بمجرى الحياة العادية من عمل ولعب، وهذا نوع من الكبت. وتجد النزعات المكبوتة فرصة طيبة للظهور في أثناء الليل في الأحلام، وتكون هذه المظاهر وهي التقلب، والمشى، والكلام، وغيرها أجزاء من الأحلام. والحالة النفسية الأساسية التي ترتبط عادة بهذا النشاط في أثناء الليل هي الخوف، ولو أن هناك أنواعا أخرى من النشاط يكون الفرد قد عاش في جوها في أثناء النهار، ولكنه لم يشبع رغبته اشباعا كاملا منها فيعيش فيها في أثناء الليل. فإذا شاهد أحد الأولاد مباراة كرة القدم، وكانت له رغبة في اللعب لم يستطع تحقيقها فإنه قد يحلم بالليل



أنه يلعب. وقد يأتي ببعض الحركات المصاحبة لذلك كالرفس مثلا. مثال على ذلك ان احد الطلبة في مصر في أثناء ثورة ١٩١٩ يقوم بالليل من سريره ويخطب ويهتف.

وكان هذا الطالب يتمنى العظمة والشهرة والقدرة على الخطابة، ولكن والده يقيد حركاته وسكناته، وكان يمنعه من الاشتراك في نشاط الحركة الوطنية وما فيها من خطب وهاثافات ومظاهرات وغير ذلك. ومن بين الحالات التي درسناها، حالة شاب يجلس في سريره فاتحا عينيه كأنما يراقب شيئا والمرجح من دراسة تاريخ حياته أن هناك عاملا مهما في ذلك هو أنه كان أحيانا يرى حدوث العملية الجنسية بين والديه مما جعله بفزع وبهم لمراقبتهما واستمر معه هذا إلى أن كبر وتزوج.

ومن الحالات النادرة، حالة غلام كان يقوم بالليل، ويلبس ملابسه ويخرج من غرفة نومه ويفتح الأبواب ويمشي، وكان يقطع ما يقرب الميلين، إلى أن يصل إلى المقابر حيث دفن والده؛ وهناك يركع ويتلو عليه أدعيته وصلواته، ثم يعود إلى منزله وينام في سريره^(١). وفي حالة أخرى أن بنتاً كانت تقوم من سريرها وتذهب للمطبخ وتوقد (شمعدانا، وتمسك به وتمشي إلى الباب الرئيسي للمنزل وتقف (بالشمعدان) في يديها وظهرها ملصق بالباب.

وكان محور حالة هذه البنت أنها كانت تخاف اللصوص فكانت بعملها هذا كأنها تحرس المنزل منهم^(٢).

ومعظم حالات النوم المضطرب بأنواعه تكون في الأطفال عرضية ولكن إذا تكررت بحيث يحتاج الأمر لدراستها بطريقة مستفيضة، فليتجه البحث

D. Thom. : Everyday Problems of the Everyday Child (١)

(٢) من حالات احدى العيادات السيكولوجية بلندن عن لسان الدكتور هاملتون بيرسون (Pearson) الاختصاصي النفسي بمعهد علم النفس الطبي بلندن .

بعد استيفاء الناحية الجسمية إلى الحياة الانفعالية للفرد، والبحث عما هو مكتوب
عنده من نزعات يراد تحقيقها بطريقة مشبعة.

ومن أنواع الاضطراب الشائعة في النوم التبول، لا سيما بعد انتهاء
المرحلة التي يجب أن يكون قد وصل الشخص فيها إلى المقدرة على ضبط
الجهاز البولي. ونظرا لشيوع هذه المشكلة سنفرد لها بحثا خاصا.

التبول اللاإرادي

كثيرا ما نجد بعض الأطفال يتبولون في اثناء نومهم بالليل في سن كان
ينتظر منهم أن يكونوا فيها قد تعودوا ضبط جهازهم البولي والاستيقاظ لتفريغ ما
تجمع في مثانتهم من بول وسن ضبط جهازهم البولي تختلف من طفل إلى آخر
اختلافات كبيرة يرجع بعضها إلى حساسية الجهاز البولي، وإلى حجم المثانة
وسعتها. وسن ضبط الجهاز تقع بالتقريب في الثالثة من العمر، ولو أن بعض
الأطفال يضبطون قبل سن الثانية بكثير^(١).

وإذا استمر الطفل يتبول وهو نائم إلى ما بعد الرابعة، فعلى الآباء أن
يفسكروا جنبا في الأمر. وفي بعض الحالات ينجح الطفل في ضبط نفسه في
سن مبكرة. ولكن لسبب عارض، قد يحدث أن يتبول الطفل وهو نائم في سن
متقدمة بعد أن تمر سنوات عديدة دون أن يحدث منه ذلك.

ومن هذه الأسباب العارضة الإصابة بالبرد العادي أو كثرة أخذ السوائل
قبل النوم كمص القصب، أو ما شابه ذلك. وقد يكون السبب العارض انفعاليا.
مثال ذلك أن طفلا كان قد نجح في تكوين عادة ضبط الجهاز البولي من سن
الثانية، وأريد إزالة لوزتيه وزوائده الأنفية لتضخمها تضخما شديدا في سن

(١) وهناك حالة لبنت تمكنت من ضبط نفسها في الشهر الرابع من عمرها ، وقد ذكرتها الدكتورة

أليس هتشينسون في كتابها Alice Hutchinson ; Motives of Conduct in Children

السابعة، وفي مساء اليوم الذي نقرر فيه إجراء العملية تبول أثناء نومه. وواضح أن التبول اللا إرادي في هذه الحالة مرتبط بحالة الخوف الطارئة على ذهن الولد.

وعلى هذا فعلى الآباء إلا يعيروا حادثة واحدة من حوادث التبول من الاهتمام ما قد يثبتها في ذهن الطفل، ويشعروا بالذنب، وبالنقص، وبالذلة بسبب هذا الحادث المفرد.

ولكن الذي يجب أن يسترعى الاهتمام للتبول المتكرر في أثناء النوم بعد سن الرابعة أو الخامسة. وقد يستمر بعض الناس هكذا إلى سن العشرين. وقد يستمر البعض إلى ما بعد ذلك.

الأسباب الجسدية وعلاجها

الواجب الأول في دراسة حالات التبول هو الفحص الجسمي الدقيق الشامل، فقد تكون هناك أسباب جسمية عامة كفقير الدم، أو الاضطرابات العصبية العامة، أو انتشار (التوكسينات) في الجسم لوجود بؤره (للتوكسين) يجب البحث عنها ومهاجمتها، وقد يكون هناك أسباب جسمية محلية كاتنة في الجهاز البولي كالكلبتين، أو المثانة، أو مجرى البول. وقد تكون الأسباب الجسمية المحلية مما يؤثر في الجهاز البولي كالتهاب المستقيم مثلاً. ويبالغ بعض الناس في أهمية الأسباب الجسمية دون غيرها. ويبالغ آخرون في أهمية الأسباب النفسية دون غيرها. ولكننا ندعو إلى ضرورة الاهتمام بهما معاً، وندعو كذلك إلى ضرورة التثبت من علاج ما يحتمل وجوده من عوامل جسمية. ويمكن تقسيم العوامل الجسمانية التي يجب فحصها في التبول إلى ما يأتي:

١. حالة البول وجوب معرفة ما إذا كانت درجة حموضة البول عالية، أو إذا كان هناك التهاب في حوض الكلية (Pyelitis) أو التهاب في المثانة

١. (Cystitis) أو التهاب في الحالب أو وجود حصوات في أي جهة من الجهات (الكلى أو الحالب أو المثانة).
٢. حالة التهاب مجرى البول المعروفة في الذكور باسم (Urethral Inflammation) وفي الإناث باسم (Vulvo Vaginitis).
٣. التهابات المستقيم (Proctitis).
٤. الديدان المعوية والبلهارسيا والانتكستوما.
٥. عدم اتحام العمود الفقري في أجزائه السفلى واسمه Spina Bifid Occult.
٦. الإمساك وسوء الهضم.
٧. تضخم اللوز واللوزائد الأنفية.
٨. الحالة العامة كالانهك العصبي وفقر الدم ونقص (الفيتامينات) وما إلى ذلك.
- ويجب علاج الحالة الجسمانية التي يحتمل أن تكون أحد العوامل الأصلية أو المساعدة التي تؤدي إلى التبول علاجاً حاسماً عند بدء ظهورها.
- ومن الجائز أن يستمر التبول حتى بعد علاج العامل الجسمني بحكم العادة. فيجب بعد ذلك العمل على تكوين العادات اللازمة للتغلب على البول في أثناء النوم.
- ومن الحالات التي أرسلت إلى العيادة السيكولوجية، ولد عمره ثلاث عشرة سنة كان يتبول وهو نائم، وكان ضعيفاً شاحب اللون، وانتضح أنه مريض بالبلهارسيا، وبالتهاب في قناة مجرى البول، وكان يسعل صباحاً ومساءً، وعنده بعض الالتواء في العمود الفقري. وكان الولد بالقسم الداخلي في إحدى المدارس، وأمكن علاجه من الكثير مما كان به من الأمراض مما حسن في صحته العامة، ومكنه من بذل جهد مثمر. وأمكن عمل الترتيب اللازم لإعطائه الطعام المغذي المناسب.



وهناك حالة أخرى لولد أرسل في سن السابعة والنصف إلى العيادة لما عنده من تهتهة، وتبول، وبعض حركات عصبية. واتضح بفحصه أنه شره وضعيف البنية؛ إذ أن وزنه أقل من العادي بالنسبة لطوله وسننه بمقدار خمسة كيلو جرامات تقريبا، واتضح كذلك أن عنده احتقانا في اللوزتين، وأن لديه زوائد متضخمة. وبتحليل البراز وجدت به بويضات وديدان (الأوكسيروس) (Oxyuris) وكان واضحا بدراسة ظروف الحالة من الناحية الاجتماعية أن أول وأهم ما يحتاجه هو العلاج الجسماني.

وقد تعاونت الأسرة مع للعبادة تعاوننا كاملا، فأزيلت اللوزتان والزوائد، وعولج من (الأوكسيروس)، ونصحنا الأسرة أن ينام الطفل بمفرده - إذ كان ينام مع أخت له كانت تتبول أحيانا - وألا يذهب للمدرسة حتى يتقوى جسمه وذلك بأن يلعب للعب الكافي ويتغذى. وبالفعل تحسنت حالته كلها، فقلت حركاته العصبية وقلت تهتهته. وللحالة ظروف واعراض أخرى غير ما ذكرنا.

الأسباب النفسية:

وفي بعض الأحيان يرفع للتبول إلى عوامل نفسية أهم عنصر فيها هو عنصر الخوف، سواء أكان قائما بذاته أم داخلا في تكوين انفعالات مركبة. وقد يكون الخوف قائما بذاته، كما في الخوف من الظلام، أو من الحيوان، أو من التهديد، أو بعد سماع قصة مزعجة. أو غير ذلك.

وقد يدخل الخوف في تركيب انفعال آخر كالغيرة؛ فمن الانفعالات الداخلة في تركيب الغيرة خوف الشخص من فقد امتياز معين فقدانا نهائيا. ففي حالة مجيء مولود جديد في الأسرة، قد يهتم به الوالدان ويهملان من قبله. فتبدو على هذا مظاهر الغيرة بصورة أو أكثر من صورها المتعددة، ويصحبها في ذهن الطفل خوف من أنه فقد اهتمام والديه به إلى الأبد. ويصحب هذا أيضا شعور بالنقص، وكثيرا ما يصحب الغيرة من مولود تبول، أثناء النوم.

وليس من السهل ارجاع حالة التبول إلى عامل عائلي واحد، كظهور مولود في الأسرة. أو تفضيل أحد في الأسرة على صاحب الحالة، أو وفاة عزيز، أو غير ذلك بل نجد عادة أنه يترتب على تغير الجو لاذي يسود البيئة التي يعيش فيها الطفل فقدته بقتة بنفسه، وخوفه على مركزه في الحال أو الاستقبال، مما يسبب له أحلاما مزعجة في أثناء الليل، يصحبها أحيانا فقدان القدرة على التحكم في ضبط عضلات الجهاز البولي.

لنأخذ حالة توضح ما نقول، وهي لولد في سن الثامنة يتبول في أثناء نومه مرات عديدة في كل ليلة، وقد بدأ ذلك عقب وفاة والد الطفل وهو في سن الرابعة، أي بعد أن كان قد قطع مرحلة طويلة في ضبط نفسه من التبول. وبدراسة الحالة وجدنا أن الحالة الصحية طيبة وخالية من جميع الأسباب الجسدية التي يحتمل رجوع الحالة إليها. وأن الأسرة كانت حالتها المالية فوق المتوسط، وكان الوالد شابا ناجحا جدا في عمله، وكان كل من الوالد والولد متعلقا تعلقا شديدا. فكان يأخذ ابنه معه في نزهاته، وفي الحفلات الكثيرة التي يدعى إليها. وكان الولد لحيويته وجمال شكله ونكاته ولباقة موضع فخر والده، وموضع التفات أصدقائه.

فكان الوالد بذلك مرتبطا في ذهن الولد برباط جميل سار. مات الوالد فجأة، وشاهد الولد بعض ما يصحب الوفاة من أمور مزعجة غير عادية. وبذلك حدث انقلاب فجائي في مجال حياة الطفل، ولاحظ أن الأم كانت أقل تعلقا بالابن من الوالد، وكانت أكثر تعلقا بابنتها الصغرى منها بالولد، وبعد وفاة الوالد حصل هبوط شديد في مستوى موارد الأسرة مما اضطرها إلى تغيير مستوى معيشتها تغييرا كبيرا جدا. فقد أخذت الأم أولادها وسكنت مع أمها في مسكنها الذي لم يكن يتمتع أصلا لها ولا بنتها الأخرى وابنها. ومع ذلك رتب المنزل لإخلاء غرفة للولد وأمه وأخته.

وبعد مدة قصيرة تضايقت الجدة من الأولاد ومن ميلهم إلى الحركة واللعب والصباح، الأمر الذي لم تعتده في سنواتها الأخيرة. فكانت تعلن سخطها وتضايقها على مسمع من الأولاد، ونظرا لأن الولد أكثر نشاطا وإقلافا من البنت، كان يخصه من سخط جدته النصيب الأكبر، وما وصل الطفل إلى سن السادسة حتى بدأ يحدث في مجال حياته تغيير جوهري آخر وهو أن أمه بدأت تفكر في الزواج، وكان الولد غير راض بهذا الزواج.

وعدم رضائه قد يكون بعضه بوحى ممن حوله من جدة وخال وخالات وأقارب، وبعضه قد يكون لأنه كان يحس احساسا غامضا أنه يمكنه أن يحل محل الولد بعد وفاته، فكان يريد أن يحتفظ بهذه المكانة. وبعضه قد يكون راجعا لأن نفسه تلبى أن يحل شخص غريب محل أبيه. وبعضه قد يكون راجعا لما يسمعه من أن زوج الأم يجعل جو المنزل عادة غير سائغ لأولاد من زوج آخر.

خلاصة الأمر أن الولد كان كارها لهذا المشروع وكارها لأمه^(١) وبالتالي أصبحت أمه تكرهه وكانت تؤلب أخته الصغيرة عليه لدرجة أنها كانت تطلب منها أن تبصق في وجهه إذا هو غاضبا، ولهذا أصبح مركز الطفل في مجال حياته ينتقل بسرعة من سيئ إلى أسوأ، فبعد أن فقد الولد أباه، لم يجد أمه ولا جدته عوضا، بل بالعكس، وجد فيهما خصما على تقديره. وأخذت هذه الخصومة تزداد، وبذلك ازدادت مخاوفه وازداد ضعف ثقته ببيئته زيادة كبيرة.

لوحظ الولد في أثناء نومه، وكان يتقلب وينام نوما مضطربا، وكان عند تبوله في أثناء نومه يصيح ويشتم موجها شتائمه للنساء، وكان تبوله مصحوبا بشبه كابوس شديد، وكان من أحلامه أن يحلم بمصارعة الثعابين، التي كانت تعضه وتقلبه على أمره. ولعل الثعبان كان في أحلامه رمزا لخطيب الأم.

(١) لنا على وجود هذه لكرامية لساليب التماثل المتبادلة بين الولد وأمّه ، وغلبة الظن أنها كانت غير شعورية .

حاولت العيادة الحصول على تعاون الأم في المساواة في المعاملة بين الولد والبنت، وفي بذل جهد في معاونة ابنها على تكوين عادة الاستيقاظ، وفي تحسين مركز الولد بتحسين مجال حياته. والوصول به إلى شعوره بحب والدته وتقديرها له؛ ولكن الأم لم تتعاون مع العيادة بل كانت تريد أن تعالج ما عند ابنها دون أن تبذل هي من جانبها أي نوع من الجهود أو التضحية. فكانت تريد دواء تعطيه لابنها ليتناوله حتى يشفي ما به. أما أن يطلب منها بذل جهد ما، فهي تفضل أن يستمر ابنها فيما هو فيه.

ومعظم الحالات الأخرى يرجع فيها السبب إلى أن مجال حياة الطفل يفقده الشعور بالأمن، فتصبح قلقه، ويبدو قلقه هذا في مظاهر متعددة لا يخرج التبول في أثناء النوم عن كونه واحداً منها. فحالات التبول تظهر معها التهيبة أحياناً يكون معها الجبن وضعف الثقة بالنفس، ويظهر معها أحياناً الميل الشديد إلى التخريب ونوبات الغضب والميل الشديد إلى المعاندة كما في الحالة التي فصلناها.

ويلاحظ في حالات كثيرة أنه ليس من السهل تحديد السبب أو مجموعة الأسباب التي يرجع إليها التبول في أثناء الليل. ففي إحدى الحالات التي وردت للعيادة وهي حالة تلميذ بالقسم الداخلي بمدرسة ابتدائية كان في الثالثة عشرة من عمره، أرسل للعيادة لخموله الدراسي الشديد، ولتبوله في أثناء الليل. وكان الولد ضخم الجسم سمين الصدر والردفين، مما يشعر باحتمال اضطراب في إفرازات الغدة النخامية، ولا سيما أنه متأخر بعض الشيء في نموه الجنسي، وقد أدت ضخامته وغرابة شكله وسلوكه إلى استهزاء التلاميذ به، وأغرتهم بإثارته، وهو قليل الاستقرار، كثير الحركة، كثير الكلام يميل إلى العمل المدرسي اليدوي كالرسم والأشغال، ولا يميل إلى العمل العقلي. وهو لا يشعر بالمسئولية، ولا يعرف ما له وما عليه.



وهو يهمل نفسه كثيراً، ويتهيج إذا أثاره زملاؤه. والداه متوفيان، وقتل أخوه بعد وفاتهما وأصبح الولد في هذه السن المبكرة وحيداً. ولا يوجد على قيد الحياة من أقاربه سوى خاله وابن عم أبيه.

وهو بالإضافة إلى هذا كله مصاباً بالبلهارسيا، وعنده زوائد أنفية، وهو يميل كثيراً إلى أكل الأشياء الشديدة للحلاوة. هذا الولد لديه مجموعة من العوامل الجسمانية والاجتماعية التي يصح أن يترتب عليها التبول في أثناء الليل. ويجب عدم البدء بأي نوع من أنواع العلاج الأخرى إلا بعد التأكد التام من أن جميع الاحتمالات الجسمانية التي يصح أن يرجع إليها التبول قد أزيلت. فالواجب الأول هو علاج البلهارسيا وإزالة الزوائد الأنفية، وبحث حالة الغدة النخامية، وعلاج ما قد يكون بها من نقص بإعطاء مستخلص بعض الغدد اللازمة مثلاً. بعد هذا كله يمكن أن يمرن على عادة الاستيقاظ في الأوقات المناسبة للتبول، ثم تعالج نواحي النقص الاجتماعية الأخرى ما أمكن. ولم تتمكن العيادة من تطبيق الخطوات السابقة الذكر لانتقال الولد من القاهرة إلى الاسكندرية وانقطاع صلته بالعيادة.

ومن أهم أسباب التبول اعتماد الطفل على أمه، أو حاجته للجوء إليها. ففي كثير من حالات التبول نلاحظ أن الطفل يعتمد كثيراً على أمه؛ فهي تطعمه، وتلبسه، وتقوم له بكل صغيرة وكبيرة، والتبول هنا قد يكون حيلة لا شعورية تساعد على تحقيق ما تشاق إليه نفس الطفل مما تعود.

ويلاحظ أيضاً أن الحالات التي يكون فيها الأب قاسياً على الطفل يكون الطفل فيها بحاجة إلى اللجوء إلى الأم، والتبول قد يأتي بأمره قلبية منه. ونجد في الحالة التي شرحناها بالتفصيل في أن العامل الهام هو أن فقد الأب ربما زاد في حاجة الطفل إلى أمه، وقد كانت الأم بالإضافة إلى ما تقدم لا تتركه يعتمد على نفسه في شيء، حتى أنها كانت هي التي تجيب عن الأسئلة التي

نوجهها إليه، ووصل به الأمر أنه - وهو في سن الثامنة - لم يكن يعرف كيف يلبس حذاءه ولا قميص نومه، وربما كان هذا الاعتماد على الأم عاملاً آخر يتدخل في حدوث تبوله.

وربما كان اعتماد الطفل على أمه تفسيراً مقبولاً لما يلاحظ في حالات عديدة من تبول الطفل الأخير أو الشبيه بالآخر، أو الوحيد، أو الشبيه بالوحيد. وربما أمكن أحياناً أن يفسر بنفس الطريقة تبول الطفل الذي يمرض كثيراً وهو صغير، فينال من أمه عناية زائدة ثم يشفى بعد ذلك، ويكبر، ثم يبدأ يفقد هذا الامتياز وهو لا يقوى علة فقده. من هذا كله نتبين قيمة تحرير الطفل من اعتماده على أمه في جميع أموره بما في ذلك التبول وغيره.

وفي ضوء ما تقدم نرى أن التبول اللاإرادي يمكن النظر إليه - في عدد غير قليل من الحالات - على أنه تعبير لا شعوري من النوع الذي سميناه النكوص - أي الرغبة اللاشعورية للرجوع إلى حالة الطفولة التي يتمتع فيها الطفل برعاية الأم. وقد وجد بعض الباحثين أن أكثر من ٥٠% من حالات التبول اللاإرادي التي ترسل إلى العيادة السيكولوجية في أوروبا فقد الطفل فيها عطف أمه ورعايتها وعنده حاجة شديدة إليها.

مصاحبات التبول

للتبول في أثناء النوم مصاحبات بعضها نتائج للتبول نفسه، وبعضها نتائج للأسباب التي نتج عنها التبول. ولعل أبرز هذه هي النتائج للمحسوسة كاتساخ الفراش وتعرضه للتلف وتلويث هواء غرفة النوم، التي تكون عادة قليلة التهوية غاصة بالنائمين، ومن هذه المصاحبات كذلك الأعراض السيكولوجية التي تنتج من الشعور بالنقص، أو فقدان الشعور بالأمن.

وهذه الأعراض إما أن تكون من نوع الشعور بالنقص، أو فقد الشعور

بالأمن، كالفشل الدراسي، والشعور بالذلة، والخجل، والميل إلى الانزواء والتهتية، والنوبات العصبية والاستمناء، وغير ذلك؛ وإما أن تكون الاعراض تعويضية كالعناد، والتخريب، والميل إلى الانتقام، وكثرة النقد، وسرعة الغضب، وغير ذلك. ويصاحب التبول -في كثير من الحالات- لنوم المضطرب، والأحلام المزعجة، وتدهور الحالة العصبية.

ويبدو أن هذه الأحلام مجرد مصاحبات للتبول، وليست سببا له. وقام أحد الباحثين بدراس أنواع الشخصية في حالات التبول فوجد بعد استثناء حالات الضعف العقلي وما يشبهها أنه يمكن تقسيم أصحاب الحالات إلى نمطين اثنين.

أحدهما النمط العصبي الهائج الزائد النشاط، وثانيهما النمط الليمفاري الخامل القليل النشاط. والنوع الثاني يكون عميقا في نومه، ويغلب أنه لا يحس بامتلاء مثانته. أما النوع الأول فيغلب أن يكون العامل الأساسي عنده هو اضطراب حياته الانفعالية بسبب اضطراب مجال حياته.

ويحدث للتبول أحيانا عند المراهقين مصاحبا لبعض الأحلام الجنسية ويبالغ بعض أتباع فرويد فيعتبرون أن نشاط التبول سببه جنسي، فبعضهم يتكلم عن التلذذ للمجاري البولية (Urinary Sexuality or Urethral Erotism) وهذا الرأي قليل الانتصار.

ومن الملاحظ أن النجاح في علاج حالة التبول تنقشع معه كثير من مصاحباته، لأن الذي يعالج عادة ليس التبول فقط، وإنما هو المجال الذي يعيش فيه الطفل والذي يترتب على صفته العامة فقد الشعور بالأمن، والذي يكون التبول فيه عرضا واحداً من مجموعة صغيرة من الأعراض وتزول مع حالة التبول في كثير من الأحيان نتائجه المباشرة كالشعور بالذلة، والخجل، والتأخر الدراسي، والميل للموحدة، وما شابه ذلك.

العلاج والوقاية

سبق أن ذكرنا أنه يجب التأكد أولاً من سلامة الجسم من كل ما يحتمل أن يكون عاملاً فعالاً أو عاملاً مساعداً في عملية التبول. ولهذا يجب فحص حالة الجسم العامة والمحلية فحصاً دقيقاً، ويجب تحليل البول والبراز والدم لهذا الغرض. وببالغ بعض المعالجين أحياناً في علاج الناحية الجسمية بمحاولة إعطاء أنواع من الحقن أو توسيع مجرى البول أو تنظيف المثانة...

وغير ذلك وكان الأطباء إلى ما يقرب من ربع قرن مضى يعتقدون أن المشكلة جسمية صرفة، ولسكنهم بدؤوا يرون في السنوات الأخيرة أنها يمكن في غالب الأحيان أن تكون ذات أصل سيكولوجي.

ويجب أن يتجه ذهن بعد استكمال الفحص الجسمي إلى تحسين حالة البيئة التي يعيش فيها الطفل. فيجب أن يعيش الطفل مطمئناً، ولذلك يعالج ما قد يكون بين الوالدين من خلاف، وتعالج طريقة معاملة الوالدين للطفل. ويعالج كذلك ما قد يكون هناك من غيرة أو فشل دراسي.. أو ما إلى ذلك.

ويلاحظ أن الوالدين -عند مواجهتهما للتبول - يقعان عادة في كثير من الأخطاء. ويؤدي بعض هذه الأخطاء إلى تثبيت المشكلة، أو الإحباط بشدة أهميتها وصعوبة التخلص منها، أو الإحباط بثبوتها في طبيعة الطفل لدرجة لا يفيد بذل أي مجهود لإزائها.

ومن هذه مثلاً أن يعلن الآباء أن الطفل يشبه في تبوله في أثناء نومه بعض أقاربه، مما قد يوحي بأن المشكلة وراثية وبالأمل في التخلص منها. كذلك قد ينسب الآباء المشكلة إلى سبب جسماني، فيهملون العلاج النفسي، وقد يغفلون عن السبب الجسمي رغم أهميته فيصعب على الطفل إذ ذلك تكوين العادات اللازمة للتغلب على مشكلته لأن السبب جسماني صرف كالتهاب المجاري البولية أو غير ذلك. ومن أخطاء الآباء أن يعلنوا أن الطفل سيتغلب



على مشكلته هذه بعد نموه نموا كافيا، وبذلك يكونون أنفسهم مؤونة بذل الجهد في مساعدة الطفل للتغلب على مشكلته.

ويجب التنبيه إلى ضرورة عدم إذلال الطفل، وعدم ضربه وتوبيخه أو معاملته بالضرب، أو لصق وصمة به، أو اعتباره بانسأ مسكناً... إلى غير ذلك. فهذه كلها أساليب من شأنها أن تعود الطفل توقع الشر ويفقد القدرة على ضبط المثانة بسبب الخوف والإحساس بالنقص، ولكن يجب أن يعامل بالعطف والإرشاد العاديين، على ألا يبالغ الآباء في العطف فيشتطون في مراعاتهم شعور الطفل إلى حد أنهم يخفون مثلاً معالم التبول قبل أن يشعر بها الطفل نفسه بأن يغيروا له ملابس أو فراشه قبل أن يستيقظ من نومه، وهذه المبالغة في مراعاة إحساس الطفل توحى له بخطورة المشكلة وأهميتها، وصعوبة التغلب عليها.

ويراعى في معالجة حالة التبول أن يشعر الطفل بضرورة معالجتها، وأن علاجها أمر بسيط يتوقف نجاحه كله عليه شخصياً، وأن المشكلة خاصة به وليست مشكلة أمه أو أبيه، ولو أن العلاج يحتاج في أول الأمر إلى مساعدة الكبار المحيطين بالطفل، كإيقاظه في ساعة معينة في الليل تقع غالباً حوالي الحادية عشرة تقريباً. وأكبر صعوبة تقابلها العيادة أنها لا تحصل عادة على المعونة الكافية من الكبار المحيطين بالطفل؛ فالأمهات لا يردن عادة أن يبذلن للمجهود الكافي. ولا صبر لهن على التطبيق المنتظم المتكرر لقاعدة معينة جديدة.

وكثيراً ما كن يقلن انهن طبقن كل التعليمات التي أعطيت، ولا فائدة، ولا نتيجة. وبالاستقصاء الدقيق ينصح أن التعليمات لم ينفذ منها شيء قط. فإذا أمكن التأكد من معاونة الأمهات، وكانت عملية غرس فكرة في الطفل ناتجة عن قدرته على التغلب على صعوبة عملية سهلة يقوم بها الاختصاصي النفسي.

ويمكن تلخيص عوامل نجاح معالجة حالات التبول في: المواظبة، والدقة في تنفيذ النظام الذي تضعه العيادة، وفي وجود الاهتمام الكافي من جانب الطفل والأم وفي الثقة بالنجاح.

وهذه الثقة تزداد عادة بالنجاح نفسه والشعور بمقداره، ويأتي هذا كله بعد التأكد من إزالة الأسباب الجسمية أو العوامل الانفعالية الناشئة عادة بدورها من مجال حياة الطفل.

ويصح أن نضيف هنا بعض القواعد التي يجب أن تراعى بوجه عام مع كل طفل، وينوع خاص مع الطفل الذي تكون لديه حالة يتبول في أثناء النوم:

١- اتباع نظام دقيق جداً لمواعيد التبول وتنفيذ هذا النظام من الأشهر الأولى^(١).

٢- تعويد الطفل نهارا ضبط نفسه مدة كافية، وذلك بالمباعدة بين أوقات ذهابه للتبول نهارا، ويمكن الناشئ بالتعمرين أن يتبول مرة كل أربع ساعات أو خمس. ومع ذلك يجب تعويد الطفل تلبية الحاجة للتبول في الوقت المناسب، لأن حبس البول مدة طويلة جدا يفقد المثانة قدرتها الطبيعية على حجز البول.

ويجب تعويد الطفل الاستيقاظ ليلا، بإيقاظه إيقاظا تاما لهذا الغرض بعد ذهابه للنوم بساعة ونصف تقريبا، ثم يوقظ مرة أخرى بعد ذلك بأربع ساعات أو خمس، ويمكن كل أم أن تكتشف الوقت المناسب لإيقاظ طفلها. ويجب تعويد الطفل للتبول قبل نومه مباشرة.

٣- استيفاء الشروط الصحية المعروفة للتغذية، واللعب، والنوم، من حيث

(١) هذا النظام يمكن الإطلاع عليه في أي كتاب من كتب تربية الأطفال مثل - دستور الطفل

للدكتور مصطفى الديبوني - الفصل الخامس. Alice Hutchinson ; Motives of Conduct in Children CG. Aupyn The Family Book L. Chaloner: The Mothers Encyclopedia



الكمية والنوع والمواعيد.

٤- منع أكل الأشياء التي تتطلب شرب كميات كبيرة من الماء، كالمواد الحارقة أو الشديدة الملوحة أو الحلو.

٥- منع تناول السوائل بكميات كبيرة قبل النوم.

٦- منع جميع المهيجات المحلية في الأجهزة البولية وما حولها ومنع مسببات الإمساك.

٧- مساعدة الطفل على التغلب على ما يجعل عملية التبول صعبة وهذه الصعوبات قد تكون في الملابس، فيجب أن تكون الملابس بحيث يسهل حلها عندما تظهر الحاجة إلى ذلك. وقد تكون الصعوبة في المكان المخصص للتبول كبعده أو ظلامه أو ظلام الطريق المؤدي إليه، أو في عدم ملاعته لأمر ما، مما قد يدفع الطفل إذا هو استيقظ للتبول في أثناء الليل إلى تأجيل عملية تفريغ البول إلى الصباح، وبذلك قد تفرغ مثانته رغم إرادته.

٨- إذا كان الطفل يخاف الظلام فليكن في غرفة نوم ضوء بسيط جدا أو (بطارية) أو إناء خاص للتبول، أو فليصاحبه أحد الكبار المحيطين به إلى دورة المياه.

٩- زيادة ساعات النوم والراحة للطفل الذي يتبول في أثناء النوم؛ إذ يكون هذا النوع من الأطفال عادة متعب الأعصاب. ولزيادة ساعات الراحة، - خصوصا في القيلولة - أهمية أخرى وهي أنها تقلل من عمق النوم بالليل لأن هذا العمق يجعل الاستيقاظ أمرا عسيرا. واغلب الذين في نومهم ليلا لا يوقظون عادة إلا بصعوبة كبرى.

١٠- توفير ما يؤدي إلى إشباع لطفل حاجاته الأولية من أمن وتقدير وعطف وحرية... وما إلى ذلك.



التبول في أثناء اليقظة

وتوجد بعض حالات التبول في أثناء اليقظة، ولو أن هذه العادة عرضية وقليلة الوقوع، وتحدث غالبا في المواقف التي ينشغل فيها ذهن الطفل انشغالا كبيرا باللعب أو المشاجرة أو المناقشة أو غير ذلك. ويظل الطفل يؤجل عملية إفراغ مثانته إلى أن تأتي اللحظة التي لا يقوى فيها على ضبط نفسه إذ ذاك غير كاف للذهاب إلى المكان المناسب لعملية التفريغ.

وبعض الأطفال ينسون أنفسهم، وينصرفون للعبهم، فتفرغ مثانتهم، ولا يتنبهون إلا في وقوع الحادث.

وواجبنا في هذه الحالات أن نتحدث إلى الطفل، ونفهمه ما يجب عمله بمجرد الشعور بالحاجة إلى التفريغ، ونفهمه أنه إن تكرر منه هذا فإنه ربما لا نسمح له باللعب مع أصدقائه، ذلك اللعب الذي ينسيه أداء هذه العملية، ويكون هذا في العادة كافيا لمعالجته.

ويحدث هذا نفسه أيضا في تلاميذ المدارس الأولية والرياض عند أول ذهابهم إليها وعدم تقديرهم لبعد دورات المياه عن حجرات الدراسة، ولتخرجهم أحيانا من طلب الخروج من الفصل، وغير ذلك من الأسباب العادية البسيطة التي تسهل معرفتها، ويسهل التغلب عليها إذا قدرت وحسب لها حسابها.

وقد يرجع التبول في أثناء اليقظة للغيرة، أو الخوف، أو عدم الشعور بالأمن. وقد حدث مرة أن كانت أم معها طفلا للوحيد، وعمره ثلاث سنوات، وكان قد تعود أن تحمله أمه على كتفها، وأن تجلس في حجرها إلى غير ذلك. وبينما هم في منزلهم إذ جاءتهم سيدة زائرة ومعها ابنتها التي تبلغ سنها سنة ونصف. وكما هي العادة أخذت الأم ابنة السيدة الزائرة وحملتها على كتفها، ولاعبتها وداعبتها.

وكان ابن سيدة البيت مولفاً، فبنت عليه الغيرة، وأخذ يشد أطراف ملابس والدته وأظهر علامات الضجر، فلأنزلت الأم ابنة السيدة الزائرة، ثم حملته وفيه غيره وخوف، ونكوص تبول وهو على كتف أمه، وهذا موقف قد يكون فيه غيرة وخوف. ونكوص، وانتقام من الأم...إلى غير ذلك.

ومن حالات التبول في أثناء اليقظة وفي أثناء النوم على حد سواء، حالة لبنت في السابعة من عمرها حولت إلى العيادة السيكولوجية، لعنادها وبذاءة ألفاظها ووقاحتها ومخالفتها كل أمر وتللها على كل من حولها.

واتضح أن هناك أمراً آخر لم ينكر في الشكوى، وهو تبول البنت (على نفسها) في حالتي النوم واليقظة، وباداسة الحالة اتضح أن البنت تعيش مع جنبتها لأبيها في ضاحية من ضواحي القاهرة، وجدها هذا متزوج بخالتها التي لم تكن تنجب أطفالاً إلا ماتوا في الأسابيع الأولى من عمرهم، فقد وضعت ما يزيد على عشر مرات (خمس بنين. وثلاث بنات، وبضع سقطات) أما والد البنت وأمها وبقية أولادها فإنهم يعيشون في بلدة بعيدة عن القاهرة. وهؤلاء الأولاد عندهم جميعاً أربعة بينهم ثلاثة ذكور تتراوح أعمارهم بين خمس سنوات وسنة واحدة، وكانت البنت التي نحن بصددنا أول أخواتها وأنتاهم الوحيدة.

وظهر أن زوجة الجد أو خالة البنت تسيطر على الجميع، فكلمتها المسموعة من الوالد. وهي بالرغم من قوتها ضعيفة للغاية مع البنت؛ إذ تذلها، وتجب كل ما يمكن تصوره من طالبتها، وتستجدي رضاها حتى تبقى معها ولا تطلب العودة إلى أمها وأبيها.

ويظهر أن البنت وقعت في صراع عنيف بين أن تمكث مع خالتها حيث يمكنها أن تتمتع بكل ما تريد متى شاعت، ولئن شاعت، وكيف شاعت، أو أن تذهب إلى مكانها الطبيعي مع أمها، ولبيها، وأخواتها، حيث يمكنها أن تلعب، وتتسلى، وحيث يوجد بعض النظام والضبط. يظهر أن البنت في هذا الصراع،

ومن نتائجه أنها أصبحت مزعجة من كل ناحية فهي تفني، وترقص، وتنتظر في المرأة الساعات الطوال، وتأكّل ما نشاء دون مراعاة للكيف أو الكم أو الوقت المناسب، وتذهب للمدرسة متى نشاء. وهي تعاند، وتخرب وتصرخ، وتشتّم الجميع من الجد إلى أصغر خادم في المنزل بأقذر الألفاظ. وتقطع الزرع، وتفتح بصنابير المياه لتغرق الحديقة كلها، وتكسر الأشياء عمدا. وتصر على طلبات في أوقات يستحيل تنفيذها فيها.. إلى غير ذلك وقد اشتكت منها الروضة مرارا وتكرارا وهي بالإضافة إلى كل هذا تتبول نهارا وليلًا. أرسلت البنت إلى أطباء اختصاصيين، ولم يجدوا بها ما يبرر عصبيتها وتبولها إلا بعض الإمساك. وقد نصحن الجد بوجوب إرسالها إلى أبويها، فتنهّد الرجل وقال إن زوجته ستموت كمدا إذا هي أرغمت على مفارقتها، ولم يكن هناك سبيل إلى إرغامها في نظره.

ونصحناه أيضا بوجوب تنظيم حياة البنت في منزل أبيها. وإلى أن يتم نقلها هناك نصحنه بوجوب منع الأكلات الصغيرة بين الأكلات الرئيسة لأن هذه هي التي تقلل ظاهريا من شهيتها وتدفعها لكثرة شرب الماء. ولكن في الزيارة الثانية للعيادة لاحظنا أن جيوب البنت محشوة بأنواع الحلوى، فلما وجهنا نظر الجد أقسم بأن هذا قليل جدا، ولم يدفع فيه أكثر من قرشين اثنين، إذ تعلقّت البنت ببائع الحلوى في الترام فاضطر حتى لا يقهر رغبته. وبعد زيارات طويلة متتالية وافق الجد على إرسال البنت إلى أمها وسافرت فعلا ثم انقطعت أخبارهم عنا رغم تكرّر كتابتنا لهم.

يتلخص علاج حالات التبول في أثناء اليقظة في أساسه في إعادة تنظيم مجال حياة الطفل حتى تزول أسباب قلقه، وحتى يتعود عدم التسويف إذا ما شعر بالحاجة إلى التبول.

ثالثاً: المشكلات العصبية والنفسية

من طبائع الأطفال كثرة الحركة، والميل إلى اللعب، وندرة التركيز والانتباه في أمر واحد لمدة طويلة. ويلاحظ أن الطفل لا يستقر نشاطه إلا في حالة واحدة؛ هي انشغاله بأمر لنيز يركز فيه كل اهتمامه وانتباهه. هذه كلها ملاحظات عادية يستفيد منها الإنسان بأنه إذا لاحظ أن طفلاً ما قليل الاستقرار، فليتدبر ما يصح أن يركز فيه الطفل انتباهه؛ وبذلك يصير الطفل سعيداً مستقلاً، ويصير الكبير قادراً في بعض الأحيان على الانصراف عنه والتفرغ لعمله.

وإذا كان هذا الذي يشغل الطفل عملاً إيجابياً له نتيجة يشعر للطفل بقيمتها بالنسبة له كان فيه خير وقاية للطفل من تعود الاستغراق في أحلام اليقظة، وكان فيه خير تدريب على وضع بذور الميل نحو النشاط المنتج وبذل الجهد.

ولكن يلاحظ أن عدم استقرار طفل معين قد يكون بصورة عامة بارزة يختلف فيها عن غالب الأطفال وقد يأخذ عدم الاستقرار صورة خاصة في حركة معينة كرمش العين، أو هز الكتف أو (فرقة) الأصابع، أو اتيان حركة بالأنف أو بالفم أو مص الأصابع، أو الشفاه، أو اللسان، أو قرص الأظافر، أو عض الأقلام، أو تنظيف الأنف بالأصابع أو عصر حبوب الوجه، أو اللعب بخصلة من الشعر، أو حك الرأس أو اللعب بالأعضاء التناسلية.. أو غير ذلك من مئات الحركات الخاصة التي تكون بؤره يتركز فيها النشاط العصبي غير الموجه.

العصبية العامة وانعدام الاستقرار

إذا لوحظ انعدام الاستقرار أو العصبية العامة في طفل ما فيجب دراسته

أولا من نواحيه الجسمية والوراثية، فيجب أن ندرس ما إذا كان لدى الطفل حالة جسمية يصح أن يتسبب عنها عدم الاستقرار، أو العصبية العامة، ومن هذه الحالات الديدان، وما يقتل من كفاية التنفس كتضخم اللوز، أو الزوائد الأنفية وسوء الهضم والاضطرابات الغذائية؛ وبالجمله كل ما يؤثر في الصحة العامة تأثيراً سيئاً. وأما من حيث الناحية الوراثية فكثيرا ما نلاحظ عدم الاستقرار. أو العصبية العامة في عدد من أقارب الطفل نفسه، وفي هذه الحالة يحتمل أن يكون الطفل قد ورث خصائص عصبية ساعدته على تكوين صفة العصبية أو عدم الاستقرار. ومن أمثلة ذلك حالة لينت في السابعة أرسلت للعيادة بسبب التبول اللاإرادي نهاراً وليلاً، ووصفتها الأسرة بأنها عصبية، فهي تغضب، وتبكي لأتفه الأسباب، وإذا غضبت فإنها تنثور وتضرب نفسها، وتخبط برأسها الحائط. وترفس برجلها، وبالجمله يكون كل جسمها في حالة اضطراب عند غضبها، وهي تغضب في غالب المناسبات. والبنث لا تعتمد على نفسها، وهي قليلة الثقة بذاتها، ولها هي التي تطعمها وتلبسها، وتقضي لها كل لوازمها. وتوصف الأم بأنها عصبية المزاج، وتصاب أحيانا بتشنجات. والوالد كذلك عصبي وهو يصاب بنوبات انقباض شديدة ويشعر بضيق الحياة وباليأس. ويصل به الأمر في النوبات التي تصيبه إلى أن يبكي بكاء شديداً لغير سبب، إلا أنه يبكي سوء حظه - على حد قوله.

وللوادة أخت مصابة بالشلل، ولها أربع أخوات، لكل منهن طفل أو طفلان؛ أحدهما أو كلاهما مصاب بضعف في النطق أو تهتة أو ضعف عام. أما جدة البنث فإنها شديدة القلق والخوف قليلة الاستقرار.

وقد حضرت البنث إلى العيادة السيكولوجية مع أمها وجدتها، فكانت الأم ترندي ملابس ذات ألوان عديدة متضاربة. ففي الرداء الواحد اجتمعت ألوان الأحمر القاني إلى جانب الأصفر الفاقع، وإلى جانبه البنفسجي الباهت، ويقرب



هؤلاء جميعاً لوناً أسود لامعاً. وحتى اللقافة (السيجارة) التي دخنتها الأم كان ما بها من تبغ ملفوفاً في ورق أحمر قان غير مألوف. أما الجدة فكانت تنتقل بسرعة من سؤال إلى آخر. فسألت عن الطب الروحاني، والتتويم المغناطيسي، وعن الحياة الخاصة الداخلة لكل عضو من أعضاء العيادة. ولا يمكن الجزم في هذه الحالة بأن هناك استعداداً عصبياً موروثاً على الرغم من كل ما ذكرنا، ولكن هناك احتمال الوراثة.

ويلاحظ أن مصادر الوراثة والبيئة قد تكونان في هذه الحالة حلقيتين متصلتي الأجزاء يقوي كل منهما الآخر. وهذا ما يجعل نسبة الحالة لاحداهما دون الأخرى أمراً غير سهل.

ومن مصاحبات العصبية العامة وعدم الاستقرار في عدد غير قليل من الحالات ضعف العقل أو الغباء. ويظهر أن المتأخرين في ذكائهم أقل من غيرهم استعداداً لتوجيه نشاطهم وتوجيهه وضبط حركاتهم وتنسيقها. يكبرون. ونظراً لعدم قدرتهم على مسابقة زملائهم المساوين لهم سناً في لعبهم وحركاتهم ونشاطهم، وتجدهم يتضايقون ويتصفون بالعصبية وتزداد - في العادة - حالتهم سوءاً على سوء.

ومع استثناءات قليلة جداً نجد كل حالات الضعف العقلي التي ترسل للعيادات السيكولوجية تنتصف بضعف القدرة على التركيز، أو بالعصبية العامة، وعدم القدرة على الاستقرار. ويتصف كل منها فوق ذلك بالرعونة في الحركة. ولو أن هذه الرعونة لا يخلو منها بعض العاديين والأنكباء.

وتكون هذه الحالات الأخيرة مصحوبة بالانطواء النفسي (Introversion) ومن أهم الأسباب السيكولوجية في عصبية الأطفال، وعدم استقرارهم شعور الطفل بالبوؤس الناشئ من الشعور بعدم تحصيل المستوى الذي تشاقق نفسه إليه (Lack of achievement) أو الناشئ من الشعور بعدم توافر

القنرة أو توافر الفرصة لتحقيق مثل هذا المستوى، وقد يشعر الطفل بهذا ان كان متأخراً، كما قلنا في قدرة عقلية أو حسية أو جسمية كحالة التأخر العقلي، أو العمى، أو الصمم، أو البكم، أو ضعف البصر، أو السمع، أو صعوبة النطق، أو العرج، أو العسر، أو ما شابه ذلك من مئات الحالات. ولو أنه يندر لصاحب الحالة أو لمن يعيشون معه أن يقرنوا عصبية الشخص وعدم استقراره بعاهته أو ضعفه من الناحية العقلية أو الحسية أو الجسمية، وينتج مثل هذا أيضا ان كان الطفل أقل في الجمال أو خفة الروح من غيره ممن يوازنون به باستمرار كالأخوة أو الأقارب، أو الزملاء. وكثيرا ما يحدث هذا بين الاخوة بنوع خاص، فيوجه الآباء والأقارب والمعارف انتباههم لطفل دون آخر، فتنتج حالة عصبية أو عدم استقرار عند الطفل الذي لا ينال التقدير، وبذلك يحرم الطفل من اشباع حاجة نفسية أساسية. وربما ينشأ هذا دون شعور من صاحب الحالة.

وبالجملة فكل مجال يشعر فيه الطفل بالشقاء - خصوصا ان كان المجال مستمرا، بمعنى أن الطفل يقضي فيه جزءا كبيرا من وقته كل يوم كمجال المنزل أو المدرسة مثلا- يحتمل جدا أن تنتج عنه عصبية وعدم استقرار. والمجال الذي يشعر فيه الطفل بالشقاء هو الذي تقف فيه العراقيل دون تحقيق حاجاته الأساسية التي سبق أن ذكرناها، وهي الحاجة إلى الحرية واللعب والحركة، والحاجة إلى السلطة الضابطة غير المتذبذبة الحازمة الخالية من الضعف، والحاجة إلى العطف والشعور بحنو من حوله نحوه وعطفهم عليه وحبهم له، والحاجة إلى النجاح عند انماء مهاراته وكفاياته بأنواعها المتعددة.

ولتوضيح ما تقدم نأخذ حالة تلميذ في سن التاسعة والنصف، وهو الابن الوحيد لوالديه، وقد أحيل إلى العيادة لتأخره الدراسي، وضعف بنيته. وبإجراء اختبارات الذكاء عليه اتضح أن ذكاءه في مستوى ذكاء ولد متوسط عمره احدى عشرة سنة. ومعنى ذلك أن لديه من المقرة العقلية الطبيعية ما لا يبرر تأخره،



بل بالعكس، كان ينتظر منه تفوق باهر. وتصفه والدته بأنه مهمل جدا في ملابسه، وغير منظم في قضاء حاجاته المختلفة؛ إذ قلما يضع شيئا في موضعه. ولا يميل إلى استذكار دروسه بمفرده.

يميل إلى الرسم وقص الورق ويصرف فراغه كله في هذا. وأمه تقرر وتعلن دائما أنه لم يرسم مع كل هذا رسما مقبولا قط. يصرف كثيرا من وقته في منزل جنته لأمه.

وجنته تعطيه النقود والحلوى والأكلات الصغيرة التي تفسد عليه بالطبع انتظام مواعيد الأكلات الرئيسية، وينام على سرير منفرد في نفس الحجرة مع والديه^(١). وينام عادة نوما هائلا، إلا إذا نام بجانب والدته، فانه يكون إذ ذاك على جانب كبير من القلق.

والمعاملة المنزلية في مجموعها متغيرة جدا، فالوالدة شديدة قاسية كثيرة النقد للولد، والوالد ضعيف لين لا يهتم بشكوى الوالدة من ابنه، ويخاف أن يجرح إحساسه، ويصل خوفه هذا إلى أن يتردد ويتلعثم في أثناء حديثه مع ابنه، على حين نجد أن ابنه أحيانا يتحداه. ولا يضرب^(٢) والوالد ابنه أبدا، وإنما الذي يقوم عادة بهذه المهمة هو الوالدة. وقد ضربته ضربا مبرحا عندما اطلعت ذات مرة على نتيجة عمله في المدرسة.

مع هذا كله يتدخل أبوه في نشاطه، فالولد مغرم بتأليف القصص الصغيرة ووالده يرى أن هذا لا يتماشى والمناهج التقليدية للمدارس المصرية، وفيه مضيعة للوقت، فيمنعه بكل وسيلة من هذا. يضاف إلى ما تقدم قلق الجميع على صحة الولد؛ إذ أنه ضعيف من صغره، ولعل من أسباب القلق على الولد أن أخاه الذي يكبره بأربع سنوات مات وهو في سن السادسة.

(١) راجع فصل المشكلات المتعلقة بالانتماء .

(٢) ليس معنى هذا أننا نشجع الضرب .

وقد أجمع كل مندرسيه على أنه مشتت الانتباه شارد الذهن، وينشغل بمعاكسة جيرانه، وقد وصفه أحد المدرسين بأنه في الفصل لا يستقر على حال من القلق، فهو يزحف مرة عن يمينه، وأخرى عن يساره، يتطلع إلى هذا وإلى ذاك من زملائه، ويعبث في أثناء ذلك فيما أمامه من الأدوات.

فإذا لم يجد أمامه ما يعبث به لأخذ شيئاً من درجه أو درج جاره لهذا الغرض، ويتمادى في ذلك إذا لم ينبه. وهو قليل الصبر على مواصلة عمله، ولا يميل إلى اتقانه، وحركاته دائماً عصبية.

وقد ضربه والده مرة واحدة وهو في حالة غضب عندما كثرت الشكوى منه، وبعد أن ضربه تولاّه الندم الظاهر. ووصلت الحال بالوالد أخيراً إلى أنه لا يمكنه ضرب الولد إطلاقاً؛ ولكنه مع ذلك يوصي المدرسة دائماً بوجوب ضربه بشدة، وواضح ما في هذا من تناقض عجيب.

فهذه حالة طفل فقد السلطة الضابطة الحازمة في المنزل، وفقد كثيراً من الشعور بالأمن لشدة ما يحيط به من القلق، ويعوزه كثير من التمتع بالحرية وربما كانت هذه كلها عوامل قوية في إحداث ما عنده من عدم الاستقرار.

وهناك ظاهرة أخرى في معاملة هذا الولد نفرد لها حادثة معينة لنبين دلالتها. وخلصتها أنه كان قد ادخر من نقوده مبلغاً من المال فافترضه منه والده به ليستعين به في سفره إلى جهة ما على أن يرده له بعد عودته. ولكنه لم يرده إليه وقد مضى عليه أربع سنوات، وقد يظن الوالد أن الحادث تافه، وأن على الطفل أن يعلم أن كل ما يملكه الوالد فهو له. ولكن المهم عند الطفل في الواقع شعوره بالملكية واشباع هذا الشعور لشباعاً حسياً، ولروح العدالة المتعلقة بحق الملكية أهمية كبرى في اشباع الحاجة عند الإنسان.

ويتلخص علاج هذه الحالة بعد العناية الصحية بها في تحويل الجو المحيط بالطفل في منزله إلى جو ثابت المعاملة يتوافر فيه اللطف والحزم

والعدالة والحرية وحسن التوجيه، ويجب أن يتوفر فيه النشاط مع الهدوء من جانب الوالدين ومن جانب الطفل نفسه.

مص الأصابع

ومن الحركات الخاصة التي تلفت للنظر مص الأصابع، وكثيرا ما يظهر منذ الأسابيع الأولى^(١).

وقرص الأظافر الذي يظهر في العادة متأخرا قبل السنة السابعة تقريبا. وفي الأشهر الأولى يمكن النظر إلى مص أصابع اليد أو الرجل كأنه عملية عادية يقوم بها كل طفل تقريبا. ويشتق منها لذة، وفي اجرائها شيء من المهارة فمن المهارة بالنسبة للطفل الصغير تحريك يده أو رجله ووضعها في فمه دفعة واحدة دون أن يخطئ الهدف. وفي للتمرن على هذا شيء من التمرن على التوافق العصبي العضلي. ولكن الخطورة في استمرارها، والاصرار عليها عند التقدم في السن. وبعض الأطفال يظلون يمصون أصابعهم إلى سن الثانية عشرة.

ورأيت ذات مرة فتاة في حديقة عامة جالسة شاردة الذهن تمص أصابعها وهي مستغرقة في ذلك استغراقا شديدا، وكان يبدو أن عمرها لا يقل عن السادسة عشرة. وضرر الاستمرار في هذه العادة يتلخص في أمر واحد؛ هو أنها أسلوب لنشاط لا يؤدي إلى نتيجة إيجابية ملموسة. ومعنى ذلك أنها نوع من العمل غير المنتج يقوم الطفل به ويتعود عليه. ولهذا مص الأصابع عامل مساعد يسهل معه الإغراق في أحلام اليقظة، شأنه في ذلك شأن جميع الأعمال التكرارية غير المنتجة.

ويلاحظ أن الطفل الصغير عند ممارسته مص الأصابع يكون سعيدا

(١) يقال إن كثيرا من الأطفال يمصون أصابعهم في بطون امامهم كما جاء عن Kanner ; Child Psychiatry في كتاب Minkwoski and Levy

ويمارسها على فترات. وأما الطفل الكبير فيبدو عليه وهو يمارسها أنه غير سعيد. وتجده ينكب عليها باستمرار، مثله في ذلك مثل المدمنين لتعاطي المكيفات. وتزداد فترات ممارستها لمن اعتادها عند اعتلال صحته، أو عند عدم تحقيق رغباته، أو عند محاولته حل مشكلة صعبة، أو عند عدم الرغبة في النوم. ويكون عادة عند ممارستها بعيدا عن الصلة بهذا العالم الواقعي.

ويقوم الطفل تخينه عملية مص الأصابع، خصوصا إذا حذره أبوه منها. ويستمر عمله هذا عادة بأساليب مختلفة؛ من أكثرها شيوعا تخينه اليد التي توضع في الفم باليد الأخرى، ويظن للطفل أول الأمر أن الكبار لا يرونه وبعض الأطفال يلجؤون لهذه الحيلة قبل نهاية السنة الأولى وتثبت الحيلة عندهم فتصبح عادة.

وهناك عدة اعتقادات فيما يختص بآثار مص الأصابع، غالبها مشكوك في صحته، منها أنه يؤثر في شكل الأصابع، ويشوه الفم وسقف الحلق، ولكن هذا في العادة لا يحدث.

ويعتقد بعض الآباء كذلك أن مص الأصابع في الطفولة مقدمة لعادة الاستمناء في المراهقة؛ وليس هناك ما يبرر الجزم بهذا، وإن كان هناك بعض الاحتمال في صحته؛ لا سيما أن كليهما نوع من التلذذ الجسماني الذاتي الذي لا يعطي نتيجة إيجابية ويصحبه استغراق شديد في أحلام اليقظة. ويعتقد من يفسرون كتابات (فرويد) تفسيراً ضيقاً أن مص الأصابع عملية جنسية (Sexual) في صميمها. هذه كلها اتجاهات قد تزعج بعض الآباء. ولكن ما يزعج الآباء أكثر من كل هذا أن مص الأصابع ظاهرة قبيحة المنظر يشتمز منها الناس، ويصبحها السرحان، وهو شبيه في ظاهره بالبله.

ومص الأصابع في ذاته ليس مهماً، إلا أنه دليل على حالة عقلية يجب الاهتمام بها، وهو يبدأ عادة في السنة الأولى مرتبطاً بالتغذية. فإذا كانت التغذية غير كافية أو بعيدة الفترات، أو لا تستوفي شرطاً هاماً من الشروط الضرورية،



فإنه يحتمل أن يلجأ الطفل معها إلى مص أصابعه^(١).

وهذا نشاط يشغل الطفل، ولكنه لا يؤدي إلى نتيجة إيجابية. ويترتب على ممارسته أن الطفل يحتمل أن يلجأ إليه كلما قابلته صعوبة، أي أنه أسلوب قابل للانتشار من موقف إلى مواقف أخرى؛ ففي مواقف الغيرة أو الشدة، أو الحرمان، أو ما شابه ذلك، يحتمل أن يركن الطفل إلى ملجئه الذي تعود وهو مص الأصابع. ومعنى ذلك أن يفتقد الطفل بنشاط لا يؤدي إلى نتيجة. وهذا الأسلوب الذي يواجه به الطفل مشاكله أسلوب سلبي انسحابي يبعد صاحبه من مواجهة الواقع. ولذا كان مص الأصابع دليلاً يصح أن يتبناه به عن احتمال ظهور الصفات النفسية السلبية في الكبر، كالميل إلى العزلة والانكماش، والخجل، وقلة الجرأة الاجتماعية في الحديث أو في حصول المرء على حقوقه ومحافظة عليها، وقلة الميل إلى الصراحة، وشدة الميل للتكتم، وضعف روح المخاطرة واعتباره كل أمر من أموره سرا خاصا لا يجوز إطلاع أحد عليه، وشدة الحساسية، وسرعة التأثر، وغير ذلك من الصفات التي يدخل كثير منها تحت صفات الشخصية المنطوية على نفسها (Introvert) وهذه الصفات السلبية ليست نتائج لمص الأصابع وإنما هي في الغالب مصاحبات له.

ولا يجوز أن يقتصر علاج مص الأصابع على الظاهرة نفسها، وإنما يجب أن يتجه كذلك - بعد التأكد من علاج الحالة الجسمية التي قد تساعد على وجود الحالي العصبي - إلى معرفة سبب شقاء الطفل فندرس علاقة الطفل بوالديه وأخوته ومدرسيه وزملائه، ومبلغ تحقق حاجاته الأولية في ميادين حياته المختلفة من منزل ومدرسة، وعمل ومجتمع، وبعد دراسة كل هذا يعدل مجال حياة الطفل بما يحقق هدوءه ونشاطه وسعادته ويجب أن يعود الطفل شغل يديه في عمل شائق منتج.

(١) حقيقة أن الطفل كثيرا ما يترك غداءه ليمس أصابعه ، ولكن هذا لا يحدث إلا بعد ثبوت العادة

ومن الأساليب الطيبة التي نقترح أن يشغل الطفل باللعب فيه هو مجال تركيب قطع بعضها مع بعض لتكوين شئ معين، أو باستعمال آلة موسيقية يشغل فيها يده أو فمه أو كليهما، أو يشغل في مساعدة الأم في عملها (كإدابة آلة الخياطة، أو حل كرات الصوف، أو لفها، أو المساعدة في قص أو تقطيع أو تنسيق. وما إلى ذلك). أو أي عمل يدوي يشغل فيه يديه ويشعره بأنه يؤدي مساعدة حقيقية لغيره مما يشعره عادة بقيمته في نظر نفسه.

وإذا أمكن ضمان تعديل مجال حياة للطفل الذي يعالج من مص الأصابع، وأمکن كذلك تعويده اشغال يديه في عمل منتج؛ فمن الجائز - ولو أنه ليس من الضروري - أن يتفق مع الطفل على طريقة تذكر، في حالة النسيان بوجوب الإقلاع عن هذه العادة، والطرق كثيرة منها وضع صبغة المر على أصابع اليد، وما شابه ذلك من الأساليب التي يعرفها غالب الناس.

ولكنهم يخطئون عادة بالاعتصار عليها مما يجعل الضرر الناشئ منها أكثر من فائدها، ويجب أن نؤكد هنا أن هذه الطريقة وأمثالها تستعمل كأساليب للتذكر فقط ولا يجوز أن تستعمل كعقوبات. ويجب - بقدر الامكان - أن تصدر فكرتها من الطفل بعد اقتناعه بقبح العادة ووجوب إقلاعه عنها وشعوره بالحاجة إلى ما يذكره بذلك في حالة النسيان.

قرض الأظافر

كل ما قيل عن مص الأصابع يمكن أن يقال عن قرض الأظافر. والانفعال المصاحب عادة لقرض الأظافر أو عض الأصابع هو انفعال الغضب. ولتكن الحالة النفسية في قرض الأظافر حالة توتر وغضب، أما في مص الأصابع فهي حالة استسلام وخضوع وانسحاب، والذي يقرض أظافره يفعل ذلك بشدة وبكثرة إذا واجهته صعوبات، فتلاحظ مثلا أنها تظهر من صاحبها أكثر عندما يسأل أو يختبر. وما قيل في علاج مص الأصابع يقال في



قرض الأظافر وهو حسن التغذية، وتنظيم النظافة، وتحسين الصحة، وشغل اليدين بطريقة شائقة منتجة. وإشباع حاجات الطفل في ميادين حياته المختلفة بطريقة تجعله قانعا مسرورا من نفسه.

رابعاً اللزمات العصبية (Tics):

وهناك مجموعة من الحركات العصبية تتم بشيء من المفاجأة والسرعة والتكرار وعدم تدخل الإرادة؛ كرمش العين، أو تحريك الأنف أو جوانب الفم، أو تحريك الكتف، وما شابه ذلك، وتتميز هذه الحركات بأنها تحدث بتكرار منتظم وتتناول مجموعة من العضلات، وأنها تحدث بتكرار منتظم في غالب الأحيان.

وتبدأ هذه الحركات عادة بسبب تهيج محلي، وبعد زوال التهيج تستمر الحركة في الظهور بين آن وآخر، فبعد الإصابة ببعض التهابات العين مثلاً قد تظهر لزمة رمش العين بين آن وآخر. وأحياناً تكون الحركة دالة على اتجاه نفسي كالغضب أو الخوف أو للتقزز.

ويحسن مع معالجة الأسباب المحلية اأمال الظاهرة من جانب الوالدين ومن يحيطون بالطفل اأمالاً تاماً، لأن الانتباه إليها والتهيج من حدوثها يثبت ذهن الطفل عليها، ويؤدي عادة إلى تثبيتها، ويحسن مع هذا مراعاة روح العلاج الذي سبق أن ذكرناه في هذا الباب.

ولتوضيح ما تقدم نأخذ حالة تلميذ في سن السابعة، بدأ من سن الخامسة عشرة يقوم - بين آن وآخر، على الرغم من إرادته - بحركة عصبية في الرقبة والعينين وجانب الفم. وذكاء هذا الولد فوق المتوسط. وله مركز ممتاز جداً في الأسرة، إذ أنه الذكر الأول بعد بنتين. وبقي الذكر الوحيد مدة سبع سنوات.

ولهذا تمتع وحده بتكليل شديد من أمه وأخته ووالده مدة سبع سنوات. ونشأ حساساً رقيقاً لا يتحمل مهاجمة أو أذى. فهو لهذا لا يحب الرياضة البدنية

لنعنفها، ولأنها تضطره للاحتكاك بغيره من الأولاد. بفضل أن يشغل وقت فراغه بالذهاب إلى الخيالة، وهو من النوع الهادئ الجاد المغلق القليل المرح القليل الاختلاط، وتطبق عليه صفات الانطوائيين. بدأت لديه حركات الرقبة عندما كان يلبس ياقات من النوع المقوى، ثم استمرت اللازمة بعد ذلك. أما حركة الفم فإنها بدلت من وقت أن اعتدى عليه تلميذ فضربه في جانب فمه بسن الريشة ونتيح الجرح الذي ظل ظاهرا مدة طويلة. وبدأت الحركات العصبية، بعد أن كانت مقتصرة على الرقبة، تنتشر إلى الفم والعينين.

ولعل اتجاه والديه نحوه يتضح من المثال الآتي، وهو أن الولد كثيرا ما يشكو من لوزتيه، ونصح الأطباء بوجود استئصالها، والوالدان يرفضان ذلك رفضا باتا خوفا عليه. يشفق الوالدان على الولد ويعتبرانه عصبيا مسكينا، وعرضاه بالفعل على أطباء الأعصاب أحدهم بأن عنده (نوراستينيا) مثل هذا التشخيص العلني يساعد على تثبيت الحالة وزيادة شدتها وتركيزها. ومما ساعد على تثبيت الحركات العصبية عند هذا الطالب معاكسة التلاميذ له وشدة انتباههم لحركاته وإطلاقهم عليه أحيانا بسببها اسم مجنون.

يبدو من هذه الحالة كيف أن التكوين الأول قد يهيئ صاحبه لتكوين الحركات العصبية عند مجيء الظرف المناسب. وهذه الحركات غالبا ما تثبت وتصبح عادة بفعل التكرار وبفعل توجيه الانتباه إليها.

ومثال آخر: حالة ولد في سن الثامنة أرسل العيادة لبطء شديد في تفكيره، ولخموله العام، ولأنه يحرك أنفه حركة عصبية شديدة، ويحرك معها كل وجهه تقريبا.

واتضح ببحث الحالة أن الولد في المدرسة سلبى خامل كثير المرحان. وأما في المنزل فهو مخرب عنيد، بطاع ولا بطيع وهو الولد الأول، وأبوه رجل عصبى قلق، يتدخل في كل شؤونه من الضعف، والأم عصبية كثيرة النقد، قليلة



التحمل لضوضاء الأطفال وحركاتهم. وسواء في المسكن أم في الحي الذي تعيش فيه الأسرة لا يوجد مجال للعب للأطفال أو فسحتهم.

وقد تحسنت حالة الولد كثيراً بتوجيه الأب إلى عدم الالتفات إلى الحركة العصبية وبذلك تلاشت تقريباً. ولم تزل تماماً لارتباطها بتهيج محلي بسبب الزوائد الأنفية المتضخمة عند الولد. ومما زاد في تخفيف الحالة تقليل ضغط والديه، والتخفيف من تدخلهم في كل صغيرة وكبيرة من شؤونه، وإدخاله مدرسة نجحت في تخليصه من سلبيته، وانطوائه على نفسه، وصار أكثر جرأة وأقتر على الاختلاط.

ومما يدل على قلق الوالد وشدة التفاته لابنه أنه قال بعد تحسين الولد: إن حركة الأنف قد زالت تقريباً، ولكن حركة خفيفة لخرى بدأت تظهر حول العين، فنبهناه إلى وجوب الانصراف التام عن كل هذا. فقال: إنه يخشى أن يكون عند الولد ضعف في بصره أو في سمعه لأن شهادته في المدرسة تدل كذلك على بعض التأخر. وقال كذلك: إن وجوده في هذه المدرسة الجديدة وتخفيف رقابة والده عليه قد يقلل من احترام الولد لأبيه، لأن حبه لمدرسه أخذ في الازدياد.

وكانت عبارات على توجيهه أولاً بأول، مما أدى إلى نتائج طيبة يرجع الفضل فيها إلى اهتمام الوالد ودقته في تنفيذ التوجيهات. ولكن يلاحظ أن أهم ما يتجه إليه الذهن في مثل هذه الحالة الأخيرة هو وجوب انشغال الوالدين عن مراقبة حركات الطفل.

ووجوب انشغال الولد نفسه عن هذه الحركات، وتوجيه النشاط العقلي والبدني توجيهاً لنيذاً منتجاً، وتهنئة الجو المحيط بالطفل في كل من المنزل والمدرسة تهنئة لا تؤدي إلى الخمول، وإنما تؤدي إلى استثمار نشاط الطفل للزائد لصالح حياة عقلية وبدنية صحيحة.

صعوبات النطق

سبق أن تكلمنا عن الحركات العصبية بما فيه من الأصابع، وقرض الأظافر، ورمش العين. وغير ذلك. وهناك نوع من الحركات العصبية له أهمية خاصة وهو المتعلق بالنطق. وعملية للنطق لها مكانة كبيرة في حياة الإنسان، ويشبهها عند الحيوان إخراج الأصوات.

ومعروف أن الأصوات عند الحيوان تؤدي له وظائف حيوية هامة، فبالأصوات يحدث النداء الذي يترتب عليه تجمع أفراد النوع الواحد بعضهم مع بعض، بقصد الوقاية من الخطر المحدق، وبواسطة الأصوات تدعو الحيوانات بعضها بعضا للاجتماع الجنسي وحفظ النوع. وبها تتحقق على وجه العموم أنواع الحياة الجمعية بغاياتها المختلفة. ولهذا نجد أن نوع الصوت وتنظيمه يختلف عند الحيوان باختلاف حاجاته، التي يدعو تحقيقها إلى وجود طرف آخر. فالذين يهتمون بتربية الحيوانات المنزلية يعرفون في القط مثلا صوت الاستجداء لطلب الطعام، وصوت التخويف والتحدي عند الشجار، وصوت للفرار والاستجداء عند احداق الخطر، والصوت الدال على الاطمئنان والسرور عند الشعور بالدفء والشبع والراحة، وصوت الانتصار عند الفوز بالفريسة، وصوت نداء الأنثى عندما يحل موسم الاجتماع الجنسي، وصوت تلبية الذكور لصوت الأنثى في هذه الحالة، وصوت نداء القطة الكبيرة لصغارها، وصوت سرورها لوصولهم، إلى غير ذلك من أنواع الأصوات التي يرتبط تنوعها بتنوع الحاجات التي يعبر عنها الصوت.

ونرى من هذا أن وظيفة الصوت الاتصال بآخر اتصالات يصح أن يساعد على تحقيق حاجة نفسية. كذلك للنطق عند الإنسان؛ فهو يعبر عن حاجة يراد تحقيقها بالاستعانة بكائن حي آخر يغلب أن يكون إنسانا مثله.



فكانت عملية النطق عبارة عن نشاط اجتماعي يصدر عن الفرد وتتدخل فيه عدة توافقات عصبية مركبة، يشترك في أدائها مركز الكلام في المخ الذي يسيطر على الأعصاب. وهذه تقوم بتحريك العضلات التي تقوم بإخراج الصوت. وكذلك تشترك الرنتان، والحجاب الحاجز، فتقوم الرنتان بتعبئة الهواء، وتنظيم اندفاعه. وبمرور الهواء على الأوتار الصوتية، وداخل الحنجرة، والفم، والتجويف الأنفي، تحدث تشكيلات مختلفة من الأصوات.

وكذلك تساعد تغييرات أوضاع اللسان والشفيتين على زيادة التنوع في الأصوات. ويحتاج النطق السليم إلى مران طويل جدا يبدأ من الطفولة عادة منذ ولادته، فهو يبدأ بالصراخ، ثم الضحك والمناغاة، ثم يسمع نفسه ويسمع من حوله، ويبدأ يجرب تشكيلات مختلفة من الأصوات، ثم يبدأ يقلد من حوله إلى أن ينجح في إخراج الألفاظ وفي الكلام.

وهذه عملية طويلة شاقة يبذل فيها الطفل جهدا كبيرا، ويتعاون فيها السمع والبصر وأجهزة النطق؛ الأصلية منها والمساعدة. ويتضمن النطق - كما قلنا - نشاطا لفرد يقصد بالغير، ومن هنا تبدو أهمية الكفاية الحركية للسان واندفاع الهواء وتنسيق الحركات كلها تنسيقا يؤدي إلى النطق الصحيح.

وتبدو أيضا أهمية الحاجة النفسية المراد التعبير عنها، وضرورة مطابقة الإخراج التعبيري لما هو موجود في النفس، وكذلك قيمة ثقة المرء في قدرته على التعبير. ويلاحظ أن جزءا غير قليل من هذه الثقة يشق من الاتجاه الذي يأخذه المخاطب عادة نحو المتكلم في أثناء سير الحديث.

لهذا كله كان النطق أهم وسائل الاتصال الاجتماعي، وكانت له قيمته الممتازة في نواحي نمو الفرد المختلفة سواء في ذلك نمو تفكيره أم طابع شخصيته بوجه عام.

بعض الحالات :

يتلخص وصف أعراض صعوبات النطق في أنها اختلال في التوافق الحركي بين أعضاء النطق المختلفة. ونظرا لكثرة أجزاء هذه الأعضاء، ولتنوع أساليب نشاطها، ولتعدد التشكيلات المختلفة لها، فإن صعوبات النطق كثيرة، وتختلف في شدتها ونوعها باختلاف درجة الاضطراب، ونوع العضو البارز فيه. لذلك نجد بعض الصعوبات مثلا مرتبطا بتشوه الأسنان أو بانشقاق الشفة العليا، أو بوجود الزوائد الأنفية، أو غير ذلك. وتعددت تبعا لتعدد أنواع صعوبات النطق أسماء هذه الصعوبات فهناك التهتهة. والتأتأة، والعقلة، والحبسة، واللثغة، والخنة، والرتة وغير ذلك. وأما كلمة تهتهة، فإنها كلمة دارجة أصبحت تستعمل الآن لكل أنواع صعوبات النطق^(١).

ويلاحظ أن نوعا من أنواع صعوبات النطق يحدث عادة لكل انسان ففي المواقف التي يفاجأ فيها الإنسان، ويرغم على التكلم في أمر معروف لديه ولا يريد لأمر ما أن يتحدث فيه، فانه قد يتعثر إذ ذاك عند النطق. ويمكننا أن نقول: أن الانسان يتعثر في نطقه في الأحوال العادية لأسباب ثلاثة : أولها الخوف، ولذا كانت خير طريقة يعبر بها الممثل على المسرح عن الخوف هي طريقة التعثر في النطق، وثانيها: أن يكون اللفظ قاصرا عن الأداء، وبذلك يضيق وقته في البحث عن الألفاظ المناسبة، وثالثها: أن يكون تدفق الأفكار أسرع من تعبير الإنسان عنها لعجز أساليب تعبيره بسبب قلة المحصول اللغوي مثلا. والسببان الأخيران يمكن مشاهدة أثرهما بوضوح وفي أبسط صورة عند محاولة الكبير للتكلم بلغة أجنبية لا يتقنها تماما، فهو يتعثر إذ ذاك، بينما لا يتعثر عند التكلم بلغته العادية. ويمكن مشاهدته كذلك في الأطفال في سن الثالثة والرابعة تقريبا.

(١) هذه الظاهرة الخاصة بتعدد مصطلحات صعوبات النطق والميل إلى استعمال واحد منها دون الأخرى ليست قاصرة على اللغة العربية ، وإنما هي موجودة في اللغة الأجنبية أيضا .

ولأجل أن ننتبين أسباب العي المختلفة يصح أن نعرض الحالات: أولى هذه الحالات لولد في سن العاشرة أرسله والده للعيادة لصعوبة شديدة في النطق. وقد فحصت في أول الأمر حالة الولد من النواحي الجسمانية للتأكد مما إذا كان هناك مرض عضوي يمكن أن يكون عاملا أصليا أو عاملا مساعدا في وجود العي، وقد قام بفحصه المتخصصون في الأمراض العصبية، أو أمراض الأنف والأذن والحنجرة، وفي الأمراض الباطنية، ودلت كل هذه الأبحاث على أنه ليس هناك أي مرض جسماني يصح أن يكون سببا مباشرا للعي.

ولو أنه ظهر أن لديه تقيجا في اللوزتين ونصحت الأسرة بإزالةهما وبالفعل أجريت له العملية اللازمة لذلك، وكان لها أثر ظاهر من حيث التحسن العام.

وقامت العيادة كذلك بدراسة الولد من الناحية النفسية، فنتبين أن نكاهه فوق المتوسط بكثير، وأنه يتعثر في النطق إذا شعر بأنه مراقب وبأن أخطاءه متوضع موضع النقد. ويصاحب النطق عادة حركات عصبية يقوم بها بيديه وبأجزاء وجهه المختلفة.

والولد هو الذكر الأول الوحيد، وله ثلاث أخوات كلهن أصغر منه، وكلهن يجدن الكلام. والوالدان متعلمان جيدا. وحالتهما المادية طيبة، وهما على وفاق تام. والأم تخاف الظلام والوالد هادئ في الظاهر، غير أنه في الواقع قلق على ابنه ومستقبله، ويهتم بأمره ويلطفه ويعامله بعطف زائد. غير أن الوالد نفسه سريع الكلام، ويبدو أن لديه بقايا عي قديم. وللولد جد من أمه، وهو شديد الخوف من أمور كثيرة، وله كذلك قريب من ناحية أمه متأخر جدا في نكاهه وتصرفاته عادية أما الولد نفسه فانه رقيق هادئ حساس سريع التأثر، محب للنقطة والنظام، حريص جدا على إرضاء والديه ومدرسيه، شديد الخجل، ميال إلى العزلة والعمل الفردي.

وكانت ولادته عسرة واستعملت فيها الآلة الخاصة بالولادة، مما أدى إلى تمزق بسيط في أربطة العنق، مما جعل رأسه تميل في ناحية دون الأخرى مدة طويلة من الزمن. وكانت الرضاعة والقطام والمشى وما إلى ذلك كلها طبيعية. وفي سن الثانية غمس الولد فجأة ذات مرة في الماء البارد فذعر ذعرا شديدا وصرخ صراخا مؤلما طويلا، وصار منذ ذلك الوقت كثير البكاء، فكان يبكي أحيانا من أول اليوم إلى آخره. ولما كبر أرسل إلى روضة الأطفال، وفي يوم من الأيام، وهو في سن السادسة، كان عائدا من الروضة فنبح عليه كلب كبير، وجرى وراءه. وحدث كذلك أن أصيبت أخته في حادث تصادم. وذعر لهذا الحادث ذعرا شديدا. وكانت لديهم قبل هاتين الحادثتين خادمة مصابة بالتعثر في النطق، وكان قد بدأ يقلدها، وهذا هو مبدأ تعثره في الكلام ولسكنه استمر فيه بعد ذلك إلى الوقت الحاضر.

ولما معاملة الولد في المنزل فنظروا إلى أنه الذكر الوحيد والأول. فقد وجد عناية فائقة كان مللا في صغره من الوالدين ومن جميع الأقارب وكانت تجيب الأم له كل طلباته ويكاد يعتمد عليها ويكاد يعتمد عليها في كل صغيرة وكبيرة وهي تخاف عليه خوفا شديدا. أما الأب فإنه يلاحظ ابنه ملاحظة دقيقة حتى أنه يلاحظ مثلا أنه في يوم كذا مرت عشرون دقيقة أو نصف ساعة دون أن يتعثر الولد في نطقه. وهذا النوع من الملاحظة يمكن تسميته بالملاحظة الثقفة. ويعطف الوالد كما قلنا على ابنه عطفًا مبالغًا فيه، ويستثير همته، ويحثه، ويشجعه على الاهتمام بعمله، والتخلق بالرجولة ويظهر أن الولد قد بالغ في هذا مبالغة شديدة من سن مبكرة، ترتب عليها أن الولد لم يتمتع كثيرا بما يتمتع به الأطفال من لعب ومرح وعدم حمل المسؤولية. ومما يدل على صحة هذا أنني كنت أحدث الوالد ذات مرة على مسمع من الطفل قائلا: أتني أحب أن يلعب الولد قليلا فقال الوالد بصورة جنية (ولكن ولدي لا يحب اللعب مطلقا! وإنما يجب المذاكرة والعمل الجدي) وبصعوبة كبيرة أمكن اقناع الوالد بوجوب



تشجيع الولد على الاشتراك في نوع من اللعب.

وأما حالة الطفل في المدرسة فانها طبيعية جدا، إلا أن المدرسين والتلاميذ يرتكبون بعض الأخطاء في تصرفاتهم معه، فيحدث أحيانا أن يعيره بعض التلاميذ، ويحدث كذلك أن يناديه أحد المدرسين بلقب ينتمي إلى العي. ومن أمثلة أخطاء المدرسين أن عقدت العيادة لهم اجتماعا خاصا بهذا الولد للمناقشة فيما يجب عليهم اتباعه نحوه، وفي صباح اليوم التالي دخل أحدهم الفصل، وناداه وأبلغه بصوت مرتفع بسمعه بقية الأولاد أنه أضاع بالأمس ساعتين من الزمن في اجتماع خاص بما عقده من عي، وأنه سيعمل جهده لمساعدته. وكان لهذا الحادث أثر مؤلم جدا في نفس الولد وهدم كل ما كانت قد وصلت إليه العيادة من نتائج ملموسة.

ويمكن تلخيص الحالة بأنها حالة تؤثر عصبي شديد ناشئ من احساس الولد بضعفه وعدم ثقته لأنه يعامل من والدته التي تجيب كل طلباته، ووالده الذي يبالغ في ملاحظته، معاملة يشعر معها أنه مخلوق ضعيف.

ومع احساس الولد بضعفه هذا، فإن والده وأهله جميعا يستثيرونه لبذل مجهود عظيم لا يتناسب مع طفولته من ناحية، ولا مع احساسه بضعفه من ناحية أخرى، ويظهر أن هناك عنصرا وراثيا مت دخلا في استعداد الولد للضعف العصبي الذي يساعد على ظهور العي متى توافرت الظروف الملائمة لذلك. ويتبين احتمال وجود هذا الضعف العصبي الوراثي مما ذكرناه آنفا عن الأقارب. ومن الأسباب التي ساعدت على نجاح حالة التوتر في تأثيرها في الولد - بالإضافة إلى ما قد يكون هناك من ضعف عصبي وراثي - احتمال وجود ضعف عصبي ناشئ من للصدمات المتكررة التي أصابته، وهي عسر الولادة وحادثة غمسه في الماء البارد، وحادثة الانزعاج من الكلب، وحادثة الانزعاج من صدمة أخته، وتشرب الخوف من الظلام من والدته وجده ٠٠٠ إلى غير ذلك. أما تقليده



للخادمة فليس في رلينا سببا أساسيا.

وكل ما في الأمر أن الخادمة ظهرت كعامل ملائم ومساعد للحالة النفسية الناتجة من مجموع العوامل الوراثية، ومجموع الصنمات السابقة، ومن مجموع الاتجاهات المتخذة نحوه من والديه وأقاربه وزملائه ومدرسيه.

ويمكن تصوير حالة الولد بأن العي ذاته يشعر، بالضعف، والعوامل المتعمدة الأخرى تشعره كذلك بالضعف، وفي الوقت نفسه تستثير هذه العوامل همته فيزداد التوتر ويزداد العي، وتزداد الحالة سوءا.

ومما يدعم صحة هذا الاستنتاج أن الولد -وهو في حالة عدم توتر داخلي- يتكلم بطلاقة فهو لا يتعثر عادة مع زملائه؛ ولكنه يتعثر بشدة مع والديه ومدرسيه. ويقول والده : إن الولد يتكلم في أثناء أحلامه بطلاقة غريبة وإذا قرأ شيئا بصوت مرتفع فإنه لا يتعثر إلا إذا أحس بأحد قريب منه. ومما يدعم هذا الرأي أيضا أن الولد بقي يتحاشى مقابلة والده وجها لوجه مدة طويلة، لأن المدرسة أرسلت للوالد تبليغه أن الولد ضعيف في اللغة الانجليزية. فكان لهذا يحرص على أن يخرج من المنزل مبكرا في الصباح قبل أن يستيقظ والده من النوم، وكان الوالد فخورا جدا بشدة تألم ابنه من نفسه وخجله منه.

وبلاحظ أن إحساس الولد بضعفه هو الذي أدى في الغالب إلى جعل الولد سلبياً منكشاً قليل الاختلاط شديد الحياء، شديد الخجل والخوف، قليل الثقة بنفسه قليل الكلام، خاملا، حساسا سريع التأثر، ويحرص على شعور الناس وعلى فكرة الناس عنه حرصا لا يصدر عادة من الصغار مثله.

وحساسيته وخوفه من النقد أدنيا إلى جعله دقيقا في عمله وفي ملبسه. ويحتمل جدا أن تكون نقة الولد مع نفسه، ورقابته لها طول الوقت، عاملا مهما في إحداث التوتر وتثبيت العي.

واتجه العلاج أولا للناحية الجسمية باستئصال اللوزتين. ثم اتجه للناحية



النفسية بتعويده التكلم وهو في حالة نراخ، مما أعطى الولد ثقة كبيرة في نفسه. وقد أكدنا على الوالدين وجوب تخفيف المراقبة، ومنع القلق، وتعويد الولد الاعتماد على نفسه. وقد اشترك في معسكر صيفي قامت به العيادة، واشترك في ناد ليتمكن فيه من اللعب وحسن قضاء الوقت، وليتمكن من النمو الاجتماعي المتزن. وقد تحسن بالفعل تحسنا كبيرا، ولو أنه كان ينتكس بعض الشيء بسبب المرض أو الاجهاد أو رجوع ما تعود معه ما تعود معاملة. وقد تقدم الولد - بسبب صحته، كسبه ثقته في نفسه - تقنما محسوسا كبيرا شجعه عليه ما رآه من قدرته وهناك حالة ثانية تختلف عن سابقتها في نوع شخصية صاحب الحالة. فبينما نجد صاحب الحالة الأولى حساسا منكشرا هادنا منقبضا قليل الجراء ميالا للعزلة نجد صاحب هذه الحالة محبا للسيطرة ميالا للنفذ والسخرية والتهمك كثير الكلام مرحا محبا للاتصال بالغير.. إلى غير ذلك.

وهو تلميذ في سن الحادية عشرة، ذكاؤه فوق المتوسط، وهو الأخ الأكبر لخمسة إخوه. وهو - كما قلنا يميل إلى بسط سلطانه على إخوته، شديد الخيال ويظهر هذا في رسومه وقصصه ونكاته، ويميل في رسومه إلى تشويه صور الناس بدرجة بالغة.

كان الولد يعيش في القاهرة مع عمه وجدته فقط في بيت ممل بالنسبة له كطفل يريد أن يلعب أحيانا ولا يجد من يلعب معه. والوالد على درجة كبيرة من الكفاية والذكاء والمرح، إلا أنه قلق جدا على مستقبل أولاده ويعتقد أن الزمن تغير كثيرا فما دام هناك أولاد يبالغون الشهادة الابتدائية في سن تسع سنوات فسكون المنافسة في المستقبل شديدة جدا، ولذا تشعر معه أنه مسوق إلى دفع أولاده لسرعة التحصيل والتعلم. وهو يفعل ذلك بشيء كبير من القلق. الوالد منقلب في معاملة أولاده فهو يذلهم تدليلا شديدا إلى سن معينة، فإذا جاوزوها وبدوا سن التعلم انقلب إلى شخص شديد صارم يقوم لأولاده بوظيفة المدرس



رغم كثرة مشاغله، ويتخلل تدريسه لهم ضربه إياهم بشدة وعنف. والوقت الذي يقوم فيه بالتدريس لأولاده هو الوقت الذي يكون قد أنهكه فيه العمل. وقد لوحظ أن الوالد إذا سأل أحد أبنائه سؤالاً ولم يجب في الحال فإنه ينهره بشدة وإزعاج وبذلك يتعثر الولد. وأما الأم فإنها سيدة عادية في كل شيء، إلا أنها كثيرة النقد لأولادها. وهي تعلن أنها تحب البنات ولا تحب البنين، وينال صاحب الحالة بالطبع شيئاً غير قليل من تفضيل أخوته عليه.

صاحب الحالة طبيعي ورضاعته طبيعية إلى أن جف لبن. وكان المشي والكلام والتسنين عادات طبيعية إلا أن الولد أصيب بـ(الباراتيفود) في سن الثالثة، وبعد شفائه منه قل كلامه، وضعفت قدرته على التعبير عن مطالبه، وصار كثير البكاء لغير سبب ظاهر، وكانت أمه تضربه لبكائه ضرباً شديداً وبدأت التهتهة في ذلك الوقت.

أرسل الولد لمدرسة بنات في سن الرابعة والنصف، وكان هو الولد الوحيد بها، وكان متضايقاً من هذا الوضع، ولكنه بقي بها رغم أنه سنة ونصف سنة. وبعد اتمام تعليمه في المدرسة الابتدائية أرسل إلى القاهرة ليعيش مع جنته وعمه. وقام عمه بتشديد الرقابة عليه لدرجة بالغة حتى لا يكون ملوماً، وكان الولد يعمل كل شيء تقريباً ضد ما يرغب.

ويمكن تلخيص الحالة في أن مرض الولد بـ(الباراتيفود) ربما يكون قد أضعف صحته العامة ضعفاً جعله حساساً شديد التأثير. ولو أنه عومل في ذلك الوقت برفق وصبر، وحجز في البيت مدة كافية لاسترد صحته تماماً قبل إرساله للمدرسة. ثم إن ذهابه لمدرسة البنات - هو لا يحب البنات لأنهن مفضلات عند أمه على البنين - كان مصدر ألم مستمر له. كذلك معاملة ولده المتقلبة من اللين إلى الشدة، وقلق الوالد على تعليم أولاده، وتجعله إياهم في السكلام ودفعهم في التعليم دفعا فيه شيء من العنف؛ كل ذلك له أثره في الولد، خصوصاً أنه الأكبر،



وقد كان نصيبه من كل ذلك أوفر من نصيب أي واحد من اخوته.
ولم نصل مع هذا الولد إلى نتيجة مرضية لعدم كفاية ما حدث بينه وبين
العيادة من اتصال، ولو أن المعاملة التي عومل بها في معسكر العيادة - الذي
سبقت الإشارة إليه - أدت معه إلى نتائج طبية، ولكنها لم تدم لانقطاع صلته
بالعيادة بعد ذلك.

التشخيص والعلاج

وليس من السهل في الحالتين السابقتين أن نحدد واحدا ننسب إليه
التهتية، فهناك مجموعة عوامل، بعضها جسمي، وبعضها يرجع إلى المعاملة،
وبعضها يرجع إلى الوراثة، وبعضها يرجع إلى التقليد... تتضافر كلها في
أحداث الحالة أو في المساعدة على بقائها بعد حدوثها.

ويغلب على الظن أن العامل الأساسي هو القلق أو الخوف المكبر وهذا
القلق أو الخوف ينشأ إما بالتأثير فنجد الوالدين أحدهما أو كليهما على درجة
كبيرة من القلق.

وقد ينشأ مما يحدث للطفل من حوادث التخويف أو المعاملة غير
الحكيمة. ويترتب على حالة القلق النفسي إما خجل وانزواء وعزلة وقلة جرأة،
وما إلى ذلك من الصفات السلبية التي شاهدها في الحالة الأولى. وإما أن
يترتب عليه تعويض نفسي فتتسأ الجرأة والمرح والنقد، وما إلى ذلك من الصفات
الإيجابية التي شاهدها في الحالة الثانية.

ويتلخص علاج مثل هذه الحالات في إعطاء الطفل ثقة في نفسه إزاء
الكلام خاصة إزاء مجالات حياته بنوع عام. أما أسلوب إعطاء الثقة في النفس
فإنه أسلوب طويل يحتاج إلى زمن وإلى صبر من المعالج وصاحب الحالة.

ويصح أن نورد باختصار حالتين أخريين لنوضح أثر عامل القلق أو



الخوف وأثر العوامل الأخرى إلى جانب هذا العامل.

أما الحالة الأولى فهي لطفل في سن الثانية عشرة عنده تعثر في النطق، وهو في السنة الثانية الابتدائية، ومستواه العقلي يوازي مستوى ذكاء ولد متوسط عمره ثماني سنوات ونصف - أي أنه متأخر في نكائه عما ينتظر لسنه - والولد خامل شاحب اللون قليل الابتسام، وعنده كبرياء مصطنع يحاول أن يغطي به ما لديه من نقص. ثم هو مع ذلك يميل أحيانا للتزواء. وهو سريع الغضب، ولكنه يكظم غضبه، فإذا أغضبه أحد معلميه - وهذا كثيرا ما يحدث - فإنه لا يبكي مطلقا. والولد يخاف أباه بدرجة بالغة. أما الأب فإنه رجل عصبي يتعثر في النطق ويعتقد أن التعثر في النطق أمر تافه لا يجوز اعارته أي اهتمام، لأنه هو أيضا يتعثر في النطق ومع ذلك صار بحسب رأيه في نفسه - رجلا عظيما. ويلاحظ أن كل فرد في الأسرة عنده نوع معين من أنواع الشذوذ، فالأب يتعثر في النطق، والأم عصبية جدا، وبنتهما غير متزنة، والولد الكبير عصبي يتعثر في النطق، وقد تأخر في ضبط عضلات الجهاز البولي، والولد الذي يليه شديد الخنف، وإبنه ليستا باتساع واحد. والولد الذي نحن بصدد حالته مع شدة خوفه من أبيه معجب به اعجابا شديدا^(١).

والعلاقة بين الأم والأب سيئة جدا، ولكن الأب نحج في اشباع أنانيته باستعمال القوة، ورغم سعته يضيق على أسرته تضيقا شديدا ويمتع نفسه خارج المنزل. كل هذا قد يدل على أن احتمال الوراثة عن كل من الأب والأم، وكذلك تقليد الأب ربما اشتركا في تكوين التهيئة. وأما حالة التوتّر فقد تكون ناتجة من حالة التناقض النفسي الظاهرة في اعجاب الولد بأبيه وخوفه الشديد منه في الوقت نفسه، ومن سوء العلاقات في الجو المنزلي.

وبذلك قد تكون التهيئة في هذه الحالة نوعا من العصبية الموروثة للتي

Identification and Am bivalency (١)

أخذت اتجاهها معنا وتبلورت في شكل معين بفعل البيئة بما فيها من تقليد وتخويف وإقلاق.

وهناك حالة أخرى لطالب عمره ثمانية عشرة عاما قد بدأ يتعثر في النطق بعد حادثة وقعت له وهو في سن الخامسة، وهي أنه دخل دورة المياه وأقفل على نفسه الباب ولم يتمكن من فتحه وعجز أيضا من في الخارج عن ذلك فلم يتمكنوا من فتحه. وذعر الولد ذعرا شديدا. وهو الأصغر في الأسرة وليس له سوى أخ واحد والعلاقة بين والديه بها شيء، غير قليل من الخلاف مما يقلل من الشعور بالأمن في جو المنزل (حالة ص ١٤٥).

عوامل ظهور صعوبات النطق

يبدو مما تقدم ومن دراسة مختلف أنواع الحالات أن صعوبات النطق تشترك فيها عوامل جسمية وعوامل نفسية ويمهد لظهورها طريقة نمو الشخص وتكوينه. وهذه يشترك فيها عوامل بعضها وراثية وبعضها بيئية.

والعامل النفسي الأساسي في التهمة هو التوتر النفسي المصاحب للقلق أو الخوف أو فقدان الشعور بالأمن أو الشعور بالنقص. وقد وجد (بيرت)^(١) أن ٦٢ % من الحالات التي درسها وعددها ٩٧ يوجد بها العامل الوراثي لاستعداد عصبي، وأن في ٢٣ % من هذه الحالات الأخيرة لم يكن الأطفال قد اتصلوا بأبائهم إطلاقا، حتى يقال: إن التهمة انتقلت اليهم عن طريق التقليد.

ووجد (بيرت) كذلك أن ٣١ من حالاته بها زوائد أنفية و١٩ منها بها تضخم في اللوز و ١٣ منها أسنان فاسدة، وبين أن العامل الجسماني إذا وجد فإنه يكون عاملا مساعدا فقط.

C. BURT; The Backward child. ^(١)

وقد لاحظ كل من (بيرت) و(بوم) ورتشاردسن^(١) أن الأعمار الملائمة لظهور التهته هي سن الخامسة، والسابعة أو الثامنة، ثم الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة، ويعلل هذا بأن سن الخامسة هي سن بدء الذهاب للمدارس. أما السابعة أو الثامنة فهي سن الانتقال إلى مرحلة جدية من التعليم، وأما سن الثالثة عشرة فهي سن بدء مرحلة أخرى من مراحل التعليم، وأما من ذلك فاتها سن بدء دخول بصعوباتها النفسية المعروفة.

وقد لاحظ ((بونهم))^(٢) أن عددا غير قليل من حالات التهته يظهر في السنة الثانية من العمر، وهذا هو سن بدء تعلم الكلام وبدء اتقان التوافقات الحركية اللازمة له، ويحتمل معها أن أي اضطراب انفعالي في ذلك الوقت يؤدي إلى اختلالها.

وقد لوحظ أن التهته في البنين أكثر منها في البنات، وهذا الفرق يرجع إلى فروق طبيعية في كفاية أجهزة النطق وسرعة نضجها، وقد يرجع إلى أن الضغط التعليمي على البنين أكثر منه على البنات. وكذلك لوحظ أن التهته أكثر انتشارا في المدن من الريف، وهذا يرجع إلى أن الأعصاب أكثر تعرضا للجهد في المدن منها في الريف.

مصاحبات التهته

يلاحظ أن الطفل الذي يتعثر في النطق يكون عنده شعور مكبوت بالنقص بسبب التهته؛ فتجده يميل أحيانا إلى الذلة والانكسار والانزواء ويتصف عادة بالصفات التي سبق أن ذكرناها فيمن يمسون أصابعهم ويحدث، أحيانا مع هذا محاولات لتعويض هذا الشعور فيبدو الولد جزئيا يحاول الإكثار من الحديث ويعوض تهتهه بأن يحكي قصصا مثيرة إذا أمكنه. وقام بعض الباحثين بتقسيم

(١) Boome and Richardson ; The Nature and Treatment of Stammering (١)
Child Psychotherapy (٢)



حالات التهتهة إلى أنماط، فوجدوا أن هناك نمطين: أحدهما أنه في الغالب يتصف بأنه خجول، جبان معتكف، منزول يميل للوحدة، شديد الحساسية، شديد الانفعالية. ويكون هذا النوع هزيلا نحيفا (Asthenia) (ص ٥٠). وأما النوع الثاني، فهو قليل فتجده جريئا، متسرعا مندفعاً في أفعاله وفي كلامه. ولكن يخرج كلامه وتصدر عنه أفعاله كالمقذوفات بشيء من السرعة والانطلاق. ويكون هذا النوع حسن الصحة سمينا. ويصاحب التهتهة عادة حركات عصبية عامة أو خاصة تنطلق فيها الطاقة المكبوتة. والتهتهة عادة وظيفة دفاعية للشخص، فالناس لا يوجهون إليه أسئلتهم بحجة أنه يتهمه، ثم إنه قد يظن أنه يفتن من حوله بأن المسألة ليست صعبة في الفهم وإنما هي فقط صعبة في التعبير، وهي لهذا تؤثر أثرا سيئا في الناحية التعليمية،

إذ لا يشترك صاحبها في النشاط التعليمي الجمعي الاشتراك اللازم. وهي قد تؤثر كذلك في الناحية الصحية، فالذي يتعثر في النطق تجده عادة هزيلا شاحبا؛ ولعل هذا يرجع للجهد العصبي الضائع في مجرد التوتر النفسي. أما النوع غير الهزيل فهو نادر كما بينا.

ويتأثر الذي يتعثر في النطق بالمعاملة التي يلقاها ممن حوله. فإن كان غيره يهزأ منه فإن هذا يزيد شعوره بنقصه، وإن كان يعطف عليه، فإن عطفه يذكره بعاهته. ولهذا نجد الاحتمال كبيرا في أن صعوبات النطق تجعل الشخص شاعرا بنقصه شعورا مباشرا، وشعورا مشتقا من مسلك الناس نحوه. ويترتب على هذا نوعان من السلوك كثيرا ما يجتمعان.

تهتهة: نوع يدل على الخوف من الغير والانكماش منهم، وعلى نقمته على الغير وكراهيته لهم. فأحيانا قد نجد نطقه منكشا في المدرسة، وإن قام بنشاط فهو وقد نجده في المنزل ناظدا لأخوته مشاكسا لهم.

ومن أمثلة هذين النوعين من السلوك ما بدا من حالة طالب أشرنا إليه ضمن حالات التهتهة. فبينما كان هذا للطالب منكشا هادنا قيل الكلام كتب مرة

في كراسة الانشاء نقداً مرا للمدرسة التي كان يتعلم فيها إذ ذاك، وحلل المجتمع والحكومة القائمة في ذلك الوقت تحليلاً يعتبر جريئاً جداً.

المدرسة والتهتهة:

وتكون المدرسة في بعض الأحيان مسؤولة عن ظهور التهتهة عند بعض الأولاد، وكثيراً ما تكون المدرسة جوا صالحاً لتثبيت التهتهة وزيادة وضوحها. ولعل سبب ذلك هو أن جو المدرسة يعيش فيه الطفل مدة طويلة. ولحياته فيه أهمية خاصة بالنسبة لحفظ كرامته في نظر نفسه، وبالنسبة لمستقبله وشعوره بالأمن عند النظر إليه؛ فإن جو المدرسة يشعره مثلاً بالفشل العقلي لعدم ملائمة العمل أو له أو لسعة الفارق بينه وبين زملائه في الكفاية، أو يشعره بالفشل في اللغات بنوع خاص، أو بالفشل الاجتماعي، فانه يزيد حالة الخوف وحالة التوتر. وإذا ظهر هذا الشعور بالفشل في المدرسة فإن المنزل عادة يزيده تدعيماً مما يزيد الحالة سوءاً على سوء ومما يساعد على ظهور التوتر في العلاقات بين المدرس وتلميذه شدة الاهتمام بالامتحانات، وما تحدثه من قلق وما يترتب على ذلك من ارهاب وعقاب وارهاق بالعمل وتوتر عام في الجو المدرسي كله.

ولكن من الأخطاء المعروفة في الموضوع الذي نحن بصدد اطلاق الأسئلة على التلاميذ اطلاقاً سريعاً والإلحاح في طلب الاسراع في الاجابات، أو ارغام الطفل على سرعة الإجابة وهو في حالة خوف أو غضب، أو ارغامه على التزام الصمت في الحال إذا كان يصرخ من ألم، أو يبيت شكوى، عن نفسه ظلماً، أو ما شابه ذلك. ومن الخطأ تعليم الأطفال لغات متعددة جديدة في وقت واحد، كذلك القفز في تعليم اللغة القومية للصحيحة دون مراعاة الدارجة، ولا يجب التدرج من هذه إلى تلك.

والتلميذ الذي يتعثر في نطقه تثبت عنده هذه الصعوبة إذا هزأ به إخوانه



أو مدرسوهُ أو إذا أظهرُوا أنهم منتهون للتهته أو متوقعون لحدوثها. وقد لوحظ في أحيان كثيرة أن طفلاً أو طفلين يتهتهان تبدأ بهما فرقة دراسية معينة في أول العام الدراسي قد تنتشر العدوى منهما إلى عدد من الأطفال. ففي مدرسة مصرية كان في فصلين خمسة أولاد يتهتهون من مجموع الأولاد وهو ستون، وفي نهاية العام الدراسي زاد عددهم إلى سبعة عشر ولداً. وربما يبدو أن هذه الزيادة وقدرها ٢٠ % زيادة كبيرة، لولا أن (بيرت) أيضاً يذكر أن بين خمسين طفلاً في مدرسة ما ارتفع العدد من طفل واحد إلى تسعة أطفال في خلال السنة الدراسية؛ أي أن الزيادة حدثت بنسبة ١٦ % والعدوى بالتقليد لا تحدث إلا إذا كان هناك أسباب كافية مهياة لذلك.

علاج التهته

تعالج بعض أمراض التهته في الخارج في مراكز خاصة لذلك، لأن علاج التهته وصعوبات النطق بوجه عام يحتاج إلى وقت طويل جداً في كثير من الأحيان، ولأن جو المدرسة العادي يعرقل تقدم العلاج، إذ يعامل فيه الطفل على أنه أقل ممن حوله مهما كانت الطريقة التي يعامل بها. ولكن كثيراً ما ينجح علاج بعض حالات التهته في الجهات التي لا توجد فيها مراكز العلاج، والتي يمكن للمعلم فيها تنفيذ تعليمات الاختصاصي المشرف على العلاج. وبعد بحث الحالة من نواحيها المختلفة يجب أن يتجه للعلاج أولاً إلى الناحية الصحية فتقوية صحة الطفل - حتى في النواحي التي ليس لها بصعوبة النطق علاقة مباشرة - تسهل العلاج إلى درجة كبيرة.

أما العلاج من الناحية النفسية فأهم ما فيه إعطاء المعالج ثقة في نفسه. وقد لاحظنا أن الفرد الذي يتهته يتكلم عادة بسهولة وهو في حالة تراخ Relaxation فإذا أمكن إحداث حالة التراخي في المريض، وجعله يتحدث وهو

في هذه الحالة فإن هذا يعطيه ثقة كبيرة في نفسه. وفي أثناء تحدث المريض. وهو في حالة تراج يمكن كشف بعض العوامل التي تسبب التهته، وهذا يؤدي عادة إلى تحسنه.

ومن ساليب انماء الثقة في النفس تعويد الشخص الذي يتكلم أحياناً في مجتمع مدرسي أو غير مدرسي بأن يحضر حديثه تحضيراً جيداً، لأن التهته في كثير من الأحيان تكون في مثل هذه المواقف العامة. ومن بهاب الكلام في هذه المواقف العامة فليعد نفسه جيداً وليكتب ما يريد أن يقوله إذ أن هذا يساعد أولاً على تحديده وثانياً على حفظه مما يجعله واثقاً في نفسه قليل العرضة للتوتر. فكأن العلاج يعتمد في أساسه على الإيحاء، وعلى حل مصادر التوتر ومصادر المشكلات الانفعالية، وعلى توجيه المريض توجيهها يقلل من هذا التوتر. هذا التوجيه يعدل قدر الامكان اتجاه عقل المريض نحو الحياة، ويعدل مجال حياته في المنزل والمدرسة من حيث الفرص التي تعطي، وسياسة التقدير، وملاءمة العمل لاستعداد للشخص، وغير ذلك من القواعد التي تضمن تحقيق الشعور بالأمن، والثقة بالنفس، وتضمن- بعبارة أخرى - توافر شروط الصحة النفسية المعروفة.

وبجانب تحسين الصحة العامة وتعديل مجال حياة الطفل وحل مصادر التوتر عنده، لا بد من تناول العمليات الآلية والمهارات اللازمة للنطق، فيعلم صاحب الحالة طرق التنفس والإخراج وغير ذلك، مما يتعلق بعلم حركات الكلام وإخراجه.

ومن الخطأ أن يقتصر العلاج -كما يحدث أحياناً- على أن يعود الطفل صرف ذهنه عن عملية النطق بالقياس بحركة معينة كالضرب على جانب فخذة والتوقيع بقمه على الأرض أو غير ذلك. هذه الحركات لها أساس من الصحة، وهي أنها تسحب كثيراً من الطاقة العقلية الموجهة لعملية النطق ذاتها. فتنتج

حالة تراخ متعلقة بها يسهل معها إخراج الكلام. ويمكن فهم هذا جيداً إذا علمنا أن انتباه المريض في أثناء الكلام يكون عادة موزعاً بين الفكرة، وحركات النطق. وأما في السليم فإن الانتباه يتركز في الفكرة، وأما حركة النطق فإنها تحدث بطريقة آلية صرفة. ولهذا كان محتملاً أن الانتباه الجزئي جديد لحركة يحرر أجهزة النطق من تركيز الانتباه فيها ولكن وجه الخطأ في هذا العلاج ينصب على العرض دون السبب الأصلي. وما دام السبب الأصلي موجوداً دون معالجة فإن الانتكاس محتمل الظهور في أي وقت.

الخوف وضعف الثقة بالنفس

الخوف العادي الشاذ :

لاحظنا من دراسة ما تقدم من مشكلات السلوك، سواء في ذلك التهمته أو التبول اللاإرادي أو الحركات العصبية أو النوم المضطرب أن عاملاً هاماً يدخل في غالب أنواعها وهو عامل الخوف. ويرى كثير من المشتغلين بالعلاج النفسي أن الخوف لا يقتصر فقط على بعض هذه المشكلات؛ وإنما يوجد في كل حالات اضطراب الشخصية سواء في ذلك حالات الصغار أم حالات الكبار. فالخوف يظهر بصورة صريحة أو مقنعة - حسب رأي (الرز) - في مشكلات السلوك بمختلف أنواعها^(١). ويرى فرويد أن الخوف أو القلق أساس جميع الحالات العصبية، غير أن الخوف يرتبط في رأيه بالمسائل والمواقف الجنسية وما يتعلق بها. وسواء أخذنا بهذه الآراء أم لم نأخذ فموضوع الخوف جدير بالدراسة، لا سيما للكائن الحي سواء في ذلك الإنسان أم الحيوان - أن يخاف في بعض المواقف التي تهدده بالخطر أو يصح أن تهدده به فإذا واجهته فجأة سيارة

R.Allers says ; ((There is no case pf characterological anomaly either in cnidren or ^(١) in adults , no case of dissociation , as in neurosis , no case of difficult upbringing , or of childish shortcomings , in which open or variously disguised fear does not lurk))
The Psychology of Character

في الطريق، فلا بد من أن أشعر بالخوف، وإذا جرى خلفي كلب كبير وهو ينيح، فلا بد من أن أشعر بمثل هذا الشعور. فالخوف حالة انفعالية داخلية طبيعية يشعر بها الإنسان في بعض المواقف، ويملك فيها سلوكا يبعده عادة عن مصادر الضرر. وهذا كله ينشأ عن استعداد فطري أوجده الخالق في الإنسان والحيوان، ويسمى كما قلنا غريزة. ولا بد من أن يكون الخالق قد أوجد هذا الاستعداد الغريزي لحكمة تتعلق بصالح الكائن الحي. فالخوف هو الذي يدفعنا لحماية أنفسنا وللمحافظة عليها. فإذا كنا كلنا نخاف النار مثلا فقد تحرقنا، وإذا كنا لا نخاف الحشرات والحيوانات الضارية فقد تقتلنا، وإذا كنا لا نخاف الجرائم فقد تقتك بنا. وهناك كذلك الخوف من الزلزل، وخوف الإنسان على سمعته.. وما إلى ذلك. ومن الطبيعي أن تقتزن الحالة الشعورية الانفعالية — وهي الخوف — بالسلوك الملائم وهو الخلاص من الخطر. والحالات التي يفصل فيها بين الخوف والخلاص ويكتفي فيها بالشعور الانفعالي تعتبر حالات غير صحية. فالخوف أمر طبيعي معقول ضروري يؤدي إلى حماية الفرد مما يجوز أن يسبب له اضرار. وجميع الطرق الوقائية التي نتخذها لوقاية أنفسنا عوادي الطبيعة، أو المرض أو سخط المجتمع أو غير ذلك تدل على نوع من الخوف نسميه الحذر أو الحيطة، ويصح أن نسميه الخوف الواقعي، ومما لا شك فيه أن درجاته المعقولة صفة طيبة يجب الاتصاف بها.

وإذا تأملنا أذكرنا ان الوقت كان في وقت ما حالة طبيعية أو شاذة، وحيث أن الشاذ هو ما يشذ عن المألوف أو يخرج عنه، فالخوف الكثير المتكرر الوقوع لأية مناسبة يكون شاذاً، وكذلك تضخم الخوف في موقف ما تضخماً خارجاً على النسبة المعقولة التي يتطلبها هذا الموقف عادة يعد أمراً شاذاً. فإذا وجدنا طفلاً في السابعة يخاف هبوب الرياح، أو يخاف الصراير أو القطط، أو يخاف الظلام نعد هذا أمراً غير عادي. وإذا وجدنا طفلاً في الثالثة

يخاف الظلام قليلا عند هذا أمرا عاديا، ولكنه إذا خافه لدرجة الفزع والجزع، ووصل في انفعاله لدرجة ينقلب فيها اتزانته فلا شك في أننا عند هذا أمرا غير عادي. فكان الخوف في موقف ما تضخماً خارجاً عن الحد المعقول، وكذلك تكرر الخوف تكراراً خارجاً عما هو مألوف يعد أمراً شاذاً يحتاج إلى تأمل وفحص وعلاج.

وكذلك يمكننا أن نأخذ نقيض الخوف، فانعدام الخوف في شخص ما أمر غير عادي، وهو نادر للغاية، ويغلب أن يكون سببه قلة الإدراك. وذلك كالطفل الذي يكون في سن الثانية ويرى لأول مرة في حياته عقرباً تجري قد يظنها (كما حدث بالفعل) لعبة لطيفة بحسن إمساکها واللعب بها. والسبب في ذلك أن الطفل لا يدرك خطر هذا الكائن المتحرك غير المألوف.

وكثيراً ما يحدث أن يكون الطفل ضعيف العقل **Mentally Defective** فيقوم بأعمال تدل على عدم إدراكه مواقف الخطر أو الضرر. ومن أمثلة ذلك أن طفلاً ضعيف العقل قفز ذات مرة من الطابق الثاني في منزله إلى الطريق العام.

هذا الطفل نفسه أصيب في رأسه بجرح كبير سال منه دم غزير لأنه كان يلعب ويمثل خروفاً يناطح درج سلم من الحجر مرات متوالية. نرى مما تقدم أن لدينا خوفاً معقولاً من حيث درجته. ومبلغ تكرره، واكتسمال حلقة من انفعال وسلوك. ولدينا خوف شاذ من هذه التواحي الثلاث. والخوف الطبيعي المعقول مفيد لسلامة الفرد.

أما ماعدا ذلك فهو ضار بشخصية الفرد وسلوكه. وقد لاحظنا أن الخوف قد يكون من مظاهره الانكماش. وعدم الجرأة، والتهتة، وغير ذلك من الخصال المعطلة عن النمو.

أنواع المخاوف

يقسم (فرويد)^(١) المخاوف إلى قسمين كبيرين: الأول ويسميه المخاوف الموضوعية أو الحقيقية. والثاني ويسميه المخاوف العامة أو غير المحددة. والنوع الأول يربط فيه الخوف بموضوع محدد، كالخوف من الحيوان أو من الظلام أو من الموت. أو غير ذلك.

أما النوع الثاني فلا يرتبط فيه الخوف بأي موضوع. فحالة الخوف تكون كأنها هائمة عائمة لا تستقر على موضوع ما. وصاحب هذه الحالة الأخيرة متشائم حزين يتوقع الشر والرعب وسوء الطالع في أية لحظة وفي أي شيء. ويسمى فرويد هذه الحالة باسم القلق العصبي Anxiety Neursis. أما المخاوف الموضوعية فيقسمها فرويد إلى ثلاثة مجاميع، حسب ما يتوقعه الشخص العادي منها من خطر. فالنوع الأول يكون فيه عنصر الخطر بارزاً، كالخوف من الثعابين أو من النار.

والنوع الثاني فيه عنصر الخطر؛ ولكن وقوع هذا الخطر يرجع للصدفة المحصنة، كالخوف من السفر في قطار أو باخرة، أو الخوف من دخول زحام خشية يؤدي إلى انتقال مرض إليه كاليتفوس، أو الخوف من التلوث Misophobia، والنوع الثالث ليس فيه عنصر الخطر إطلاقاً، كالخوف من الخنافس والصراصير، والخوف من صعود الأماكن المرتفعة Acropobia. والخوف من الأماكن المقفلة Claustropobia إلى غير ذلك.

ويقسمها آخرون حسب واقعيتها ومثيراتها إلى قسمين: أحدهما المخاوف الحسية أو الواقعية. وتانيهما المخاوف الوهمية أو لذاتية أو غير الحسية.

Freud ; op . cit . (١)

مخاوف الأطفال ومصادر تكوينها:

ومن المفيد من الناحية العلمية التربوية أن نقسم مخاوف الأطفال - وهي التي تهمننا - حسب موضوعاتها إلى حسية وغير حسية. فموضوعات الأولى يمكن الطفل إدراكها بحواسه المختلفة بخلاف موضوعات الثانية؛ إذ لا يمكن الطفل إدراك حقيقتها. فمن النوع الأول الخوف من (الشحاذ أو العسكري) مثلا أو من بعض أنواع الحيوان كالحصان أو القرد أو الصرصور أو غير ذلك. أما النوع الثاني فهو المخاوف غير الحسية كالخوف من الموت. والخوف من جهنم، أو العفاريت أو الغيلان، أو غير ذلك. ويمكن أن يضاف الخوف من الظلام والخوف من النوم في حالة صغار الأطفال إلى النوع الثاني. وسواء أكانت المخاوف حسية أم غير حسية فإن الطفل - شأنه كشأن غيره - يخاف على العموم من الأشياء الغريبة عنه غربة كبيرة، ويخاف كذلك من الأمور التي ترتبط في ذهنه برباط الخوف.

من هذا نتبين بساطة الخطة التي يمكن اتباعها للوقاية من الخوف وعلاجه، وهي توضيح الغريب وتقريبه من إدراك الطفل، ثم ربط مصادر الخوف بأمور سارة محببة بدلا من ربطها بأمور تثير الخوف فحسب. فإن كان الطفل يخاف الكلاب مثلا فيصح أن نساعد على تربية كلب صغير يطعمه ويتعمده ويحميه ويلعبه ويلاحظ نموه يوما بعد يوم... إلى غير ذلك، ثم يصح أن نوجه ذهنه إلى دراسة أنواع الكلاب ومزايا كل نوع وعاداته، وأن نجعل له غرفته بصور لطيفة لهذا الحيوان. وبعبارة أخرى نجعله يدرك السكالك وخصائصها إدراكا واضحا يربطها في ذهنه برباط جميل وينمي اهتمامه بها وشوقه إليها. ويجب علينا كذلك أن نوقفه على مدى ما يجب أن يتبعه إزاء هذا الحيوان من حرص واحتياط.

ومن الأمثلة الواقعية أن طفلة في الثالثة من عمرها كانت تخاف الخيل خوفا شديدا، وتكرر منها الخوف بدرجة تلفت النظر. وبتحليل الموقف من وجهة نظر الطفلة أمكن الظن بأنها قد لاحظت أن وسائل النقل في مجموعها قليلة الجلبة، أما الخيل فإنها عندما تضرب بأرجلها تحدث صوتا عاليا فطبيعي أن تخاف الطفلة. وفي ساعة من ساعات هدوئها سألت والدتها (لماذا يفعل الحصان هكذا؟). وبالمناقشة اتضح أن الطفلة تريد أن تعرف الصوت أو مصدره. وكانت الأم قد فهمت ما تقصده ابنتها فقالت لها (يلبس حذاء حديد). فسألت البنت (ولماذا يلبس حذاء حديد؟). فقالت لها (لتحفظ أرجله)، وحدث بعد ذلك أن ركبت البنت مركبات تجرها الخيل وكانت تنصت لصوت (حذاء الحديد)، ثم أبدت رغبتها في رؤية (حذاء الحصان) ورأتها بالفعل، وكان هذا مصدر سرور عظيم لها.

ثم ظلت مدة تقلد حركة الخيل وتقلد أصواتها. وأصبح ركوب المركبات، ورؤية الخيل والاقتراب منها، أمورا محببة إلى نفسها، وأدت هذه الطريقة إلى زوال الخوف واللذة. هذه حالة عادية يعرض الكثير من مثلها للآباء ويتبين منها كيف أن خوفا نراه بسيطا ربما يكون مؤلما للطفل. والاحتمال كبير في أنه قد يرسخ ويقوى بسوء التوجيه، ومع ذلك يمكن بسهولة محوه وتحويله إلى مصدر تعليمي قيم للطفل نفسه.

وبهذه المناسبة أشير إلى أن بعض الآباء أو بعض الخدم يكتشفون غالبا خوف الطفل من أمر معين كالحصان أو الكلب أو القرد، ويستغلونه إما لتسليةهم الخاصة أو لدفع الطفل للقيام بعمل معين، أو الاحجام عن عمل آخر.

أما تخويف الأبناء للضحك والتسلية من جانب الكبار فهذا أمر متكرر الوقوع؛ فخوف الطفل من القرد مثلا قد يكون مثارا للضحك عند الكبار من اخوة وخدم وأحيانا من الآباء أنفسهم ومادام الأمر مصدرا للضحك والتسلية فلا

غريبة أن يندفع بعض الكبار فيه لسرورهم الخاص على حساب ألم الصغار وانزعاجهم.

وليس هناك أقسى من أن يجلس الوالد أمام ابنه ويثير خوفه، والولد يصرخ والوالد يضحك. ومن المحتمل جدا أن يكون لتكرار هذه المواقف تأثيراته السيئة في علاقة الطفل بوالده، وفي شخصية الطفل وفي سلوكه بوجه عام. مما يقوي في نفوس الأطفال استنارته لحفظ النظام أو لدفع الطفل لعمل معين، أو منعه من القيام بلعب أو ضوضاء أو غير ذلك. فكثيرا ما يخوف الطفل ليقطع عن اللعب والحركة ليهبط جو المنزل حتى يتمكن للوالد مثلا من النوم، أو من تركيز انتباهه فيما يشغله. وفرق بين أن يقطع الولد عن لعبه ونشاطه خوفا من العقاب؛ وأن يفعل ذلك ليؤدي خدمة لوالده.

وما دام المقصود هو هدوء الجو، فيمكن توجيه الطفل للعب في مكان آخر، أو لنوع من اللعب أكثر هدوءا أو غير ذلك. والمهم أن يكون هناك تفاهم مع الطفل. وقد يظن أن الصغير لا يدرك المقصود في مثل هذه المواقف، والواقع أنه يدرك أكثر مما نظن. ويرى بعض الآباء والمدرسين أن أساليب التخويف والعقاب تتجح دائما أكثر من أساليب التفاهم في الحصول على سلوك طيب من الأطفال. ولكن ليست العبرة بالسلوك الطيب وإنما العبرة بالسلوك اللذانم الذي يستمر مع الشخص طول حياته بعد انفصاله عن منزله وعن مدرسته. والعبرة كذلك بالسلوك التلقائي المقصود لذاته وليست بالسلوك الذي يؤتى خوفا من عقاب الوالدين أو المدرسين وتوبيخهم.

وكثيرا ما يهدد الطفل الصغير في مثل الأحوال التي أشرنا إليها بأن يقال له: (إذا لم تكف عن كيت وكيت فسأخذك العسكري أو الشحاذ أو الزبال أو القرد أو منضعك في الغرفة المملوءة بالفيران). وتكون النتيجة أحد أمرين: إما أن الطفل لا يفعل عما يفعل، ولا توقع عليه العقوبة، فيكشف بذلك ضعف الوالدين

ورغم تحقيقهم لوعيدهم، ويدرك مبلغ قوته عليهم تبعاً لذلك، وأما أن يصدع بالأمر، ويهدأ، ويشل نشاطه، ويشب جياناً خضوعاً لغير سبب معقول. والنتيجة وبال في كلتا الحالتين.

وقد قال لي طفل جريء ذات مرة: (لقد حبستني المدرسة في غرفة الفيران) فدهشت وقلت له: (إن ستطلع عما فعلت). فضحك وقال: (لا، لأنني عندما حبست قتلت جميع الفيران، ولا مانع عندي من أن أجلس في الغرفة مرة أخرى) ويبين هذا المثال مبلغ عدم احترام الطفل الجريء لهذا النوع من أساليب حفظ النظام، ومبلغ استعداده للتصدي في عبثه. وهذه النتيجة التي يكشف فيها الطفل خطأ من حوله من الكبار، ويواجه فيها المواقف موجهة صريحة جريئة - رغم ما فيها مما لا يروق أصحاب الأساليب التقليدية للتربية - خير من النتيجة الأخرى وهي الجبن والانكماش، وضعف الشخصية.

ومن أخطاء الآباء المعروفة أنهم لاستئارة الخوف في أبنائهم قد يربطونه بأمر لم يقصد به أن يكون مخيفاً، وإنما قصد به أن يكون مفيداً، فالطبيب مثلاً وهو إنسان يقوم بخدمات إنسانية واجتماعية مفيدة لمن يتصل به يستعمل اسمه في كثير من الأحيان أداة للتخويف، وكذلك الدواء والشرطي والمعلم والمدرسة. وهذه الموضوعات المختلفة التي يجب أن ترتبط في ذهن الطفل بفائدتها وقيمتها الحقيقية تستعمل أحياناً - كما قلنا - وسائل للعقاب أو استئارة للخوف فيقلب معناها في ذهن الطفل فتصبح مصدر خوف له، وتقل قدرته على الاستفادة منها. فأحياناً يعاقب الطفل بأن يرغم على النوم، أو على المذاكرة، أو بأن يعطى دواء، أو توضع في عينيه قطرة، أو ما شابه ذلك. هذه كلها أشياء يجب أن تكون محبة للأطفال وأن يربوا على الإقبال عليها من تلقاء أنفسهم، ولا يجوز أن تصبح رموزاً للارهاب ووسائل للتخويف والعقاب. ولعل أشد مثيرات الخوف ذات الأثر الثابت خوف الآباء أنفسهم؛



فحالات الخوف كغيرها من الحالات الانفعالية تنتقل من فرد إلى آخر بالتأثير. وهذا ما سبق أن سميناه المشاركة الوجدانية. ويدخل معها في حالة صدور الخوف من شخص كبير عامل آخر وهو عامل الإحياء. ومن الأمثلة التي توضح ذلك أن معلمة كانت تلقي درسا في روضة من رياض الأطفال عن الضفدعة، وكانت تخاف الضفادع، ولكنها تشجعت وأخذت معها ضفدعة في صندوق صغير، ولما فتحته ففزت الضفدعة ففزعت للمعلمة وصرخت فصرخ كثير من الأولاد، ورفض معظمهم بعد ذلك أن يقربوا الضفادع. هذه حالة خوف انتقلت إلى الأطفال عن طريق التأثير، فحالة الفزع انتقلت إلى الأطفال بفعل المشاركة الوجدانية، وبفعل إحياء سلوك شخص له مكانته في نظر الأطفال وانتقلت معها فكرة أن الضفدع حيوان مخيف.

وكثيرا ما يحدث أن يبدي بعض الآباء والأمهات خوفا وقلقا على أبنائهم، وتنتقل هذه الحالة عادة إلى الأبناء فيصبحون بذلك قلقين على أنفسهم. فإذا جرح طفل صغير، أو وقع على الأرض، أو ارتفعت درجة حرارته تجد الأم تذعر وتظهر - بسخاء شديد - كل علامات الخوف من جري وارتيباك واصفرار الوجه وغير ذلك. ينتج عن هذا أن الطفل نفسه يذعر. وبعد أن كان لا يشعر بأي تألم قليل يمكنه تحمله، يصير عادة غير قادر على تحمل الألم. وفي العادة نجد الأسرة التي يقلق فيها الآباء على أبنائهم ينمو الطفل فيها وهو سريع للتأثير، شديد الحساسية لكل ألم، شديد الاهتمام بنفسه، فإذا أصابه جرح صغير ألم وبكى وبالغ في الاهتمام به، وإذا أصابه صداع خفيف اعتكف وإذا شعر بارتفاع في درجة حرارته نظر إلى وجهه في المرأة ليري مبلغ صفرة لونه، وتأمل لسانه ليري ما قد يكون عليه من علامات، وحس نبضه، وقاس درجة حرارته. وبهذه الطريقة يتضاعف مظهر المرض المخيف الذي قد يكون لديه. ونجد عادة أن أسرا بمجموعها من هذه النوع تكون عادة سريعة التأثر، كثيرة

المرض، وأفرادها مغرطون في العناية بأنفسهم. ويغلب أن يكون هذا هو نوع الجو الذي تتكون فيه حالات الرعب من المرض ((Hypochondria)).

وأعرف طفلا نشأ هذه النشأة بكى بكاء شديدا في يوم ما وجرى إلى أمه يقول لها إن رجله قد جرحت. فنظرت الأم إلى الجرح المزعوم، فإذا به لون أحمر وليس بجرح. وسببه أن الطفل كان يلبس جوربا جديدا أحمر اللون وابتل بالماء فترك لثرا أحمر على ساقه، فإذا لم يكن هناك جرح ألم فمن أين ينشأ الخوف والتألم ولماذا الصراخ ؟ نشأ هذا من أن الطفل شديد الخوف على نفسه، لأن من حوله شديد الخوف عليه. وهناك من هذا النوع أمثلة واقعية كثيرة منها أن فتاة احمرت نزعها وسبب هذا الاحمرار ذعرا شديدا. وفكرت بسببه فيما قد يتبع هذا الاحمرار من نتائج غير محمودة. هذا مع العلم بأن السبب الحقيقي بسيط للغاية، وهو جلوسها في الشمس فترة طويلة. وحتى عندما ذكر لها ذلك لم يزل خوفها وظلت قلقة على نفسها يومين كاملين حتى زالت الشمس زوالا تاما. نشأت هذه الفتاة في نوع الجو الذي نحن بصدد. وفي العادة نجد الخوف من الآلام الجسمانية، والخوف من الأمراض، والتعرض في كثير من الحالات للأمراض (الهستيرية)، وتمركز المرء حول نفسه، وخوفه عليها من كل طارئ خارجي، سببه امتلاء الجو المنزلي بالقلق والخوف على من فيه.

ومن المهم أن نتذكر أن الخوف على من في المنزل يكون في العادة اسقاطا للخوف على الذات.

فلنكن إذن خطة الآباء والأمهات إذا أصاب أبناءهم شيء ما أن يكونوا عمليين فيلتزموا الهدوء، ويضبطوا انفعالاتهم ويقللوا من جزعهم، ومن كل ما يركز انتباه الطفل على ما أصابه من مرض أو غير ذلك. وليقوموا بعمل إيجابي هادئ لتخفيف الإصابة وعلاجها.

ومما يساعد على ائارة الخوف عند الأطفال تشاجر الكبار. كتشاجر



الأب والأم، أو كثرة صخب الأب وغضبه. ولهذا كله تأثير سيئ لأنه قد يزعزع ثقة الطفل بوالديه وكثير من حالات الاضطراب العصبي في الكبر تنشأ من تزعزع ثقة الطفل بالعلاقات التي بين والديه.

وهناك نوع من الخوف في غاية الخطورة وهو الخوف من المسائل المجهولة غير الحقيقية أو التي لا يمكن للطفل ادراكها حسياً، كالغول وجهنم والموت. والخوف من مثل هذه الأمور يكون عادة أعمق أثراً في حياة الطفل من الخوف من المحسوسات. والواجب هو عدم اثارتها اطلاقاً وإذا كانت موجودة فيجب البحث عن سبب تكوينها، وإزالتها من أساسها، مع شرح حقيقتها — قدر الامكان — بما يلائم عقل الطفل، وأن السماح له على الأقل بالتحدث فيها وعدم كتمها باعطاء الموقف الصحيح لزاءها.

الخوف من الموت

ومن أمثلة هذا النوع للخوف من الموت. ويصاب كثير من الأطفال به بدرجات مختلفة، ويكون سببه أحياناً أن يعيش الطفل مع كبار يخاف أحدهم الموت بشكل بارز، وقد يكون سببه أن يموت للطفل قريب -ورقيق له به صلة شديدة. والسبب الأصلي لهذا أن موت القريب المهم يهز في الطفل ثقته في بيئته التي يحتمي بها وينتمي إليها هذا عنيفاً، فتصبح دنياه في نظره خالية من الأمن. فكما ماتت جدته مثلاً يصح أن يموت أبوه أو أن تموت أمه في أي لحظة؛ أي أن بيئته تصبح خالية من القاعدة الثابتة؛ مضطربة، أو عرضة للاضطراب والانقلاب. وهذا يؤدي إلى اضطرابه.

وهناك سبب أصلي آخر هو أن موت القريب يهز ثقته في نفسه فيشعر أنه يصح أن يموت هو في أية لحظة. والسبب الثالث هو أن الموت ظاهرة غريبة غامضة في ذاتها وليس من السهل على الطفل - بل على الكبير- أن يتصور نفسه في حالة الموت، أو فيما يحدث لجنته بعد الموت رغم معرفته

الأكيدة بتعرضه له. ولهذا يطرد الناس هذه الفكرة عن أذهانهم، بل لا يدخلونها فيها غالب الأحيان. ومن أهم أسباب خوف الأطفال من الموت ما يحاط به الموت مما يأتيه الكبار عادة من بكاء فردي وجمعي وغير ذلك مما تقتضي به بعض التقاليد، فخوف الأطفال من الموت ليس كله خوفا طبيعيا وإنما أغلبه مشتق من خوف الكبار وسلوكهم إزاءه.

وللحصول على بعض الوقاية للأطفال من هذا النوع من الخوف، يحسن أن يكون بالمنزل أو في خبرة الطفل المتكررة بعض الحيوانات. ولا بد من أن يموت بعض هذه الحيوانات فيدرك الطفل الموت بذلك ادراكا طبيعيا هادئا خاليا مما يحيط بموت الإنسان عادة من انفعالات، ومن محاولات لتخبيئة الموت وظواهره من ناحية وتجسيمها من ناحية أخرى. ويحدث أن يسمع الطفل ب وفاة جار ليس له به من قرابة فيسأل ولذته أسئلة عن الموت ومعناه وميعاد حدوثه.. الخ، ويندفع إلى السؤال بدافع الرغبة في الاطمئنان.

وهذه فرصة ذهبية للتحدث الهادئ مع الطفل عن الموت، لأن الخوف من الموت يكون أسوأ أثرا إذا كانت الخبرات الأولى بالموت ترتبط في ذهن الطفل بصدمة شديدة حادة تتعلق بقريب أو عزيز. ويحسن - قدر الإمكان - ألا يحاط الموت بما يحاط به من تقاليد تثير في الأطفال رعبا شديدا دون أن ندرك ذلك غالبا.

وإذا لم يكن هناك بد من متابعة هذه التقاليد، فيحسن إبعاد الطفل عن جوها إلى أن تنتهي. على أنه من الخطأ الفاحش، إذا مات للطفل قريب محاولة التعمية عليه وعدم إيقافه على الحقيقة بمختلف الأساليب وذلك لأن التعمية والتغيبير الفجائي يكونان مصحوبين بجو غير عادي يثير شكوك الطفل وحيرته. والحيرة أشد أثرا في نفس الطفل من الصدمة الناشئة عن المواجهة المؤلمة للواقع.

الخوف من الظلام

يمكن أن يكون خوف الأطفال من الظلام أمرا طبيعيا كما يمكن أن يكون غير طبيعي. ويجب أن يتجه العلاج منه نحو بتعويد الطفل النوم في الظلام، وألا يكون بتعويده النوم في مكان مضاء. وخوف الطفل من الظلام يكون على ظهور الخيالات والأسباح. فالظلام في ذاته لا يثير خوفا غريزيا فطريا وإنما يخيف لما يستثيره في الأطفال عادة بطبيعته من عناصر مخيفة، وذلك لأنه إن كان الظلام حالسكا فإنه يكون في إدراكه مجردا من الحدود والنهايات وإن كان الظلام جزئيا فإن ما به من مرئيات يسهل أن يتحول في نظر الطفل إلى أسباح غريبة. فالطفل قد يقوم من نومه غامض الشعور والادراك، وجو الغرفة يكون وسطا بين للنور والظلام، فيرى المشجب مثلا في ركن الغرفة وفي أعلاه طربوش وعليه ستره فيخيل إليه أنه رجل. وربما هب الهواء وهز ذراعى السترة، مما يساعد على وضوح الصورة المتكونة للرجل في خياله. وإذا كان لدينا طفل يخاف الظلام فيمكن أن ينام في غرفة بها ضوء، ويقلل الضوء ليلة بعد أخرى، ولا مانع من أن يحتفظ بمصباح (سهارى)، ولا مانع من (بطارية) يحفظها تحت وسادته ليضئ بها إذا شعر بالحاجة لذلك. ثم يفهم الطفل بالدليل المحسوس وبالمناقشة أن الظلام لا يدعو لكل هذا الخوف. من أهم العوامل التي تساعد على زوال الخوف من الظلام أن يكون الكبار أنفسهم ممن لا يخافون الظلام. ويصح ألا يعود الطفل الظلام فجأة وإنما يعود بالتدريج. ويجب أن يراعى لوقاية الطفل أو علاجه من الخوف من الظلام نوع القصص التي تحكى له قبل النوم مباشرة، فيجب أن تنتقى بحيث تخلو بقدر الامكان من عناصر الازعاج، ويجب كذلك أن تمتنع استثارة الخوف عند الأطفال وهو في الظلام، لأن مجال الظلام يصعب على الأطفال تحديد موقفهم فيه، خصوصا إذا اضطربوا.

القلق والخوف العام:

ونلاحظ في بعض الناس قلقاً أو خوفاً عاماً، فنجد شخصاً يخاف أي نوع من المخاطرة ويخشى مقابلة من لا يعرف، ويخشى التكلم في مجتمع ويخاف الامتحان. وهو يشك في مقدرة نفسه في كل خطوة من خطوات حياته.

وإذا درسنا حياة هذا النوع من الناس - وهو موجود بدرجات مختلفة- نجد أن من حوله من الكبار كانوا يحذرونه باستمرار أو ينتقدونه باستمرار أو يتبعون معه غير ذلك من الأساليب المسببة للقلق وليس معنى هذا أن التحذير المستمر أو النقد المستمر لا يؤدي إلا إلى القلق، وإنما بحتم أن يؤدي إليه أو إلى نقيضه. فهو إما أن يضعف ثقة المرء بنفسه، أو ثقته بالناس فيقف منهم موقف المتحدي.

واجب الآباء إزاء مواقف الخوف:

ومن القواعد الوقائية الهامة التي يجب أن نراعى أنه إذا حدث لطفل ما حادثة مزعجة فلا يجوز أن نترك الطفل ينسأها لأنه ينسأها غالباً بفعل الكبت، وبذلك تصير في حالة لا شعورية، ولكن أثرها لا ينتهي إذ يحتمل أن تصير مصدراً للاضطرابات النفسية. وقد حدث أن طفلاً صرخ صراخاً شديداً للغاية، كله ذعر وخوف، وظهر أن السبب في ذلك أنه كان قد رأى قطته تأكل أولادها. هذا الحادث ربما يترك أثراً دائماً في نفس الطفل لولا أن من حوله عالجوا المسألة بكثير من الحكمة. وكان من أسئلته التي سألها في ذلك الوقت: (هل كل أم تأكل أولادها؟) وللظاهر أن الطفل خيل إليه أنه كما أن القطّة الكبيرة أكلت أولادها، فمن المحتمل ألا يكون هناك ما يمنع من أن الأم البشرية قد تأكل هي أيضاً أولادها، وعلى ذلك فقد تأكله أمه في يوم من الأيام، ولكن أفهمه من حوله إذ ذاك أن القطّة الشرسة فقط هي التي تأكل أولادها.



ثم إن الموضوع لم يترك لينسى، بل كان من حوله يتحدثون معه فيه من أن لأخر، ويطلبون منه أن يصف طريقة القطة عند أكلها لأولادها إلى غير ذلك من التعليقات حول الحادث. وكان من المحتمل أن يقوم السكار المحيطنون بالطفل باستهزاء من خوفه من الحادث التافه في نظرهم، ويضحكون على سؤاله، أو يجيبونه كذبا بأن كل أم تأكل أولادها إلى غير ذلك، مما يثبت آثار الخوف في نفسه.

وعلى العموم فليتنكر الآباء والأمهات أن الخوف يتكون غالبا بالاستئارة والتكرار. فالقاعدة العامة إذن هي منع الاستئارة. وعليهم أن يتذكروا أن فهم الشيء على حقيقته وتكوين عاطفة طيبة نحوه من أهم العوامل التي يجب إقامته لتعمل ضد الخوف.

ومن أهم القواعد التي يجب توكيدها أن الخوف ينتقل بالإحياء والمشاركة الوجدانية، ولنتذكر أن إحياء السلوك أقوى من أي إحياء فإذا أردت لأطفالك ألا يخافوا الدواء مثلا، فلا معنى لأن تظهر علامات التألم وأنت تأخذ الدواء، أو في الوقت الذي تعطى فيه الطفل دواء ثم تطلب منه التجلد لزأه. فعليك أنت ألا تخاف هذه الأشياء، وإن كنت تخافها فلترض نفسك على تحملها، وإذا استحال عليك ذلك فاستر خوفك عن أطفالك.

ومن الوسائل السهلة التطبيق التشجيع الجمعي، فتعطي مثلا طفلا شجاعا دواء تحت تأثير التشجيع أمام آخرين، ثم تعطي الآخرين دواءهم بعد ذلك تحت تأثير التشجيع أيضا، وبالتكرار تجد أن هذه الأشياء تنفذ بسرعة وسهولة، وعلمنا أن نتذكر في مثل هذه المواقف ما يحسه الأطفال من نشوة عند التغلب على الخوف. ويجب على الآباء أن يروضوا أنفسهم على عدم القلق على أبنائهم أو أن يخفوا عنهم قلقهم إن كان خارجا عن إرادتهم، وإن يقللوا من التحذير والمبالغة في النقد وأن يمتنعوا عن الاستهزاء بالأطفال والسخرية بهم.

وعلى الآباء أن يتذكروا كذلك أن غالب أخطائنا في تربية الطفل سببها أن المرء ينسى ما كان فيه من عالم الطفولة بسرعة وسهولة. فعالم الأطفال عالم دقيق الحس سريع التأثير شديد الانفعال، قليل الإدراك، نادر الخبرة، ضئيل الحيلة. وهذه من أهم العوامل التي تسهل احتمال نمو الخوف بصورة غير سوية.

ضعف الثقة بالنفس

ويرتبط بموضوع الخوف ارتباطاً شديداً صفة كثيرة الشبوع وهي ضعف الروح الاستقلالية في الأفراد. ويكون هذا دالاً في الغالب على فقد الأمن أو وجود الخوف. ومن مظاهر هذا الضعف التردد، وانعقاد اللسان في المجتمعات وللتهنئة واللجاجة، والانكماش، والخجل وعدم القدرة على التفكير المستقل، وعدم الجرأة، وتوقع الشر وزيادة الخوف وشدة الحرص، وتضييع الوقت بعمل ألف حساب لكل أمر-صغيراً كان أم كبيراً- قبل البدء فيه حتى لا يخرج منحرفاً قيد شعره عن السكالم ومن الغريب أن من مظاهره كذلك التهنون والاستهتار وسوء السلوك والاعراء.

وهذه الصفات كلها يجمعها أو يجمع ما وراءها ما يسميه الناس عادة شعوراً بالنقص أو ضعف الثقة بالنفس، أو جنباً.. أو ما إلى ذلك. ولا شك في أن هذه الخصلة الهدامة للرقى المفككة للشخصية، إنما تتكون عادة في السنوات الأولى من حياة الطفل، ويغرسها في نفسه أعز الناس إليه وأقربهم إلى قلبه، هما الوالدين.

الثقة عند الطفل الصغير

وأول ما نلاحظه أن للطفل الصغير العادي يعيش عادة في جو كله أمن واطمئنان. فحاجات الطفل كلها مشبعة ورغباته مجابة. فإذا صرخ فإن الأم تهرع إليه لترضعه، أو لتغير له الملابس أو التفتة في حالة البرد، إلى غير ذلك مما



يحتاج اليه. فالطفل الصغير عادة لا يرفض له طلب، ولذا نجده يبدو كأنه يتحكم في دنياه، فهو يأمر ويصرخ ولا يصبر حتى تحضر له أمه في تأن وهذوء، وإنما يرفض ويصرخ بعنف والحاح إلى أن يجاب طلبه؛ فكان نفس الطفل تشعر بشيء كثير من الاطمئنان إلى من حوله والثقة بهم، وكأنه يشعر شعورا ضمنيا بأن من المسلم به ألا يرفض له طلب بحال من الأحوال.

ولكن يلاحظ أن الطفل قرب السنة الثانية يتعلم المشي والكلام، ويزداد نشاطه، وتكثر حركته، ويكون مملوء ثقة بنفسه وتزداد رغبته في اللعب والصباح والحركة، ويتضاعف شوقه للمس الأشياء وفحصها. وهو لا يعرف منعا ولا زجرا. ولكن ازدياد النشاط عنده لا يجد من الكبار عادة تشجيعا ولا قبولا. فالحركة واللعب ولمس الأشياء وفحصها - خصوصا إن كانت مما يملكه السكار ويقدرونه - تجد معارضة ومقاومة. فكلما لمس شيئا منعه الكبار، وكلما صاح ضربه، وكلما فعل ما لا يروقهم زجروه. والمنع والضرب والزجر وما إلى ذلك كله أمور جديدة بالنسبة للطفل في هذه السن، فلم يكن يألف منها شيئا من قبل، ولم يكن يعرف غير السعادة، والرضا والطمأنينة. أما الآن فهذا كله يقل، أو ينعدم، ويحل محله اضطراب نفسي، وقلق داخلي، وشعور بفقد السند، وفقد ما كان عنده من قوة يسخر بها من حوله لقضاء مصالحه وإجابة مطالبه.

فكان هذا الانتقال الفجائي في المعاملة - وهو يحدث حوالي السنة الثانية من حياة الطفل، ويحدث دون قصد سيئ من الوالدين، بل قد يحدث وفيه قصد التوجيه والتأديب والتربية - هو الذي ينقل الطفل من الامتلاء بالثقة إلى فقدها، ومن الإيمان بالقوة الشخصية إلى التشكك في وجودها. فيجب أن تكون القاعدة الأساسية أن الانتقال في المعاملة من السنين الأوليين إلى ما بعدهما - بنوع خاص - يجب أن يكون انتقالا تدريجيا، وأن يعطى الطفل الفرص الكافية لتصرف ما عنده من النشاط في جو تتوافر فيه العوامل المحققة لحاجات الطفل



النفسية من تقدير وعطف ونجاح وحرية وتوجيه وشعور بالأمن والاستقرار.

بعض العوامل الطبيعية للشعور بالنقص

وبلاحظ كذلك أن مجموع الظروف المحيطة بالأطفال تجعلهم عادة يشعرون بشيء غير قليل من النقص، فالطفل بطبيعة طفولته نظرا لصغره، وجسمه لضعفه، ونظرا لاعتماده على والديه، ونظرا لقصور إدراكه يشعر بأن أمه وأباه بنوع خاص مخلوقان قويان عظيمان، وبالتالي يشعر بأنه فرد ضعيف. ولذا نلاحظ أن نفس الطفل تشنق للكبر، وتتعطش للنمو وكسب القوة. فهو يقلد أمه وأباه في كل أمر تقريبا، لأنه يريد أن يكبر مثلهما، وهو يفرح لأي ظاهرة عنده من مظاهر النمو، فإذا شعر مثلا بأنه صار قادرا على أن تصل يده إلى الصنبور أو إلى مزلاج الباب بعد أن كان غير قادر على ذلك فإن هذا الشعور يكون مصدرا عظيما للنشوة والفرح؛ فكان ضعف الطفل وقوة من حوله يشعره بقلته ونقصه وضعفه.

ولكن يتضاعف أثر هذا العامل الطبيعي بفعل بعض التغيرات الحادثة في مجال حياته كتكرار الحوادث التي تقع بفعل القضاء والقدر أو بفعل معاملة الوالدين.

القصور الجسماني والعقلي :

وقد يكون لدى الطفل بالإضافة إلى ضعفه الطبيعي الذي يشترك فيه مع بقية الأطفال نقص جسماني خاص به كالحول، أو العرج، أو العسر، أو النحافة، أو البدانة، أو فرط القصر، أو فرط الطول، أو تشوه جسماني معين، أو غير ذلك. ويجب في هذه الحالات أن يكون موقف الكبار من الصغار موقفا عاديا، كأن الطفل ليس به شيء غريب إطلاقا، فلا تجوز الموازنة، ولا تجوز السخرية، ولا يجوز العطف الزائد. فالعطف الزائد من شأنه أن يركز انتباه الطفل على عاهته، بل يجب أن يكون سلوك الكبار من هذا الطفل كسلوكهم مع أي طفل



آخر، فأى سلوك غير السلوك العادي يصح أن تنتج لنا شخصا منكشأ، راكدا، متباعداً، منزويًا، غير ميسال للنشاط، أو شخصا ناقما، ثائرا، يتجه في كثير من الأحيان بنقمته وثورته ضد المجتمع وأنظمته وأدابه وتقاليده. وهذا كله من ناحية الشعور بالنقص المتكون من الضعف الجسمي، وأهم ما يراعى فيه أن حساسية الطفل لنقصه أو لموقف الكبار نحو نقصه الجسمي، حساسية كبيرة للغاية، فليكن موقفنا الوقائي إزاء الصحة النفسية للطفل أن نضمن أولا صحة الطفل الجسمانية، وأن نساعد على أن يشعر بقوته وصحته شعورا معقولا معتدلا.

وهناك نوع آخر من الشعور بالنقص، وهو الشعور بالنقص العقلي أو الضعف العقلي، فمن الجائز أن يتأخر الولد عن زملائه في المرحلة الدراسية كأن يجد نفسه في سنة دراسية كل أطفالها أصغر سناً.

ووجوده في هذه البيئة قد يشعره باليؤس ويفقده احترام نفسه وتقديره إياها ومن الجائز أن يكون سبب التأخر هو كثرة تنقلات الوالدين من جهة إلى أخرى، وبالتالي كثرة تنقل الطفل من مدرسة إلى أخرى، وارتبائه في تحصيله العقلي تبعا لذلك. فإذا حدث هذا التأخير.

وكان أن نكأه الطفل يسمح له بالتقدم فيحسن مساعدته حتى يصل إلى المستوى المناسب له، ثم يترك بعد ذلك ليشق طريقة بنفسه. ويحسن أن يقف الطفل على الأسباب التي أدت إلى تأخره، فكثيرا ما تغيب هذه الأسباب عن ذهن الطفل بل عن ذهن الوالدين. ووقوف الطفل والوالدين والمعلمين على عوامل تأخر الطفل يجعلهم أقدر على التحكم فيها ومن الجائز أن يتصف الطفل بقصور حقيقي في استعداده الإدراكي. وفي هذه الحالة لا يجوز وضع الطفل في عمل دراسي أكثر مما يتحملة مستواه الإدراكي، لأنه سيشعر دائما إزاءه بضغفه وعجزه وعدم قدرته.

ومن أحسن ما يقوي في الطفل بنفمه نجاحه وشعوره بالنجاح، فإذا قام

بعمل ونجح فيه فهذا هو أحسن حافز له على مواصلة العمل والنشاط، فإذا كنت تكلفه عملاً ما فمن الجائز أن يكون العمل صعباً جداً ويطاس أمامه، ويظن أنه ضعيف ومن الجائز أن يكون العمل سهلاً جداً لا يشعر الطفل معه ببذل المجهود، أو بلذة النجاح، فبنشأ عنده احتقار للعمل أو شعور بالغرور. فيحسن أن يكون العمل الذي يكلف به عملاً أعلى من مستواه بحيث يتحدى قواه العقلية ونشاطها، وبحيث يهيئ له فرصة للنجاح، وبالتالي فرصة احترام نفسه لنجاحه. وهذا نوع النشاط الذي يحفز إلى الاستمرار في النشاط بعد ذلك.

أثر الموازنات

ومما ينشط همة الطفل أن نحط من قيمته بالموازنة. فبكثيراً ما يوازن الآباء بين طفل وطفل آخر بقصد تحميس الطفل المتأخر إلى العمل والنشاط وهذا النوع من الموازنات يأتي غالباً بأسوأ النتائج.

ومن بين الحالات التي عرضت لنا حالة ولد متوسط الذكاء وله أخت تصغره سناً وتفوقه ذكاء، وكان الوالدان يوازنان علاقتهما بينهما موازنة تشعر البنات بأنهما قد بلغت الذروة وتشعر الولد بأنه قد هبط إلى الحضيض وهكذا تثبط همة الولد، وانكمش على نفسه، وتراخي في عمله، وتشجعت البنات، وتقدمت في عملها، وكلما ازدادت الموازنة زاد الولد تألماً، وزاد انحرافاً عن عمله، وزادت البنات نشاطاً وتحمساً في عملها.

فإذا نظرنا لهذا الولد وجدنا أن كل ما حوله يفقده شعوره بالقوة فهناك توبيخ الوالدين، وهناك رسوبه ونجاح أخته. وهذا كله يترك في لطفل أثراً يترتب عليها شعوره بعدم الجدارة وبنقص الكفاءة، وبعدم القدرة على العمل.

وكان الولد يعمل في الظاهر أحياناً ويستذكر؛ ولكنه يقول انه يستذكر ولا يفهم، وأنه إذا جلس يستذكر يشغل فكره، ويطيير عقله، ويشرد انتباهه مما أمامه. وعقل الولد في هذه الحالة مقسم بين قوتين: إحداهما الرغبة في النجاح والتفوق،



والأخرى شعور خفي يستولي عليه، ويمزق جهوده، ويشعره بأن الإخفاق أمر لا بد منه. والولد في كل هذا مخلوق يائس يرغب ويعجز عن تحقيق رغبته، ويعقد النية ولا يقوى على تنفيذها.

وهو لا يدرك سر القوى الخفية التي تعمل بداخله، والتي هي من غرس الجو المنزلي المحيط به، والتي تجعله غير قادر على العمل. وبالإضافة إلى هذا فإن الأب والأم لا يسمحان له بالاشتراك مع بقية الأسرة في الحديث أو الفسحة، أو المجالسة، أو غير ذلك. وكل هذا بالطبع يزيد من شعوره بنقصه وعدم جدارته.

وطفل آخر له أخ أصغر وأذكى منه بكثير. ذكاء الأكبر أقل من العادي بدرجة ضئيلة. بدأت الموازنة بين الأخوين بتشجيع الوالدين للأصغر وتقريبه منهما، والعطف عليه، وإقصاء الأكبر والاكثار من توبيخه وضربه وحرمانه من كل امتياز.

كل هذا إذا أضيف إلى شعور الطفل بإخفاقه للدراسي، لا يربى فيه شعور بالقوة، بل يهدم فيه كل ما يمت للشعور بالقوة بصلة. وخير لوالد هذين الطفلين وأمثالهما أن يدركوا أن الأخوة يختلفون في قواهم العقلية، وأن الواجب توجيه كل للتعليم الذي يلائم قواه العقلية. فإذا اتجه الأصغر للتعليم الثانوي المعروف يصح أن يتجه الأكبر للتعليم الصناعي، مع احترام نوعي التعليم في نظر كل من الطفلين.

ويجب أن تكون القاعدة هي للموازنة، وأن يستبدل بالنقد والتوبيخ والزرع وما إلى ذلك، وتشجيع الطفل وإشعاره بما فيه من النواحي الطيبة وإبراز هذه النواحي بصورة عملية محسوسة.

وليس من المعتاد أن تكون الموازنة دائماً صريحة؛ فقد تكون ضمنية، إذ يهياً جو المنزل أحياناً بحيث يشعر بالمحاباة، وتقريب طفل وإبعاد الآخر،

وإظهار علامات الحب وعلامات الاستلطاف لطفل دون الآخر. فالمساواة في المعاملة قدر الامكان شرط أساسي لإعادة الثقة في البيئة المحيطة، وإعادة الثقة في الذات.

ويحدث أحيانا أن يكون هناك طفل يعادل مستوى ذكائه مستوى ذكاء طفل آخر أكبر منه في السن بكثير. هذا الطفل يجد نفسه غير قادر على التعامل مع من يساווونه ذكاء لأنهم عادة أكبر منه جسما وأقوى بأسا. ويجد نفسه كذلك غير قادر على التعامل مع من يساווونه سنا، لأنهم أقل منه ذكاء ولهذا تضعف ثقته بالنفس - خصوصا في هذه السن الصغيرة - تكون مبنية على المقدرة الجسمية. وهذا ما يؤدي إلى شعور المتفوقين في ذكائهم بالحساسية وضعف الثقة بالنفس رغم التفوق العلمي. وتعالج هذه الحالة في الخارج أحيانا بإفراد فصول خاصة للمتفوقين في ذكائهم.

اعتماد الطفل على نفسه وعلى غيره

ولعل من أكبر أخطاء الآباء أنهم لا يتركون الأطفال يفكرون لأنفسهم، أو يعملون لأنفسهم. فبعض الآباء يتدخلون في تفكير الطفل وحديثه وعمله ولعبه بمناسبة وبغير مناسبة. وواجبنا أن نترك الطفل يكسب كثيرا من خبراته بنفسه، فنتركه يلعب، ويسلق، ويجري ويقفز، ويبحث عن الأشياء، ويجرب.. إلى غير ذلك. ولكن الآباء كثيرا ما يخافون على الطفل، ويمنعونه من عمل هذا ولمس ذلك بقصد حمايته. ولكنهم بهذه الحماية التافهة يفقدونه صفات استقلالية هامة. لنأخذ مثلا عاديا وهو رغبة الطفل في الدق، أو في القصص. ومعروف أن الطفل تشتاق نفسه لمثل هذا النوع من النشاط، فيعمد الآباء إلى إبعاد (الشاكوش) أو المقص عن الطفل، ومنعه من اجراء تجاربه، وكسب خبراته، خوفا عليه من أن يجرح أصبعه. ولكن حتى إذا جرح الطفل نفسه، فهذا يكون مدعاة لتعليمه الطرق الصحيحة لاستعمال هذه الأدوات. وجرح صغير في الأصبع يستمر أثره



يومين أو ثلاثة أقل أثرا في تكوين الطفل من جرح كبير دائم يتناول ثقته بنفسه، ويضعف أهم ركن من أركان شخصيته.

وبعض الآباء لا يتركون الطفل الصغير يطعم نفسه، أو يلبس نفسه. وحجتهم في ذلك أنهم إذا أطعموه فإنهم يوفرون على أنفسهم بعثرة الطعام، واتساخ الملابس، ولكن الطفل إذا أطعم نفسه، أو ألبس نفسه فإنه يكسب مهارات بدوية بسرعة كبيرة، ويكسب عادات الأكل الصحيحة في زمن قصير. ويشعر بالإضافة إلى ذلك بمقدرته وقوته التي زادت عنها في أيام الطفولة الأولى، ويوفر كثيرا من وقت أمه في المستقبل.

وبعض الأمهات يذهبن في مساعدة أبنائهن إلى حد بعيد جدا، فإلى سن السابعة أو الثامنة يلبسن أطفالهن الملابس. وأعرف أما من هذا النوع كانت لا تترك لابنها (وكان في سن السابعة) شيئا يعمل قط، فهي تبرعت بالاجابة عنه. هذا الطفل يشعر شعورا خفيا بضعفه الشديد، ويشعر بحاجته دائما إلى المعونة، وبالإضافة إلى ما تقدم فإن الولد له أخت تجد من الأم معاملة حسنة جدا، فالأم تقول: ان البنات حسنة، وإنها تسمع الكلام، إلى غير ذلك.

وأما الولد فإنها تصفه بجميع الصفات السيئة؛ فإلى جانب أنها تشعره بضعفه بعدم تركه يعمل شيئا لنفسه، تشعره أيضا بعدم جدارته بموازنته بأخته موازنات سيئة. فالنتيجة أن الولد شذ في سلوكه من نواح عدة، بحيث أصبح من الصعب علاجه إلا إذا أقلعت الأم عن خطئها في كثرة المساعدات وفي التفرة في المعاملة بينه وبين أخته.

ومن نوع المساعدة التي تفقد الطفل ثقته بنفسه ارسال خادم أو غيره لحراسة الأولاد عند ذهابهم للمدرسة وإيابههم منها إلى سن متقدمة، وكذلك الدروس الخصوصية في بعض الحالات، وإعطاء النقود ثم الاشراف على انفاق كل مليم منها، والتفكير للطفل في نوع التعليم الذي يجب أن يتعلمه ولون الحلة

التي يلبسها، والصديق الذي يختاره لنفسه.. إلى غير ذلك مما يبالغ فيه الآباء أحيانا مبالغة كبيرة، ويترب عليه إما تكوين أفراد ضعفاء جبناء مترددين، أو تكوين أشخاص ثائرين مترددين ميالين للتحكم والاستبداد، أو تكوين أفراد يجمعون بين هذين الاتجاهين المتناقضين.

وتأخذ ثورة الفرد ضد هذا النوع من المعاملة أبرز صورها عادة في دور المراهقة والسنوات الأولى من البلوغ.

السلطة الوالدية :

يفرض الآباء على الأبناء أحيانا سلطة جائرة. والشغف بالسلطة يكون في الغالب مظهرا من مظاهر الضعف المستتر. فيتحكم الكثير من الآباء في الطفل ويشعرون بأنه لا حول له ولا قوة بجانب سلطتهم وقوتهم، ويرغم الطفل إذ ذاك على إطاعة الوالد دون أن يفكر أو يتردد، أو يتأمل. فيطلب الوالد من الطفل إطاعته من أجل مجرد الطاعة؛ لا لغاية أخرى أهم منها.

وكذلك ترى الكبار يسخرون من الصغار ويستهنون بهم ويقوتهم العاجزة وتفكيرهم القاصر، ويجعلون من ضعف الطفل عدم اكتمال نموه مصدرا لسرورهم وتسليتهم. كل هذه الأمور — من احساس بالضعف الطبيعي ومن سلطة جائرة، وطلب للطاعة العمياء، وتهكم واستهزاء — تفقد الطفل أهم سلاح يجب أن نسلحه به وهو الثقة بالنفس. وإلى كل ما تقدم نضيف جفاء الكبار، وعدم إظهارهم عطفهم.

ويبالغ بعض الآباء في مخاصمة الأبناء ومقاطعتهم، أو إبداء إهمالهم، فيحدث أحيانا أن نجد الوالد مثلا يتحدث إلى شخص آخر، ثم يجئ الصغير يطلب من الوالد شيئا، فيهمله إهمالا تاما، وربما لا يدرك وجوده. ويحدث غالبا أنه ينهره ويبعده ويزجره ولا يستمع له.

ليس معنى هذا أننا نريد أن بنشأ الطفل على مقاطعة الناس في أحاديثهم،



وانما معناه ألا نهمله باستمرار، فيشعر على الأقل أننا نحس وجوده. أما تكرار اهماله وعدم اقامة أي اعتبار لوجوده فانه يشعره بأنه ليس جديراً بالالتفات اليه، ويشعره بأنه مخلوق حقير أو على الأقل بأنه ضعيف عديم القوة. هذا النوع من المعاملة لا يسهل على الطفل تكوين احترام الذات، وهي المركز الذي تنمو حوله الشخصية نمواً متزاناً.

ومن أخطر مظاهر السلطة الوالدية تذبذبها، مما يزعزع ثقة الطفل بها وقد يترتب على هذا اضطراب ثقة الطفل بنفسه.

العلاقات بين الوالدين:

ومن أهم العوامل التي تجب الإشارة إليها الجو المنزلي نفسه. فإذا كان الجو المنزلي مليئاً بالمحبة والعطف والهدوء والثبات كان الطفل في الغالب مطمئناً على نفسه. ويلاحظ أن شعور الطفل بقوته وثقته بنفسه وظهوره بمظهر الاستقرار والثبات يعكس صورة منزل تسوده العلاقات الطيبة.

أما الاضطراب المنزلي والمشاجرات والمنازعات بين الآباء فانها من أقوى العوامل التي تؤدي إلى فقدان ثقة الطفل بنفسه. نتيجة لفقدانه اطمئنانه إلى الجو المنزلي.

وقد يقول قائل: ومن يدري للطفل بما بين والديه من نزاع ؟ ولكن الطفل حساس للغاية فهو يلتقط ما في جو المنزل بنوع غريب من الاهتمام يطلق عليه المشاركة الوجدانية والايحاء. فليكن جو المنزل متصفاً بالطمأنينة والثبات والائتزان. ولتكن سلطتنا مع الطفل مشبعة بروح الحرية والصداقة^(١) دون أن نفقد شيئاً من الحزم في التوجيه.

وقد تصل العلاقات بين الوالدين إلى درجة أن يتعلق كل منهما بالآخر تعلقاً يهمل معه الأولاد. وينسى بعض الآباء واجبه إلى حد أنهم يتغازلون أحياناً

(١) راجع الباب الثاني : فصل ((الطفل ووالده)) .

أمام أطفالهم. وكثير من الاضطرابات العصبية ينشأ بسبب هذا النوع من المواقف.

التربية والروح الاستقلالية :

لا يقصد بوجود الطفل في حضانه ولديه مدة طويلة أو قصيرة الا أمر واحد، وهو وجوده في جو آمن يحميه في أثناء مراحل النمو الأولي، ولكن لا يجوز أن تصل الحماية إلى الحد الذي يجعله غير قادر على الاستقلال بنفسه. ويمكن النظر إلى نمو الطفل على أنه سلسلة من الانفصالات أو الاستقلالات. فالطفل يقضي شهوره الأولى شديد الالتصاق بأمه، ثم يفصل عنها انفصالا جزئيا ليتصل ببقية أفراد الأسرة، ويساعده في ذلك المشي والكلام، ثم يفصل عن أفراد الأسرة انفصالا جزئيا ليتصل برفاقه اتصالا جزئيا، وترداد صلته برفاقه تدريجيا إلى دور المرافقة، حيث تبلغ هذه الصلة أعلاها، ويصبح شديد الولاء لمجموعة معينة من الناس، ثم يفصل عن هؤلاء انفصالا جزئيا ليتصل بالمجتمع الأكبر. فيكون معنى التربية الاستقلالية هو تكوين شخص يعتمد على نفسه في الفكرة والعمل، ويتصل بالمجتمع ويشعر بمسؤولية نحوه وبحقوقه عليه، وينسجم مع المجتمع بحيث لا يتلاشى فيه، بل يحتفظ بفريدته، ويشعر بالأمن الشخصي، ويتصف بروح الاقدام، والمخاطرة، والشعور بالنقّة بالنفس. والنقّة بالنفس لا يقصد بها الغرور، فالغرور هو تقدير المرء لنفسه تقديرا أعلى من الحقيقة، ونقيضها احتقار الذات، وهو تقدير المرء لها تقديرا أقل من الحقيقة.

وأهم أسلوب يساعد على تقدير المرء لذاته حق قدرها هو التفاعل الكافي مع العالمين المادي والاجتماعي تفاعلا عمليا يترتب عليه وضعه في المكان اللائق باستعداداته، ويترتب عليه اقتناعه بصحة هذا للوضع. ويلاحظ أن ما يصدر من الآباء من مظاهر الحب، والافتخار، والخوف،



والغضب والنقد والموازنة، والتشجيع والتثبيط وغير ذلك، يمكن أن تكون كلها مظاهر طبيعية إذا بدت بدرجات معقولة. ولكنها قد تصل كلها أو بعضها إلى درجة من القوة بحيث تهزم معها الأغراض التي ترمي إليها.

وهذه الأغراض هي أن يكون الطفل مسلحاً من النواحي الجسمية والعقلية والخلقية أو الاجتماعية حتى يصير مؤهلاً للتضال مع زملائه في الحياة بحيث لا يقبل محاباة ولا يخاف فشلاً؛ أي أن الغايات التي يجب العمل على تحقيقها هي التحرر من الولدين أو يشابههما. وبعض الأطفال لا يتحررون من أبائهم مدة الحياة. وقد سبق أن أعطينا من ذلك أمثلة عديدة (راجع فصل (الطفل ووالده)).

مظاهر ضعف الثقة بالنفس:

من مظاهر ضعف الثقة بالنفس الجبن والانكماش، والتردد، وتوقع الشر، وعدم الاهتمام بالعمل، والخوف منه، واتهام الظروف عند الاخفاق فيه. وأحياناً يكون من مظاهر التشدد، والمبالغة في الرغبة في الاقتان للوصول إلى درجة الكمال.

وهذا الاندفاع للكمال يدل عادة على ما تحته من خوف من نقد الآخرين. ومن مظاهره أحلام اليقظة، وسوء السلوك، والمبالغة في التظاهر بطيب الخلق، والحالات العصبية، والمرضية كالتهتة، والتبول، وبعض حالات الشلل، وغير ذلك. ومعنى هذا أن ضعف الثقة بالنفس — مع اختلاف العوامل التي تؤدي إلى ظهوره — قد يؤدي إلى أساليب انسحابية أو سلبية كالكسل أو الانزواء أو الجبن وما إلى ذلك.

وقد يؤدي إلى أساليب تعويضية كالنقد والسخرية والتحكم والتقنع بالوقار المصطنع وما إلى ذلك. وقد تظهر هذه الأساليب السلوكية بنوعها في صور مرضية.

خامس الكذب

من المشكلات التي تتصل بالخوف اتصالاً وثيقاً مشكلة الكذب، ويرى بعض الباحثين أن الكذب الحقيقي عند الأطفال لا ينشأ إلا عن خوف، والغرض الأساسي منه حماية النفس. ونظراً لشبوع الكذب وأهميته البالغة نتجه لدراسته قائماً بذاته. ويرجع الاهتمام بهذا الموضوع إلى أسباب عدة أولها: أن الكذب يستغل في العادة لتغطية الذنوب والجرائم الأخرى، وثانيهما: وجود علاقة كبيرة بين خصلة الكذب وخصلتي السرقة والغش.

وقد وجد الباحثون في جرائم الأحداث بنوع خاص أن من لتصف بالكذب يتصف عادة بالسرقة والغش. ولا غرابة في هذا إذا علمنا أن هذه الخصال الثلاث تشترك في صفة واحدة وهي عدم الأمانة، فعلى حين أن الكذب هو عدم الأمانة في وصف الحقائق، نجد أن السرقة هي عدم الأمانة نحو ممتلكات الآخرين، ولأن الغش هو عدم الأمانة في القول أو الفعل بشكل عام. ولنبداً أولاً بتحديد معنى الصدق ومعنى الكذب. فكثيراً ما يشكل علينا الأمر فيما إذا كنا نعتبر الشخص كاذباً أم صادقاً. ويخيل إلينا لأول وهلة أن الصدق هو مطابقة القول للواقع ولكن كثيراً ما يحدث ألا يكون القول مطابقاً للواقع، ومع ذلك نعتبر الشخص صادقاً، كقول القدماء مثلاً بأن الأرض مسطحة، وكقولهم أحياناً: إن الشمس تدور حولها وغير ذلك.

وكثيراً ما يحدث أن يكون القول مطابقاً للأصل، لكننا نعتبر أن الشخص كاذب، كقول بعضهم: ويل للمصلين، ثم الوقوف عند ذلك.

ويهما في الصدق أن تكون النية متوفرة لمطابقة القول للواقع مطابقة تامة. ويلاحظ في الكذب توفر للنية لعدم المطابقة والتضليل. ولا ضرورة للتوسع في هذا فهو بحث طويل، ويحسن أن نترك الكلام فيه إلى أكاذيب الأطفال. ونحن نعلم أن الأطفال كثيراً ما يكذبون. فليس بغريب على الطفل أن ينكر أمام والديه

فعلة قد أتاها، إذا كسر آنيه أو خرب شيئا ثميناً مثلاً. ولكن الغريب أن يتألم الآباء لهذا أشد الألم، يقلقون له وينزعجون، معتبرين أن الكذب فاتحة لعهد شرود واجرام في تاريخ حياة أطفالهم.

وقد جرت العادة أن ينصب الآباء على الأبناء بالتقريع والإذلال والتشهير والضرب اعتقاداً منهم أنهم بذلك يصلحون أبناءهم، ويقطعون دابر الكذب منهم. ولكن أغرب من هذا تأتي هذه المعاملة بعكس ما يتوقع منها من نتائج، فيصر الأطفال عادة على صحة كلامهم، ويتفننون في إخفاء الحقائق وتزييفها.

الاستعداد للكذب:

وقيل التوغل في الموضوع يجب أن نتذكر أن الأمانة في القول أو في غيره خصلة مكتسبة وليست فطرية، وهي صلة تتكون في المرء عن طريق التقليد والتمرين وغير ذلك من طرق التعليم المختلفة. ويجب أن نتذكر أيضاً أن الكذب ما هو إلا عرض ظاهري، والأعراض لا تهتما كثيراً في ذاتها، وإنما الذي يهمنا هو العوامل والذوابع النفسية والقوى التي تؤدي إلى ظهور هذا العرض.

وهناك استعدادان يهينان الطفل للكذب: أولهما قدرة اللسان ولباقته، ولعل هذا يوافق ما كانت جداتنا يقلنه عن بعض الأطفال على سبيل المزاح، فكن يعتبرن أن الطفل الذي يخرج في الأسابيع الأولى لسانه ويحركه يمنة ويسرة سيكون في مستقبل حياته قوالاً كذاباً. وثاني الاستعدادين خصوصية الخيال ونشاطه.

فخصوصية الخيال هي التي دفعت طفلاً صغيراً لم يتجاوز الثالثة من عمره لأن يقول بأن برغوثاً كبيراً خرج من كتاب أخيه وطار إليه ليلسه، وذلك بعد أن كان قد رأى صورة مكبرة لبرغوث في كتاب للمطالعة كانت اخته تقرأه. وما ذكره الطفل نفسه عن أنه رأى قطعة ذات قرون، وكان هذا بعد احضار أهله خروف العيد فانتزعت مخيلته قرون الخروف وركبتها على رأس قطته، وصار يقول باسمها منشراحاً بأنه رأى قطعة ذات قرون. وادعى طفل آخر بأنه رأى رجلاً

ذا أنفين، وأنه رأى فانوس الشارع يطرح موزاً، إلى غير ذلك من الأمثلة المتعددة للمألوفة التي تظهر في ألعاب الأطفال المصحوبة بالخيال، والتي تسمى باللعب الإيهامي، والتي يعملون فيها آباء وأمهات وعرائس وفرسانا ولصوصاً وغير ذلك.

الكذب الخيالي (٨) Imaginative ore playful

يسمى هذا النوع من الكذب بالكذب الخيالي، وإذا حكمنا على الطفل الذي يصدر منه هذا النوع من الكلام بأنه كاذب، كان ذلك كحكمنا على الشاعر، أو الروائي أو المسافر بأنه كاذب في المادة التي يأتيها بمساعدة خياله الخصب ولسانه الذلق.

ومما يريح نفوس الآباء والمدرسين أن يعلموا أن هذا ليس إلا نوعاً من أنواع اللعب يتسلل به الأطفال. وعند كشف هذه القوة الخيالية الرائعة بحسن توجيهها، والاستفادة منها ولتوضيح ذلك نأتي بالمثال الآتي:

كانت هناك بنت صغيرة اعتادت أن تجلس إلى والديها، تقص عليهما حكايات عجيبة وتدعي بأنها حقيقة. وكانت تسترسل في حديثها استرسالاً مشوقاً جذاباً يملك تكثير المستمعين وانتباههم، فأخذها والدها إلى إحدى العيادات النفسية الشهيرة في لندن لمعالجتها من هذا النوع من الكذب.

ولما درس المتخصص النفسي حالة هذه البنت وجد أنها على قدر عظيم من الذكاء، وأنها رائعة الخيال. طلقة اللسان، فلتار على والديها بأن لها مجال التأليف والتمثيل، وبعد مدة قصيرة نبغت في التمثيل والأدب نبوغاً ظاهراً، فألفت عدداً من الروايات وقامت بإخراجها على مسرح المدرسة وكانت هذه فاتحة لمستقبل باهر لها.

(١) التقسيم الذي في هذه الدراسة هو في أسسه تقسيم الأستاذ (مل نيرت). وقد أدخلنا عليه تحديلاً طفيفاً، وقد

نشره (بيرت) في كتابه: C.Burt; The Young Delinquent.

وإذا لم نتح للطفل فرصة توجيه هذه الملكة وإيمانها، فلا داعي للقلق والاهتمام بعلاج هذا النوع من الكذب، فالزمن وحده كفيل بذلك ولكن قد يفيد إذا نحن سألناه بطريقة لطيفة بين حين وآخر إن كان متأكدا من صحة ما يقول، وإذا نحن جعلناه يحس من نبرات صوتنا، بأننا نحسب هذا النوع من اللعب، ونشاركه فيه مشاركة فعلية فنبدله قصة بقصة، وخيالا بخيال. ونشعره أيضا بأن هذه القصص مسلية، وليكنها مخالفة للواقع.

ويقرب من هذا النوع إلى حد كبير نوع آخر يلتبس فيه على الطفل الخيال بالحقيقة ولذلك فهو يسمى الكذب الالتباسي.

الكذب الالتباسي: (Confessional Lie)

وسببه أن الطفل لا يمكنه التمييز عادة بين ما يراه حقيقة واقعة وما يدركه واضحا في مخيلته. فكثيراً ما يسمع للطفل حكاية خرافية، أو قصة واقعية، فسرعان ما تملك عليه مشاعره، وتسمعه في اليوم التالي يتحدث عنها كأنها وقعت له بالفعل.

ومن هذا النوع أن طفلاً شديد الخيال في الرابعة من عمره في غرفة الزائرين تخيل شيخاً معماً مستكير الوجه، واسع العينين، عريض الجبهة فذهب إلى جده وأبلغه أن الشيخ (محمد عبده) ينتظره في غرفة الزائرين. وانتضح أن جد الولد كان قبل ذلك بأيام قليلة يصف الشيخ في مجلس من مجالسه لبعض زائريه وكان الطفل يستمع فارتسمت في ذهنه بعض الأوصاف؛ فلما جاء الزائر قال الولد إن هذا هو الشيخ (محمد عبده).

وكثيراً ما يحدث أن يقص الطفل قصة عجيبة، ولو تحق الولدان الأمر، لعرفا أنها وقعت للطفل في حلم. ومن هذا النوع أن بنتاً في الرابعة قامت من نومها تبكي، وتقول؛ إن بائع الثلج المقيم في آخر الشارع ذبح خادمته في منتصف الطريق، ووصفت بشيء من التطويل كل ما رآته في الحلم. ولم تفرق

الطفلة بين الحقيقة والحلم فقصت كل هذا على أنه حقيقة، وكان ضروريا إذ ذاك توضيح ما جرى للطفلة.

الكذب الانتقامي

وفي أحيان كثيرة يكذب الأطفال ليتهموا غيرهم باتهامات يترتب عليها عقابهم أو سوء سمعتهم، أو ما يشابه ذلك من أنواع الانتقام. ويحدث هذا كثيرا عند الطفل الذي يشعر بالغيرة من طفل آخر مثلا، أو عند الطفل الذي يعيش في جو لا يشعر فيه بالمساواة في المعاملة بينه وبين غيره. وكثيرا ما يحدث هذا النوع من الكذب من فتيات في دور المرافقة، فتكذب الواحدة منهن متهمة فتى بمحاولة التقرب منها والتودد إليها.

وقد تدل أمثال هذه للحوادث على أن الفتاة تقوم بعملية لا شعورية من النوع الذي سميناه إسقاطا (Projection) والذي يترتب عليه سرورها لأن لديها — حسب ما ترى — من الجاذبية الجنسية ما يحرك الشبان نحوها. وقد تكذب الواحدة منهن لأنها ترغب في الانتقام من الفتى لعدم قيامه إزاءها بما كانت تتمناه منه. وقد يحدث مثل هذا من البنين.

ويجب أن يكون الآباء والمعلمون في غاية الحرص إزاء هذا النوع من الاتهامات، إذ أنها تكون في كثير من الأحيان على غير أساس كاف من الحقيقة.

الكذب الدفاعي

ومن أكثر أنواع الكذب شيوعا الكذب الدفاعي، أو الكذب الوقائي، فيكذب الطفل خوفا مما قد يقع عليه من عقوبة. وظاهر أن سبب الكذب هنا هو أن معاملتنا للطفل إزاء بعض ذنوبه تكون خارجة عن حد المعقول وقد يكذب الطفل ليحتفظ لنفسه بامتياز خاص لأنه إن قال الصدق ضاع منه هذا الامتياز مثال هذا الطفل الذي يسأل عما بيده فيقول: انه شيء حريق (يج) والواقع



أن معه حلوى. وكالطفل الانجليزي الذي سئل مرة عما إذا كان يعتقد في (بابا نويل) (Father Christmas)، فقال انه بالطبع لا يعتقد في هذه الخرافة، فقيل له: ولم لا تتجاهر بهذا أمام أمك وأبيك؟ فقال انه يخشى أن يفقد شيئاً من عطفهما عليه ويحرم من هداياهما له في عيد الميلاد. ومن أمثلة هذا أيضاً ما حدث معي منذ زمن، ذلك أنني كنت خارجاً للتنزه، فطلبت من ابن أخي وكان إذ ذاك في سن الثالثة أن يستعد ليخرج معي، فذهب ليستعد، وما مرت دقيقتان حتى عاد إلي قائلاً: (المشمش ايه اللي طلع؟) فقال: (المشمش، علشان أروح وياك) وحتى بعد هذا لم أفهم ما يقصده، ولكن بعد الاستفهام وجدت أنه كان قد قال للخادم في فرح وسرور: (أنا رايح أتسح مع عمي) فقال له الخادم: (ايه..؟ ده لما يطلع المشمش)، فتركه وأسرع إلي قائلاً: إن المشمش قد ظهر، وانه رآه بالفعل. فهنا كذب الطفل؟ لأنه يخشى أن يحرم من الخروج معي إن قال الحق. ولكن مثل هذه الحوادث لا نوقفنا على صلة الكذب ببقية الشخصية. وليبيان هذه الصلة يجب للقيام بدراسة تفصيلية لإحدى الحالات.

لنأخذ حالة لولد عمره (١٤) سنة، وهو متأخر جداً في فصله بالسنة الثالثة الابتدائية ويتبول ليلاً في فراشه وهو كثير الكذب، إذ أنه لا يصرح لوالديه بكل ما يفعل فبعد انصراف المدرسة يذهب إلى المنزل في ساعة متأخرة، ويقدم عذاراً يتضح من البحث أنها غير صحيحة.

والولد ثاني أخوته، وهو كسلان في أداء واجبه، يميل إلى الانحراف في اللعب، ولكنه هادئ مطيع مسالم ويقبل في الظاهر كل ما يفرض عليه.

أخوه الأكبر لم يواصل تعليمه، ويتحدث عنه الجميع في المنزل حديثاً مشيناً، ولو أنه يتمتع بقسط كبير من الحرية فهو يخرج للفسحة وللخيالة دون أي تقيد. وأما صاحب الحالة فإنه يحرم من الخروج للتنزه، ويقضي الإجازة الأسبوعية في المنزل خوفاً عليه من الترام والعربات والبحر وغير ذلك. ولا

يسمح له بالذهاب مع أخيه الأكبر إلى الخيالة التي لا يذهب إليها في نظر والديه إلا المفسدون الأشرار.

والوالد رجل عادي في الظاهر، ولكن الأم متشددة جدا. وبلغ تشدها أن كوت ابنها بالنار في جانبه لتبوله في أثناء الليل في فراشه. والحالة الصحية للولد في حاجة إلى بعض العناية. والذي يعيننا - فيما نحن بصده من هذه الحالة أحد أعراضها وهو الكذب. سببه - كما يبدو - الشعور بالنقص، والرغبة في وقاية النفس من السلطة الجائرة في المنزل. ويلاحظ أن الولد كان يكذب في المنزل على حين لا يكذب قط في المدرسة. ويلاحظ أن العوامل التي أنت مع أحد الأولاد إلى الكذب والمخادعة، أدت هي نفسها مع أخيه إلى التمرد والخروج على الطاعة ويمكن القول بأن الأول تكيف بالضعف والثاني تكيف بالقوة.

وقد عولجت الحالة من الناحية الصحية وعدلت علاقة الولد بوالديه، وأرشدت الأم إلى ما كانت تحتاج إليه كتحديد النسل، إذ أن من بين أسباب تشدها وعصبيتها إرهابها بكثرة الأولاد.

وأرشدت الأسرة كذلك إلى اختيار مسكن تتوافر فيه الإضاءة، والتهوية، ودورة المياه، ودورة المياه الخاصة به والقرب من المدرسة ومن عمل الوالد في الوقت نفسه، وأرشدت الأسرة كذلك الولد إلى ما يعمل إزاء التبول، والفسحة، والتغذية وإزاء المذاكرة من حيث تنظيمها وطرق أدائها. وقد نجحت الحالة نجاحا باهرا لحسن استعداد الوالدين، وشغفهما بإصلاح الولد، وإصلاح نفسيهما ولم تتكرر شكوى الوالدين بعد ذلك من كذبه، ولا من مشكلاته الأخرى.

ومن أنواع الكذب الوقائي كذلك كذب الإخلاص أو الكذب الوقائي (Lie of Loyalty) وفي هذه الحالة يكذب الطفل عادة على أصحاب السلطة عليه



كالآباء أو المدرسين، ليحتمي أخاه أو زميلة من عقوبة قد توقع عليه، ويلاحظ هذا في مدارس البنين أكثر منه في مدارس البنات، وفي المدارس الثانوية أكثر منه في المدارس الابتدائية. ذلك لأن الكذب الوقائي مظهر من مظاهر الولاء للجماعة؛ والولاء للجماعة يقوى في دور المراقبة، ويكون عادة عند البنين أكثر تكبرا منه عند البنات.

كذب التخليد

وكثيرا ما يكذب الطفل تقليدا لوالديه، ولمن حوله. إذ يلاحظ في حالات كثيرة أن الوالدين نفسيهما يكذب الواحد منهما على الآخر مثلا ففتكون في الأولاد خصلة الكذب. وفي إحدى الحالات كان من شكاوى الوالدين كذب الطفل، واتضح أن أمه كانت توهمه بأنها تريد أن تصحبه للنزهة، ثم يكتشف أنه يؤخذ للطبيب. وأن والديه يخرجان ليلا ويتركانه بعد أن يوهماه بأنهما ناما معه في المنزل.

الكذب العنادي:

وأحيانا يكذب الطفل لمجرد السرور الناشئ من تحدى المطلقة، خصوصا إن كانت شديدة الرقابة والضغط قليلة الحنو.

وقد أشار (توم)^(١) إلى حالة تبول لا يرادى وكانت الأم من النوع الشديد الجاف، فكانت تقول للطفل أنه لا يجوز له أن يشرب قبل النوم، ولكن الولد رغبة في المعاندة فكر في أن يقول إنه لا بد أن يغسل وجهه قبل النوم. وعند غسله وجهه يشرب كميات من الماء، وأمه واقفة إلى جانبه دون أن تتمكن من ملاحظة ذلك. وكان الولد يشفق لذة كبيرة من استغلال غفلة أمه على الرغم من تشدها في الرقابة.

Thom : Everyday Problems of The Everyday Child ; Ch . XVI^(١)

الكذب المرضي أو المزمن (Pathological Lie or Mythomania)

وأحيانا يصل الكذب عند الشخص إلى حد أنه يكثر منه، ويصدر عنه أحيانا على الرغم من إرادته. وهذا نلاحظه في حالة الكذب الادعائي، لأن الشعور بالنقص يكون مكبوتا، ويصبح الدافع للكذب دافعا لا شعوريا، خارجا عن إرادة الشخص. وحالات الكذب المزمن معروفة في كل زمان ومكان.

لنأخذ حالة توضح هذا النوع وهي حالة لولد أرسل بتهمة التشرد، وجمع أعقاب اللغائف. والولد عمره ١١ سنة، وقال إن والدته ماتت وهو في الثانية من عمره، وأبوه مات وهو في التاسعة والنصف، وأن والده كان مزارعا صغيرا في (شبين الكوم) وليس له إخوة، ذكور أو أناث.

وقال إنه هو ووالده كانا يعيشان بعد وفاة الأم في كوخ صغير، وكثيرا ما كان والده يتركه بمفرده في الكوخ ليلا. وقد مات أبوه منتحرا بإحراق نفسه في الحقل، ولم يترك سوى (قفطان) به ١٧٨ قرشا.

ووجد صاحب سيارات اسمه (حسن عويضة) فأخذه وعطف عليه، وكان يستصحبه معه من (شبين الكوم) إلى (الإسكندرية) ليعمل لكسب رزقه وبالفعل أمكنه أن يعمل كصبي كواء للجمرك، ثم نزح من الإسكندرية إلى القاهرة ماشيا على الأقدام، يستريح قليلا في كل بلدة. وسبب حضوره إلى القاهرة أنه يبحث عن عمه (سالم محمد سالم) الذي يعمل صانع أخذية في (عزبة الورد) في جهة (الشرابية). وعند وصوله إلى القاهرة نام الليلة الأولى في صندوق التليفونات العامة أمام قسم الأزيكية، واشتغل حمالا في ميدان المحطة إلى أن قبض عليه وأحيل علينا لدراسته.



وضع الولد في أحد الملاجئ، وكان يطلب التصريح له بزيارة عمه، فبعد أول مرة خرج فيها للزيارة جاء شاب إلى الملجأ، وقال إنه يريد أن يرى أخاه. واتضح. أنه أخ الولد الذي نحن بصدد، واتضح أن الولد ليس يتيماً كما ادعى، واتضح أن والده والدة على قيد الحياة، وأن له أخوة كثيرين، وأن شينا مما قصه علينا لم يحدث.

واتضح كذلك أنه قُبض عليه ثلاث مرات قبل ذلك، وكان يفلت في كل مرة بحيلة. ويشكو أهله مر الشكوى من أكانيه التي لا تنقطع، وقد تبين كذلك أن الولد هرب من المنزل عدة مرات واتضح من البحث أن للوالدة مريضة من مدة كبيرة، وهي مقيمة مع أهلها ببلنتهم بسبب مرضها، وأن الولد نجار عادي يكسب طول يومه ليكسب قروشاً قليلة.

وللولد أخ أكبر عمره يزيد على عشرين سنة ويعمل عند أحد صانعي الأحذية، وهو ناجح في عمله ويتقاضى عليه أجراً طيباً. ويلي الأخ الأكبر أخت تقيم مع والدتها ببلدة أهلها، ثم أخ يزيد على الولد الذي نحن بصدد بسنة واحدة فقط، وهو في عمله ناجح يكسب منه رزقه. وأما الولد نفسه فلم ينجح كثيراً، وكان أخوه الأكبر يضربه ضرباً مبرحاً.

ويلاحظ أن الوالد مشغول جداً، والوالدة مريضة وبعيدة عن المنزل، والأخ الأكبر في غاية القسوة على الولد، ثم إن الولد أقل نجاحاً في حياته من أخيه الأكبر منه مباشرة.

ويلاحظ أن الولد بعده بنتان ثم ولد يصغره بتسع سنوات، ولذا فقد شغل مركز الذكر الأخير مدة طويلة. وما زالت بادية عليه آثار التكليل من أمه في حديثه. يضاف إلى كل ذلك أنه فقد عطف أمه بمرضها وبعدها عنه.

لهذا كله يسهل تفسير هربه وكذبه، ويسهل تفسير أنه في كذبه كان كمن يحقق رغباته في حلم، فقضى على أخوته جميعاً، وعلى والده ثم سافر وخاطر

وعمل ونجح، وتتصل من والديه ومن دينهم ومن دينه، ومن إخوته ولو أنه حاول أن يبرر مسلكه بعد ذلك بأن تغيير دينه كان لأجل ألا يضطهد في الملجأ وتدل الدلائل على أن هذا غير صحيح تماما. لأنه إذا كان صحيحا فكيف نفسر تكرار كذبه طول حياته تحت ظروف غير التي ذكرناها ؟ فالغلام مدفوع للكذب دفعا قويا بعوامل لا شعورية خارجة عن إرادته.

وقد نصحننا بتوجيهه إلى ما يلائمه، واعطائه فرصة إثبات نفسه في ألعاب الملجأ، وإشعاره بعطف شخص معين عليه. وقد تقدمت حالته كثيرا جدا.

بعض القواعد العامة

لنتهينا من شرح أهم أنواع الكذب، ونبين في كل نوع ما يدفع عادة إليه، ويلاحظ أن النوع الواحد لا يظهر غالبا قائما بذاته. فالخبر الكاذب قد يؤدي وظيفة وقائية عنادية في الوقت نفسه.

ويلاحظ كذلك أنه لا ترسل للعبادة في الغالب حالة تكون الشكوى فيها من الكذب وحده، وإنما يكون الكذب عادة إلى جانب الأعراض الأخرى كالسرقة أو شدة الحساسية أو الخوف أو ما يشبه ذلك والقاعدة الأولى للآباء والمدرسين هي أن يتبينوا إذا ما كذب الطفل إن كان كذبه نادرا أم متكررا، وإن كان متكررا فما نوعه وما الدافع إليه ؟

وأن يحجموا عن علاج الكذب في ذاته بالضرب، أو الانتهاز أو السخرية أو التشهير أو غير ذلك. وإنما يعالجون الدوافع الأساسية التي دفعت إليه. ويغلب أن يكون للعامل المهم في تكوينها هو بيئة الطفل، كوالدين أو المدرسين أو اصحاب السلطة على وجه العموم.

ويجب كذلك أن نتجنب الظروف التي تشجع على الكذب، فمثلا إذا كان لدينا طالب نعهد فيه هذه الخصلة، فلا نجعله المصدر الوحيد للشهادة في حادثة ما لأن هذا يعطيه فرصة لانطلاق عادة الكذب، وننتهيها بالتكرار والتمرن.



وزيادة على ذلك يصح أن يعطى الكاذب فرصة الافلات بكنبه دون أن نكتشفه؛ لأن النجاح في الافلات بالكذب له لذة خاصة تشجع على تثبيته واقترافه مرة أخرى، بل تشجع أيضا على الاسترسال في سلسلة من الأكاذيب المقصودة التي تصدر عن نفس هادئة مطمئنة، وإن أردت ألا يفلت الكاذب بكنبه فسلح نفسك أولا بالأدلة القاطعة ولا تلتصق به التهمة وأنت في شك، لمجرد أنه تعثر في حديثه مثلا أو ظهرت عليه علامات أخرى للاضطراب في أثناء مناقشته. عليك أن تأخذ أقواله بشيء من الثقة والتقدير، وحاذر أن تظهر أمامه بمظهر الشك أو التردد سواء في حديثك أو حركاتك. يلاحظ كذلك أنه لا يجوز في الأحوال العادية إيقاع العقوبة على الطفل بعد اعترافه بذنبه، فالاعتراف له قدسيته، وله حرمة.

ومن شأن إيقاع العقاب على الطفل - بعد أن نحمله على قول الصدق والاعتراف ضد نفسه - أن يقلل من قيمة الصدق ومكانته في نظر الطفل. وعلى العموم من الخطأ للغاية أن نعد إلى إرغام الطفل على الاعتراف، لأن الطفل الذي يأتي ذنبا، كأن يسرق، أو يخرب، ينتظر منه عادة أن يكذب. والواقع أن الكذب - أسهل الذنوب اقترانا وأولها حضورا إلى ذهن الطفل، والكذب كما نعلم - يساعد على تغطيته كثير من العيوب والذنوب.

من هذا نشعر أن الطفل الذي يعترف بذنبه يمكن إصلاحه، وأما من يصبر على الإنكار فلا يجوز أن نبدأ باستجوابه، لأن هذا نتيجة الاسترسال في الكذب، والتفنن فيه ومما يجب على الآباء والمدرسين تذكره باستمرار أن الطفل لا يسر بما عنده من اسرار إلا لأصدقائه ومحبيه. وأما أصحاب السلطة كابيه وناظره ومدرسه فإنه يخاطبهم عادة بشيء من الحرص والخوف. فالاعتراف والصدق والصراحة كلها امتيازات خاصة لا يحبها الطفل إلا لإخلائه وخلصانه، ولا يتقدم بها إلا لمن تطمئن إليهم نفسه، ونرى أنه لضمان الصدق والصراحة، يجب أن يحل للتفاهم والأخذ والعطاء مقام القانون، والعطف والمحبة محل

السلطة والشدّة، وأنّ نجمهم عن العقوبات التي لا تتناسب مع الذنوب، وألاّ نوقع بعضها إلاّ إذا أدرك الطفل إدراكا تاما أنّه أذنب، وإذا اقتنع بأنه يستحقّ العقاب. فالعقوبات التي تجري على غير هذا المنوال تهدم الأغراض التي ترمي إليها، فهي تنفد الطفل توازنه، وشعوره بأمنه وسلامته في بيئته وتدفعه إلى تغليف نفسه بأغلفة الكذب والغش لوقاية نفسه من أصحاب السلطة، ومن البيئة المستبدّة للقاسية. فليفهم المهيمون على تربية الأطفال أنّ الكذب نوع من التكيف لبعض الخصائص في بعض الليئات، وأهمّها خصائص هؤلاء المهيمين.

وإذا كان الأطفال يكتبون- كما قلنا في أحيان كثيرة لتغطية نقص يشعرون به، فعلينا أن نكثر لهم من الأسفار والرحلات ونواحي الميول والنشاط والهوايات، فكلّ هذه تعطي الطفل نواحي حقيقة يظهر فيها ويتحدث عنها. وفي حالة الخياليين البالغين ليس هناك ما يمنع من تشجيع الخيال عن طريق دراسة الشعر والأدب.

وأما في حالة الخياليين قبل سن المراهقة فلا ننصح - وفقا لرأي (بيروت Burt)^(١) - بالقصص الخيالية الخرافية ولا برواية غالب أسطرة الخيالة، وإنما بالاستزادة من الانشاء الشفهي المبني على المشاهدات الدقيقة والتفكير المنظم، وإذا علمنا أنّ قول الصدق يتطلب مقدرتين هما صحة الإدراك، ودقة التعبير، رأينا أنّه في الامكان تدريب الطفل في هاتين الناحيتين، وهذا يكون عن طريق اتباع المشاهدات، والقياس، والقيام بعمل التجارب، وتدوين نتائج كلّ هذا بمنتهى الدراسة هذه الفرصة لتعود تلاميذه الدقة في الملاحظة والدقة في التعبير في جميع ضروب الحياة، وبهذه الطرق يتعود التلميذ الصدق في صورة بسيطة، وهي جعل القول مطابقا للواقع مع توفر النية.

ومثل هذا يمكن أن يقوم الوالد بتدريب ولده عليه بسهولة. يضاف إلى كلّ

C. Burt ; The Young Delinquent . (١)

ما تقدم وجوب انصاف الكبار المحيطين بالطفل بالصدق بأنواعه فلا غش، ولا كذب، ولا تجسس، ولا اختلاق أذعار ولا نقاد للمواقف وكذلك يتحتم وجوب احترام الصديق وتقديره. ويجب ألا تلفظ بوعد للطفل إلا إذا كنت قادرا على تنفيذه بالفعل - متى وعدت - مهما كلفك ذلك.

السرة

حالة في السرة

ولد عمره أربع عشرة سنة قام بسرقة كتب زملائه فضبط وقام ناظر المدرسة بخلاف ما يتوقع منه - بتسليمه لرجل الشرطة، وهذا حوله إلى نيابة الأحداث، التي رأت أن تستأنس برأي مكتب الخدمة الاجتماعية لمحكمة أحداث القاهرة. وقام المتخصص النفسي بالمكتب بدراسة الولد دراسة وافية اتضح له منها أن ذكاه عادي ومستواه الدراسي يتفق مع كل من عمره ومستوى ذكائه، إذ كان في السنة الثانية الثانوية^(١) أما الوالد فإن دخله لا يزيد على ثلاثمئة جنيه في الشهر، والرجل شغوف إلى حد بعيد جداً بأن يعلم أولاده. والولد هو الابن الأكبر، والذكر الوحيد، وله أخت واحدة تتعلم مجاناً في مدرسة أميرية مثل أخيها.

وقد بلغ من شدة قلق الوالد على تعليم أولاده، أنه يشرف بنفسه على مذاكرتهم ويضرب ابنه ضرباً مبرحاً، ويأتي له بالإضافة إلى ذلك بالمدرسين الخصوصيين غير الأكفاء للقيام بضربه وتعليمه، ووصل شغل الوالد بالتعليم إلى أنه علم زوجته القراءة والكتابة إلى أن أتقنتهما، وقد كانت أمية عندما تزوج بها. والرجل يندب حظه لأن تعليمه اقتصر على نيل الشهادة الابتدائية فقط. ويتحدث دائماً عن كفايته ورجاحة عقله، ومقدرته، وأنه لو كان قد تعلم لكانت حالته غير ما هي الآن. فالرجل مدفوع بعنف، ليحقق في ابنه ما لم يتحقق له في

(١) تقابل الرابطة الإعدادية في النظام الحالي .

نفسه^(٢) والولد يكره والده من غير شك لمعاملته الشديدة له، والأم ضعيفة لا حول لها ولا قوة.

لما وصل الولد إلى سن الرابعة عشرة وبدأ في دور البلوغ أخذ يتفتح ذهنه للمستوى الاجتماعي الذي يتعلم فيه. ووجد أنه لا يأخذ مصروفا كافيا يجعله يظهر أمام اخوانه كما يظهرون، فهم يلبسون الملابس الأنيقة ويدخنون اللغائف الفاخرة إلى غير ذلك. فبدأت يده تمتد إلى كتب زملائه فيسرقها، ويبيعها في محلات بيع الكتب القديمة، ويستغل ثمنها في الظهور مثل اخوانه. ومن الغريب أنه شكا لادارة المدرسة غير مرة من أن كتبه تسرق منه. ولعله كان يبيعها ثم يشكو ليبعد الشبهة عن نفسه. ولكنه ضبط في هذه المرة متلبسا بفعلته. وقد يكون واضحا أن الولد يسرق مندفعاً إلى التعويض عن شعور بالنقص ناتج من موازنة نفسه بزملائه. وهذا الشعور بالنقص كان من الممكن تعويضه بالتفوق الدراسي، كما يحدث عادة من الأولاد الفقراء، العائيين منهم والأذكىاء. ولكن الولد كان متأخرا جدا في الفصل بين زملائه، فكانه لم يجد لما عنده من النقص الا هذا للمخرج، وهو السرقة من زملائه.

ولكن الشعور بالنقص الاجتماعي مع عدم التفوق لدراسي، وعدم التفوق الرياضي لا يكفي لتفسير السرقة. وإذا رجعنا لتاريخ حياته وجدنا أنه الولد الأول، وأنه كان محلا جدا في أول حياته، فكانت كل طلباته تجاب. فلم يتعلم إذ ذاك كيف يقاوم رغباته الخاصة. وكان المستوى الاقتصادي للأسرة لا بأس فيه، فكان هناك بعض الرخاء، وكان دخل الولد لأمر ما أكبر مما هو عليه الآن،

(٢) وربما كانت هنا في نفس الولد عوامل لا شعورية أخرى أكثر خفاء وأشد عمقا مما ذكرنا . فالولد لما أصابه ناقم على الحياة. وقد تحول بحيلة عقلية لا شعورية، نفسه إلى ابنه وكثيرون من الآباء يعاملون أبناءهم عامة والابن الأكبر - منزع خاص كما لو كانوا سبب اخفاقهم وشقايتهم ومحنهم . وإلى غير ذلك . وتجد في هذه الحالة مظاهر الانسلاخ والتحويل والتبرير وما إلى ذلك . وهناك احتمالات أخرى كالنزوع إلى تطييب الذات الناتج من احساس مكبوت بالخطيئة (Repressed Sense of Guilt) . وهذا الاحساس المكبوت بالخطيئة بدوره له تفسيره في طريقة تكونه .

وكان الولد هو الطفل الوحيد.

أما الآن - وقد زاد عدد الأطفال، وكبروا، وزانت مطالبهم، وفي الوقت نفسه انخفض الدخل، وارتفعت تكاليف المعيشة لارتفاعها باهظا (بسبب الحرب التي نشبت عام ١٩٣٩). وبدأ للوالد يشتد على ابنه لتوتر في نفسه من حالة الغلاء، ولتوتر في نفسه من تراخي ابنه - فالولد ينتقل تدريجيا من حالة تمتع ذاتي وتقدير ممن حوله إلى حرمان وعدم تقدير وتضييق وعقاب وإيلاف. وقد جاءت هذه التغيرات كلها في وقت تنزع فيه النفس نزوعا شديدا إلى التقدير الاجتماعي، ولتساع الأفق، والسيطرة، وهو وقت المراهقة والبلوغ.

وبعد كشف حوادث السرقة أدى الولد امتحانا آخر العام ورسب فيه. وما كاد يعلم بالنتيجة، حتى وقع تحت سلسلة من التعذيبات أجراها عليه الوالد، فهرب ولم يظهر مدة تزيد على شهرين.

وله في أثناء ذلك، وبعد ذلك، عدد من التصرفات العنيفة، والمخاطر التي تل على كراهيته لوالده وميله الشديد إلى البعد عنه، مما لا نهمنا تفاصيله في هذا المقام.

حالة أخرى في السرقة

فتاة عمرها اثنتا عشرة سنة تشتغل بالخدمة في أحد المنازل، واتهمت بحق بسرقة ملابس ومصوغات ممن تعمل معهم، وبدراسة الحالة اتضح أن نكاه البنت أقل من العادي. ولكنها لا تعتبر ضعيفة العقل. فمستوى ذكاؤها يعادل مستوى نكاه شخص عادي عمره يقع بين ثمان وتسع سنوات.

وتتصف البنت بشيء من عدم الثقة، والجبن، وشدة الحساسية، وسرعة التأثر، إذ أنها تبكي لأقل سبب، واتضح بالدراسة أن الأسرة التي تعمل البنت في خدمتها مكونة من سيدة وزوجها، وليس ليهما أولاد ولا خدم آخرون.

وهما سكيران ويشربان الخمر معا في منزلهما إلى أن يفقد كل منهما صوابه. وفي الحالة يصير البيت بخزائنه وصوابونه المفتوحة تحت تصرف البنات، إذ تصير الرقابة عليها قليلة جدا. ونظرا لجبن الفتاة، ضمت ذكائها، فانه يسهل وقوعها تحت تأثير شخص آخر.

يلاحظ كذلك أن والدي الفتاة منفصلان بالطلاق، وأن الأب تزوج بغير الأم وليس له بالبنات أية علاقة. والأم كذلك -وهي في الخمسين من عمرها- تزوجت برجل أصغر منها سنا بعشرة أعوام، وهو رجل عاطل كسلان كان يطمع في بعض ما لديها من النقود، وهي ضعيفة أمامه، فهي تعمل وتكسب وهو لا يعمل شيئا، ويصرف كثيرا من وقته في التنزه والجلوس على المقاهي، وتدل الدلائل على أن الأم تستغل البنات للسرقة حتى تغدق على زوجها وترضيه، وللبنات -على غير ما كان ينتظر- مكانة لا بأس بها عند زوج الأم.

خلاصة الحالة أن الفتاة نظرا لقلة ذكائها، ولجبنها، يسهل إغراؤها. وهي مكروهة من أبيها ومقربة من أمها بقصد استغلالها. وترغب البنات في المحافظة على الصلة بينها وبين أمها، وهي الصلة الوحيدة الباقية بالنسبة إليها. وبهم الصغار بنوع خاص أن يكون هناك من يشعرون بالانتماء إليهم وقد نجحت الفتاة في تحقيق هذا عن طريق السرقة.

السرقة والاستعداد لها

يتبين من دراسة الحالتين السابقتين أن السرقة ليست حدثا منفصلا قائما بذاته وإنما هي سلوك يعبر عن حاجة نفسية. ويمكن فهم هذا السلوك في ضوء دراسة شخصية الطفل وطريق تكونها. والوظيفة التي تؤديها السرقة لها. فبينما نجد السرقة في الحالة الأولى وسيلة لاثبات الذات، نجد في الحالة الثانية وسيلة لحماية الذات.



ولابد من فهم وظيفة السرقة ومكانتها من تكوين الشخصية قبل الاتجاه نحو علاجها، والسرقة وما يضادها وهي الأمانة ليست صفات فطرية طبيعية وإنما هي صفات مكتسبة. وللسرقة اسسها الطبيعية في الانسان، وهي الميل للتملك والاستمتاع بالقوة، إذ أن السرقة هي الاستحواذ على ما يملكه الآخرون بدون وجه حق. نظرا لأن السرقة ذنب اجتماعي فإن المجتمع يعطيها أهمية كبرى. بخلاف الصفات الشخصية السيئة كالتدخين أو العادة السرية، فإنها لا تهم المجتمع كثيرا لأنها لا تتناول فيما ينسب إليها من ضرر أشخاصا آخرين بطريقة مباشرة. أما السرقة والكذب والاعتداء والتشنع، وما إلى ذلك فانها تعتبر صفات سيئة للغاية لأن الضرر الذي تتضمنه يؤثر في الآخرين تأثيرا مباشرا.

وهناك مهارات عقلية وجسمية تساعد على السرقة، إذا توافرت لدى الشخص الرغبة فيها. ومن هذه المهارات، سرعة حركة الأصابع، وخفة الحركة عامة، ودقة الحواس من سمع وبصر، والقوة الميكانيكية، ووفرة الذكاء العام، ودقة الاستنتاج والملاحظة.. وما إلى ذلك. ففي كثير من الحالات كان صاحب الحالة يفتح ألقالا معقدة بقطعة من سلك، ويقطع جيبا لمسافر بموس دون أن يحس المجني عليه، أو يخطف سلعة معينة ويفر هاربا جريا، أو راكبا دراجة، أو غير ذلك من مئات الحيل والمهارات التي يلجأ إليها السارق. وكثيرا ما تجتمع لباقة الحديث، وبشاشة الوجه وحسن التسلية والتظاهر بالأدب الجم والميل للمساعدة مع هذه المهارات فتجعل عملية السرقة تتم بسهولة كبيرة للغاية. وبهنا الوقوف على هذه المهارات العقلية والحركية حتى يمكننا توجيهها في اتجاهات لصالح صاحبها وصالح المجتمع نفسه.

الشعور بالذكية وانماؤه

وهناك اتجاه عقلي يبدأ من سنوات الطفل الأولى وهو عدم التمييز أو

عدم الاهتمام بالتمييز بين ما يملكه وما لا يملكه. وفكرة التمييز بين ما للفرد فيه حق، وما ليس له فيه سهلة. فالطفل يعيش عادة في منزل كل ما فيه ملك للكبار، فما فليس له يعده ملكا له. وأحيانا يفلق الأمر عليه، فلا يعرف إن كانت لعبة معينة ملكا له أو لأخته. والآباء بشرانهم لعبة واحدة لجميع الأطفال أو ألعابا مختلفة يلعب بها كل الأطفال، دون تمييز، يظنون أنهم يعلمونهم الإيثار بدلا من الأثرة. والواقع أنهم يربكون تفكيرهم فالطفل يشعر بالحاجة للملكية شعورا تلقائيا في سن مبكرة جدا، إذ يبدأ يشعر بها أحيانا في الفترة الأخيرة من السنة الأولى. ويجب أن يشجع الشعور بالملكية من وقت ظهوره، ولكن لا يجوز أن يبالغ في تشجيعه إلى أن تتكون الأنانية والجشع للملك، ولا يجوز أن يهدم بحيث لا يجد الطفل فرصة لفهم حقوقه وحقوق غيره.

وإذا اردنا أن يحترم الطفل ملكية غيره وجب أن نبدا نحن باحترام ملكيته. فيجب — بقدر الإمكان — أن يكون للطفل ملابسه الخاصة فلا يجوز أن يستعمل ما له وما لغيره بدون تمييز، ويكون له مكان خاص بالنوم، وكرسي خاص يجلس عليه حين يأكل، وإذا أمكن فليكن له أطباقه، وملاعقه، ومنشفته وغير ذلك. ويسهل إحضار هذه الأشياء بألوان مختلفة بحيث يسهل التفريق بين متعلقاته ومتعلقات غيره. ويحسن أن يكون للطفل أدوات مختلفة، وبعض السكتب والمجلات القديمة ذات الصور الجذابة.

وفي الأسر التي بها أطفال ذوو أعمار متقاربة، تحدث أحيانا مشاحنات بحسن ترك الأطفال للفصل فيها بأنفسهم، وإذا تدخلت الأم فلتفصل بالعدل، فكل طفل يستعمل حقه، ولكن يصح أن يعطى الخيار في أن يترك لعبته لأخيه أحيانا، ولابد من حدوث هذه المنازعات قبل أن يتعلم الطفل الأخذ والعطاء. والتعاون يجئ متأخرا عن تعلمه الملكية واعتزازه بها.

فلا يجوز أن ننسرع في تعليم الطفل التعاون خوفا من تعوده الأنانية، اذا



ترك الطفل ليعطى - من تلقاء نفسه وبدون تدخل خارجي- لعبته الخاصة به لأخيه أو لصديقه مدة من الزمن فإنه يشق من هذا التطوع لذة كبرى لا يجوز أن نحرمه من التمتع بها.

وانما الشعور بالملكية ثم اتباعها في الوقت المناسب بانماء روح التعاون والأخذ والعطاء في تكوين الذات (Ego Formation) وفي التكوين الخلقي الاجتماعي على وجه العموم.

وبلاحظ أن تمييز الفرد بين حقوقه وحقوق غيره، أو اهتمامه بهذا التمييز، يبدأ في المنزل مع الطفل إلى المدرسة، ثم إلى المجتمع الأكبر. ففكرة الأمانة أو عدم الأمانة يمكن تكوينها بحيث تصبح فكرة عامة تبدأ بدورها في السنوات الأولى من حياة الطفل.

ويجب أن يقوم الوالدان بإفهام الطفل ما يجب عمله في المناسبات التي يمكن أن تسمى اعتداء على ملكية الآخرين. افرض مثلا أن شخصا له مكتبة جذبة أو ساعة، أو غير ذلك، واراد الطفل أن يتناول الكتب أو الساعة ليلعب بها فليكن هناك اتجاهان: الأول أن نفهم الطفل بمنتهى الهدوء والحزم أن هذه أشياء ليست ملكا له، ولا يجوز له اللعب بها.

والاتجاه الثاني الذي يؤخذ في الوقت نفسه هو مراعاة أن للطفل متعلقات خاصة به، شبيهة إلى حد ما بالتى ينزع إلى اللعب بها، فيكون له -كما قلنا- بعض الكتب التي لا يحتاجها الوالدان والتي يكون بها بعض الصور لكي يلعب بها، وقد تتميزق منه فيعلم كيف يحافظ عليها.

وفي إحدى الحالات، وجدنا أن الولد عنده حقيقة أشياء كثيرة جدا منها مجموعة طوابع يريد منسقة تنسيقا جميلا.

ولكن يحفظها الوالد في صيوانه للخاص به خوفا من ألا يحافظ عليها

الولد رغم أن سنه اثنتا عشرة سنة. وهذا هو موقف الوالد من سائر ممتلكات
الولد من طوابع وكتب وصور وهدايا وغير ذلك.

وفي حالة أخرى اخذ الوالد كمية من النقود كان الولد قد ادخرها، ولم
يردها اليه. فلا عجب ان كان الولد لا يحترم ملكية والده بنوع خاص، وقد ينتقل
عدم احترام الملكية في مثل هذه الحالات إلى خارج المنزل.

ففكره الامانة كفكرة الصدق تكتسب عن طريق الممارسة الشخصية،
والاقتداء بالمثال، والتعلم عن طريق الفهم والموازنة عن طريق الفهم والموازنة
والارشاد. والمنزل هو البيئة الأولى لتعلم فكرة الامانة. ولكن ليس معنى غرسها
في المنزل ان تضمن فاعليتها بعد ذلك في محيط المدرسة أو المجتمع. فهذه
الفاعلية تتوقف على ظروف المدرسة وظروف المجتمع، من تحقق الامانة في
قائمتها والقائمين بالأمر فيها، ومن مبلغ شعور الفرد بالأمن والعدالة
الاجتماعية، والاطمئنان على تحقق الحاجات الأولية.

الدوافع للسرقة

في كثير من الحالات تكون الدوافع للسرقة دوافع مباشرة ظاهرة. فكثيرا
ما يسرق الطفل لسد رمق. ويلاحظ أن اطفالا كثيرين جدا يعيشون عيشة
الكفاف، أو يعملون باجور زهيدة لا تكفي الحيوان الصغير بله الانسان،
فيسرقون. ومن هؤلاء من يسرق نقودا أو ادوات أو سلعا، ومن هؤلاء من
يخطف الأطعمه المعروضة على العربات، وفي المحال التجارية، وغير ذلك.
وقد وجدنا في بعض الحالات اولادا يسرقون لسد رمق ام مقعدة عاجزة عن أي
عمل، وعدد من الاخوه الصغار، وذلك يكون مثلا بعد وفاة الأب وتشغيل الولد
باجر لا يزيد يوميا على قروش لا يتجاوز عندها اصابع اليد الواحدة، وكنا نجد
عادة ان هذا النوع من الحالات اسهلها علاجاً.



وفي بعض الحالات تحدث السرقة لاشباع ميل، أو عاطفة، أو هواية كميل بعض الامور لركوب الدراجة، أو للخيالة، أو لفتاة معينة، أو لمجرد الصلاف على هواية معينة، كالتصوير وتربية الحمام، وغير ذلك. وهذه ايضا حالات لا يعسر عادة علاجها.

وتحدث السرقة كذلك ليستعين المرء بما يسرق على التخلص من مازق معين. مثال ذلك: الولد الذي كان يذهب للمكتب ليحفظ القرآن، ولم يكن له أي ميل لحفظه، فاغراه العريف بأنه اذا سرق له بعض كتب والده فانه يعفيه من التسميع، ولا يبلغ شيخ المكتب، وبذلك ينجو من عقاب صارم فلم يتأخر الولد عن سرقة الكتب وتقديمها رشوة للعريف.

وقد يسرق الطفل من منزله ليعطي زملاءه بالمدرسة مثلاً، لأنه كشف ان سياسة اعطاء الحاجيات المادية هي الوسيلة الوحيدة التي تجعله مقبولا في جماعة زملائه. ولكن يلاحظ ان هذه الدوافع ظاهرية فقط. فالولد الذي يسرق الكتب ليعطيها رشوة للعريف كان متاخرا في دراسته من أول الامر، وكان والده يقسو عليه بعد تدليل، وكان يوازن بينه وبين اخوته موازنة تحط من قدره.

ففقدانه عطف والديه بعد ان كان يتمتع بعطف كبير كان العامل الهام في تكوين الاستعداد للسرقة. نرى من هذا انه يجب البحث عن عوامل اخرى غير الدوافع الظاهرية للسرقة. وفي العادة نجد بعض العوامل اللاشعورية المتكونة نتيجة علاقة الطفل ببيئته، ونتيجة التغيرات الطارئة على هذه العلاقات.

وهناك سرقة للانتقام، وسرقة لتعويض شعوره بالنقص، وسرقة بسبب فقد العطف. ففي كثير من الحالات نجد الطفل يسرق من شخص معين كوالده أو والدته. ويمكن تفسير السرقة في بعض هذه الحالات بان الطفل كان حائزا عطف الوالد مثلاً ثم فقد هذا العطف، فالسرقة منه تشعره بأنه يستحوذ على شئ بدل هذا العطف. نجد طفلاً - مثل هذا - يسرق من والده نقوده وكتبه ويضع يده في

جيوه ليطلع على ما في جيبه ويعرف ما فيه من اسرار ويقرا خطاباتة.. إلى غير ذلك. كذلك المحب الذي يتشكك في انه ربما لا يحصل على كل عطف معشوقته، كثيرا ما يسرق منها شيئا يكون بمثابة رمز الحب المفقود^(١).

وفي هذا النوع من الحالات نجد ان الشخص لا يسرق الا من شخص معين، واحيانا يسرق نوعا معيناً من الممتلكات، ويمكن في العادة تفسير هذا الشخص اما على اساس -الرمزية (symbolism) أو على اساس الوظيفة، ففي غالب الحالات التي درسناها، ووجدنا ان الطفل يسرق من والده، ووجدنا ايضا لدى الولد كراهية مستترة للوالد. فتفسير السرقة هنا على انها انتقام، أو على انها تعويض للعطف المفقود، أو على الدافعين مجتمعين.

وإذا كان الدافع للسرقة متجها نحو شخص معين فقد ينتقل إلى اشخاص اخرين، فالسرقة من الاب قد تنتقل إلى سرقة من اصحاب السلطة على وجه العموم. والسرقة من الأخ قد تنتقل إلى سرقة من الزملاء، وذلك بتحويل الدوافع نفسها من الموضوع الأصلي إلى موضوعات مشابهة له.

ويمكن ان يكون التحويل أوسع انتشارا واقل تخصصا مما ذكرنا، فبعد ان كان الطفل يسرق من والده فقط صار يسرق من أي انسان.

لنأخذ حالة تبين السرقة من شخص معين، وهي حالة ولد كان يساعد والده في عمله للتجاري. ذهب الولد إلى احد عملاء والده، وكان جالسا في احد المقاهي وقال له ان والده يطلب منه ثمن بضاعة اخذها في ذلك الوقت إلى المنزل. وكان الثمن خمسة وعشرين قرشا الا قليلا. اخذ للولد النقود واختفى، وانكشفت حقيقة المسألة بعد ان رجع الرجل إلى منزله، ثم ابلى الوالد الذي طلب منه ابلاغ الشرطة. واتضح ان الولد هو اكبر ابناء الاسرة، وان الرجل في منتهى القسوة والشدّة. وهو متعسف في تمسكه بالدين حتى خرج بذلك على

(١) هذا ما يسمى بالفتيشية Feticchisme



المعقول خروجاً كبيراً. وقد احاط نفسه بكل الرموز التقليدية للتدين، واتخذ (السينة)، مذهباً له، وكان يشغل وظيفة يكتسب منها، فاستقل منها لأنه كان يشعر أنها لا تطابق الدين واتخذ للتجارة في أبسط صورها وسيلة للرزق. ومن شدة قسوته ان الولد اذا أتى ذنباً صغيراً فانه يربطه بالحبال ربطاً وثيقاً، ويتركه ملقى على الارض، ثم ينهال عليه ضرباً، ويترك في جسمه أثاراً واضحة — كما يتبين في الصورة المقابلة — وكان في بعض الأحيان يتركه موثقاً بالأغلال ثلاثة ايام متتاليات، ويقذف له برغيف من العيش وكوب ماء في مواعيد الأكل.

بعد ان قابلنا الولد، ودرسنا الحالة جيداً من كل نواحيها، اتضح ان السرقة لم تكن الأولى، فقد كان كثيراً ما يسرق من والده. وظهر عند مقابلتنا لكل منهما على انفراد شدة التجافي، فيما ما بينهما، وافهما الولد خطأه، وانتقنا مع الولد على حسن السلوك، ونظمنا علاقة الولد بوالده من حيث الاتفاق، ومن حيث الثقة التي يجب ان يضعها الوالد في ولده إلى غير ذلك وقد نجحت الحالة نجاحاً كبيراً بموالاتة توجيه الولد والوالد واخذهما بالنصيحة والتوجيه والاشراف والمتابعة.

وقد يكون العامل الاصلي لتكوين الدافع للسرقة هو ما يطرأ على الشعور بالامن والشعور بالاستقرار من نقص ناشئ من تغيير فجائي في معاملة الوالدين، أو من تفكك روابط الأسرة، أو ما يشابه ذلك.

لنأخذ مثلاً لهذا حالة تلميذ في سن الرابعة عشرة يهرب من المدرسة يومياً تقريباً، ويسرق كل ما يمكن ان تصل اليه يده مما خف حمله وغلا ثمنه. هذا على الرغم من وفرة ما يصل إلى يديه من نقود، وعلى الرغم من حسن استعداده للعمل الدراسي. بمتابعة تاريخ هذه الحالة وجدنا ان والديه انفصلا بالطلاق وهو صغير السن جداً، ثم تزوج كل من والديه بعد ذلك وانجب كل

منهما له اخوة غير اشقاء. وقامت الجدة منذ طلاق الوالدين باحتضان الولد، ولم تدخر وسعا في اجابة جميع مطالبه، وبالغت في العطف عليه عطا كبيرا في شئ غير قليل من الضعف والتساهل والقلق.

ولما وصل الولد إلى دور المراهقة لم يكن يعرف بالطبع كيف يقاوم كل ما يطرأ على ذهنه من نزوات. واتصل به أولاد اخرون وقتحوا له أفاقا جديدة للاستمتاع بالهروب والفسحة والتدخين وللذهاب للخيلة وغير ذلك.

واغروه بالسرقه، بل علموه اساليبها، حتى برع فيها وصار الولد يشعر الآن بعدم القدرة على الاستقرار عند جدته أو والدته أو والده. ولا يشعر ان واحدا من هؤلاء يمكنه ان يطمئن معه إلى الجو الذي يعيش فيه.

اما المدرسة فلم تكن من التشويق بحيث تصرفه عما يطرأ على ذهنه من نزعات، ولم تكن بحيث تشبع فيها نواحي القوة التي تنوق اليها نفس المراهق، نتيجة كل هذا هروب من المنزل والمدرسة وعدم استقرار وبحث عن اللذة والسرور وسرقة لتحقيق كل هذا.

ويحدث احيانا ان تبدأ السرقة بصورة مصغرة كسرقة الحلوى، أو سرقة للسكر أو سرقة النقود. وقد يكون الدافع بسيطا وهو الحاجة إلى الحلوى أو الحاجة إلى تخريب عمليات البيع والشراء أو غير ذلك.

وقد يكون لموقف الوالدين نحو الطفل في السرقة الأولى اثر في تثبيتها. فيتقن الوالدان في تخبئة ما يخافان عليه مثلا، ويتقن الطفل في اساليب الوصول إلى هذه الاشياء ويلاحظ ان المبالغة في تخبئة الاشياء تغري الطفل بمحاولة الوصول اليها، واذا نجح الطفل في ذلك، فانه يشق لذة كبرى من انتصاره على الكبار المحيطين به ثم تتكرر سرقاته، ويتكرر تكوينه لميول وعادات يشبعها عن طريق السرقة كالتدخين، أو الظهور الاجتماعي، أو الاشباع الجنسي، أو غير ذلك. وبهذا تثبت السرقة وتصبح عادة راسخة، كما نراها بعض الاشخاص،

وسبب رسوخها انها طريق سهل تتحقق به شهوات ورغبات لا بقوى الفرد على مقاومتها، ولا سيما بعد تعود اشباعها.

دراسة حالة السرقة

عند دراسة أية حالة من حالات السرقة يجب أن نعرف : أهذه السرقة عارضه أم متكررة ؟ لأصحاب الحالة يسرق أشياء معينة أم كل الأشياء ؟ فبعض الأولاد يسرق مصابيح الترام ؟، بعضهم يسرق مصابيح الإشارات الأرضية في الشوارع، وبعضهم الآخر يسرق الملابس المنشورة للتجفيف في حدائق المنازل أو فوق سطوحها، وبعضهم يسرق مواقد (الغاز) فقط. وبلدنا نوع السرقة — إن كان موحدًا يمثل هذه الصورة — على اتجاه عقلي منظم، إما من تلقاء نفسه، وإما تحت تأثير زعيم لعصابة مثلاً، أو يدل على اتصاف السارق بمهارة معينة في اتجاه خاص. وعلينا كذلك أن نعرف أهذه السرقة فردية أم جماعية. فنحن نجد في كثير من الحالات أن الولد يسرق ضمن عصابة من الأولاد الآخرين، فثلاثة تلاميذ بإحدى المدارس نظموا أنفسهم تنظيمًا محكمًا لسرقة بعض الأدوات التي يمكن خلعها من عربات السكة الحديدية. وكانوا يبيعون ما يسرقون لتاجر معين كان يدهم بالنقود لهذا الغرض. وعلينا أن نعرف كذلك في السرقة الجماعية، ما إذا كان السارق تابعًا أم متبوعًا. وفي كثير من الحالات كنا نجد أن شخصًا من الأقوياء العاطلين (الباطنية) يدفع بعض الأولاد للسرقة تحت إغراء. وبعد مرة أو مرتين يستمر يدفع الأولاد تحت التهديد.

وكثيرًا ما يحدث هذا مع خادمت المنازل للصغيرات السن، السانجات العقل. فأحد الباعة المتجولين هدد خادمة بالقتل إذا لم تسرق له من سيدتها بعض النقود، ووصل ما سرقته في إحدى المرات إلى عشرة جنيهات. وأحد باعة الثلج كان يهدد خادمة في سن الحادية عشرة بالاعتداء الجنسي عليها إذا لم تسرق ما يريده. وعلينا أن ننبين كذلك المادة المسروقة، وطريقة السرقة وما يدل عليه كل

هذا من ذكاء أو غباء. فبعض الناس يسرقون أشياء ظاهرة، ذات ألوان براقية، يتحتم ضبطهم بها. وبعضهم يسرقون ما خف حمله وغلا ثمنه في ظروف لا يمكن ضبطهم فيها إطلاقاً.

وعند دراسة حالة السرقة لابد من محاولة الوصول للوظيفة التي تؤديها السرقة، أي انه لابد من دراسة الدوافع الظاهرة والعوامل المستترة التي تؤدي إلى السرقة. بالإضافة إلى كل من دراسة أنواع المهارة الجسمية كسرعة اليدين، وخفة الحركة، وسرعتها، والقدرات العقلية كالذكاء العام والقدرة الميكانيكية ودقة الحواس.

وكذلك المهارة الاجتماعية كالقدرة على الزعامة وخفة الروح ولباقة الحديث وترتيب المواقف وغير ذلك. وتساعدنا هذه المهارة على حسن دراسة الشخص وحسن توجيهه توجيهاً صالحاً.

بعض القواعد العامة

إذا امتكت يد الطفل الصغير إلى شيء لا يحق له ان يأخذه فعلمه بغاية الهدوء انه يجب عليه ان يستأذن قبل اخذ شيء ليس له، ثم عليه بهدوء أيضاً ما له فيه حق وما ليس فيه حق، ولا تتفعل، أو تسخط، أو تعاقبه، أو تؤنبه، أو تصفه بأنه لص - ولو عن طريق المزاج - فانك بذلك قد تعلمه لأول مرة في حياته معنى كلمة لص. ومن الجائز انه يجد بعض اللذة في هذا العمل فيستمر فيه لأن فيه بعض الجراءة، أو لان فيه انتصاراً على الكبار، أو لأن فيه وسيلة سهلة لاشباع لذاته الأخرى التي لا يجد سبيلاً لخر لاشباعها. لهذا يجب ان تتامل لتعرف الرغبة التي دفعتك إلى السرقة لتشبعها بالطريق السري - قدر الامكان - ولتعلمه شيئاً عن ضبط رغباته وتحكمه فيها.

وعليك ان تبذل جهدك لخلق شعور بالملكية عند الطفل ثم عوده كيف يحافظ على ما يمتلكه، وكيف ينظمه ويهتم به. فيكون للطفل (دولاب) صغير



مثلا يجمع فيه ممتلكاته ومقتنياته من صور إلى طوابع يريد إلى اقلام إلى غير ذلك. ويمكن ان يعلم كيف ينظم هذه المقتنيات ويحسن عرضها، ويفخر بها. كذلك يصبح ان يعطى الطفل عندما يصل إلى العمر المناسب مصروفا منظما، ويعلم بين آن وآخر كيف ينفق وكيف يدخر.

وأما الخدم ومن يشابههم فيجب ألا نوضح في طريقهم المغريات التي هم محرومون منها كالحلوى والنقود وما يشبههما.

ويراعى فوق ما تقدم ان الطفل لا يسرق قط ممن يشعر بصداقته له وعطفه عليه. فلنكن معاملتنا للأطفال — كما بينا مرارا وتكرارا — متجهة نحو العطف في غير ضعف، والحزم في غير عنف.

الميل إلى الاعتماد، والتشاجر، ونوبات الغضب

مقدمة:

يدخل الكثير من أنواع الحالات التي درسناها - تفصيلا أو إيجازا - تحت نوع يمكن أن نسميه النوع السلبي أو الانسحاب، أو كما يسميه (بيرت)^(١) النوع الضعيف، ومن هذه التهته والانزواء والحركات العصبية.. وما إلى ذلك. ويدخل الكثير مما ذكرناه أيضا تحت نوع يمكن أن نسميه النوع الاعتدائي أو الإيجابي، أو كما يسميه (بيرت) النوع القوي، ومن قرض الأظافر وبعض أنواع السرقة وبعض انواع الكذب الادعائي وجنون العظمة.. وما إلى ذلك. وتتميز هذه الانواع الايجابية عادة بطابع معين تستحق أن تدرس من اجله خاصة قائمة بذاتها.

(١) قسم بيرت في كتابه (The Young Delinquent) جميع الحالات المصية إلى قسمين : أحدهما يمكن أن يسمى عصاب الضعف (Asthenic neurosis) والثاني يمكن أن يسمى عصاب القوة (Sthenic Neurosis).

ويلاحظ هذا الطابع المعين في الميل للاعتداء والتشاجر والانتقام والمشاكسة والمعادنة، والميل للتحدي والتلذذ من نقد الآخرين وكشف أخطائهم وإظهارهم بمظهر الضعف أو العجز، والاتجاه نحو التعذيب والتنقيص وتعكير الجو والتشهير واحداث الفتن والنوبات الغضبية بصورها المختلفة المعروفة. فكل هذه الحالات ومشابهاها يصاحبها في العادة الحالة الانفعالية المعروفة بالغضب بدرجاتها المختلفة. والغضب في صورته المتعدده ودرجاته المتفاوتة تظهر آثاره ومظاهره للأباء والمعلمين بكثرة في حياتهم اليومية. وليست المشكلة قاصرة على الاطفال وحدهم، وإنما تظهر عادة في جميع الاعمار ولا سيما التي تحدث فيها تغيرات اساسية في حياة الفرد. فهي تظهر في السنة الأولى عند الطعام، وتظهر عند مجيء مولود جديد في الاسرة، وعند الانتقال من حياة الحضانة المنزلية إلى المدرسة، وعند المراهقة والبلوغ. وسواء ظهر الاستعداد البارز للغضب في الادوار الأولى أم المتأخرة، فينبوره توجد عادة من سني الطفولة الأولى.

والغضب حالة نفسية يشعر بها كل انسان، ولكن الفرق بين فرد وآخر هو ان المواقف المثيرة للغضب تختلف من فرد إلى اخر. وكذلك تختلف اساليب التعبير عن الغضب من فرد إلى اخر اختلافات بيئية - سواء في نوعها أم في درجتها - وكذلك تختلف في ترددها وشدها من شخص إلى اخر اختلافات واسعة المدى. فالمواقف التي تثير الغضب عند تلميذ ما قد تكون تقدم زميل عليه في الدراسة، وقد تكون عند آخر الازدراء بملبسه، وعند ثالث اظهار الاحتقار لقوته الجسمية.. إلى غير ذلك. وأما اساليب التعبير عن الغضب فقد تكون بتهشيم السبب نفسه بالاعتداء عليه بالاساليب البدائية من ضرب وعض، وقد تكون بالاعتداء على ممتلكاته أو ما يتصل به وذلك بالتدمير والاحراق والسلب، وقد تكون كذلك باظهار الغضب دون اعتداء ملموس على الشخص المقصود



بالاعتداء، وإنما باللجوء إلى التهديدات والشتائم والنقد وما إلى ذلك. هذه كلها اساليب مباشرة للاعتداء وهناك اساليب غير مباشرة معظمها تعود إلى اساليب الضعف التي سبق ان اشرنا اليها، ومن هذه السرقة والكذب والهروب والاستغراق في النوم.. وما إلى ذلك.

وحيث ان استعداد الانسان للغضب في مواقف معينة استعداد فطري الاصل - أي انه موجود بالطبيعة - فموقفنا نحو الغضب يجب ان يكون موقف تعهد وتوجيه وانماء في الاتجاه الصالح، ولا يصح ان يكون موقف استئصال بحال من الاحوال. فالنزوع للغضب والمقاتلة ليس امرا يفرس أو ينزع ولما هو ناشئ عن مصدر ثابت للطاقة لا يمكن القضاء عليه. ولا شك في ان لانفعال الغضب وعزيرة المقاتلة قيمة حيوية كبرى لحياة الفرد.

وغاية نشاط هذه الغريزة على ما في بيئة الكائن الحي من عوامل تقف دون تحقيق الغايات الحيوية الأخرى. ولها - كما لبعض الغرائز الأخرى - وسائلها وأساليبها. ومن هذه القرون والقم والاسنان والعضلات والاطراف والاشواك والحمى.. وما إلى ذلك ولها عند الانسان بعض هذه الاسلحة، ولكن يضاف اليها ما ينتج عن طريق الحيلة والاختراع. وقد وصل حتى الآن إلى حرب الاعصاب والقنبلة الذرية ولساليب المناورات السياسية الدولية، وصار عنده مدى واسع جدا من اساليب المقاتلة.

ونظرا لفطرية هذا الاستعداد فإنه يخضع غالب للوراثة المعروفة، ولكن نظرا لأنه صفة نفسية، فإنه يخضع أيضا لأثر البيئة خضوعا كبيرا.

لذا نجد ان اثر الوراثة يخفي في غالب الحالات - وان كان يتضح في بعضها- وقد عرفت بعض الامم والقبائل بميلها للمقاتلة اكثر من غيرها، ونعلم ان البنين على وجه العموم اشد ميلا للمقاتلة من البنات، مما جعل البعض يميل إلى اعتبار المقاتلة صفة ذكرية. ويتضح الميل للمقاتلة كذلك في اصحاب مهنة

دون اخرى. وهذه الصورة المختلفة من اساليب توزيع المقاتلة بين مجاميع الناس تعطي ادلة في اتجاه اثر الوراثة، كما تعطي ادلة في اتجاه اثر البيئة. وقد دلت بعض الحالات الفردية الشاذة على ان اثر الوراثة بارز فيها بصورة واضحة لا تحتل الشك^(١) ويؤثر الغضب بعوامل بيئة أو مادية مختلفة، كالتهاليد والمثل والمعاملة ودرجة الحرارة الجوية ونوع التغذية وبعض المشروبات.. وما إلى ذلك.

ويرجع الكثير من قيمة هذه الغريزة إلى حدة الانفعال المصاحب، وإلى كمية النشاط العظيمة التي لا يمكن اطلاقها عن طريقها. وتشارك في هذا النشاط غالب اجزاء الجسم واهزمته وعضلاته.. وما إلى ذلك. ولذا كانت غريزة المقاتلة عظيمة القيمة في خدمة اغراض الغرائز الاخرى كالجنسية والملكية والطعام والسيطرة.. وما إلى ذلك. وهي تنشط لخدمة الحاجات والميول الفطرية والمكتسبة بمختلف انواعها، وبذلك تصير المقاتلة ضرورية احيانا لصون الشرف والسمعة والكرامة والمال.. وما إلى ذلك.

وحيث انها قوة ضرورية للتغلب على الصعاب فهي تفيد في نزعات التجريب والمخاطرة والتفوق وكسب الثقة بالذات. وهي قوة تستغل لتقدم المجتمعات ومحاربة ما فيها من امراض جسمانية وقلبية.

وهي من العوامل الهامة التي تعطي العلماء والمكتشفين قوة تغلبهم على ما يعترض أعمالهم من مصاعب ومقاومات. وهي من المصادر التي ساعدت على اخضاع الطبيعة بقواها وثوراتها للانسان.

نرى مما تقدم ان النزعات الاعتدائية بمختلف انواعها صادرة عن استعداد راسخ في طبيعة الانسان ويمكن ان يتجه نشاطها اتجاه هدميا ضارا.

^(١) مثل ذلك حالة ابرون الواردة في كتاب C.Burt.CIT



ويمكن ان يتجه اتجاهها مفيدا لكل من الفرد والمجتمع، وقد قال (مكدوجل)^(١):
إن غريزة المقاتلة لعبت دورا اكبر مما لعبته أي غريزة أخرى في تطور التنظيم
الاجتماعي.

دراسة حالات

ولكن نفهم اصل النزعات الاعتدائية الشاذة وصورها واساليب توجيهها
ندرس بعض الحالات.

ومن الحالات التي يمكن اعتبارها كلاسيكية حالة (جيرى Jerry)^(٢) وهو
غلام في السابعة والنصف قتل زميلا له بإغراقه عمدا في النهر. كان (جيرى)
يلعب مع زميله هذا قرب النهر، وأراد ان يأخذ منه لعبة كانت في يده، ففرض
هذا الزميل، وأصر (جيرى) وعيره بانه لا اب له، فهاج (جيرى) وما كان منه
الا ان دفعه في النهر فتشبث المجني عليه بحافة النهر، فركله برجله، وما زال به
حتى اغرقه، واستراح منه. لا يكفي هذا الحادث وحده لتفسير الجريمة. فنحن اذا
درسنا تاريخ الولد نجد انه ابن سيدة فقيرة ولدته سفاحا، وعاش الولد مع امه
عيشة الكفاف.

وكانت امه تعمل بالخدمة المتقطعة في المنازل، ولذا كانت تتركه بغير
نظام بلا رقيب وبلا غذاء في غالب الايام. وكانت المدرسة التي كان يذهب اليها
الولد بعيدة عن مسكنه. فبعد المدرسة وضعف رقابة امه عليه شجعاه على
الهروب من المدرسة في كثير من الاحوال. بذلك صار متأخرا في دراسته
عرضة للتشرد. وكان الأولاد يعرفون انه طفل غير شرعي مما كان ينفهم إلى
تعبيره بذلك، ومما جعل الولد يحس بالانقص الشديد والنعمة البالغة على من
حوله. تراكمت آثار هذه الظروف وظلت مكبوتة في نفسه إلى ان جاء حادث

Wm. Mc. Dougall: Social Psychology. (١)

C. But : The Young Delinquent . (٢)



اللعبة مثيرة له فانفجر الحقد المتراكم من الماضي بالصورة التي ذكرناها.
لم يذكر (بيتر) ما تم لهذا الولد من علاج. لهذا نشرح احدى الحالات التي درسناها وعالجناها بنجاح، وهي حالة لولد في الثانية عشرة من عمره، يعيش في حي المنبح - احد احياء القاهرة - وكان مصدر الرعب لكل اهل الحي، فهو يخطف ويسرق ويضرب ولا يبالي. وبلغ من قوته انه كان يسرق اللحم من الجزارين - وهم قوم عتاة جبابرة - وبلغ من عنفه ان رجال الشرطة كانوا يعملون له الف حساب، فاذا قبض عليه خطأ وارسل إلى القسم فسرعان ما يطلق سراحه، ولا سيما انه يرشدهم احيانا إلى تجار الحشيش ومهربيه. ولكن حدث ذات مرة ان قبض عليه وهو يسرق صندوق زجاجات (غازوزة) من عربة في اثناء سيرها في شارع خيرت - احد شوارع القاهرة - ثم ارسل إلى القسم ومنه إلى النيابة ثم إلى مكتب لدراسة الأحداث. واتضح انه حوكم قبل ذلك مرتين: احدهما لسرقة والأخرى لسرقة موقد (غاز).

وعندما بدأنا بحث حالة الولد عانى الباحث الاجتماعي كثيرا جدا، فكان في الغالب لا يعثر عليه، وعندما يجده يعتدي عليه، أو يهرب منه، وعندما تمكن من استكراهه ليسير معه اشتبك في الطريق العام في عدة مشاجرات، وتكرر هذا مرات عدة حتى ينس من بحث حالته. واخيرا نجح في ان يصل به إلى المكتب، وما كاد يغفل عنه قليلا حتى فر الولد هاربا، ثم عاود المحاولة، وبعد مرات عدة تمكن الولد من ان يثق ان ضررا ما لن يلحقه، وبان للمتخصص النفسي الاجتماعي سيعملان لصالحه. وفي احدى مقابلات الولد قال له الاختصاصي النفسي: (اننا لا نريد ان نضطرك لمقابلتنا فان اردت فلصالحك، وان لم ترد ذلك فلك كامل الاختيار في عدم الاتصال بنا)

مثل هذا الاتجاه السلبي (في الظاهر) جعل الولد لا ينظر إلى الاختصاصي النفسي نظرات عدائية، بل اطمأن اليه واستمع لكلامه



وجلس بهدوء ليؤدي ما اجراه عليه من اختبارات.

وهكذا واصلنا العمل معه بهدوء وتدرج إلى ان ألحقناه بمؤسسة مع امثاله على اساس استعدادهم. وبالفعل صار من احسن أولاد المؤسسة، والتحق بالعمل، ونبغ في النواحي الرياضية نبوغا كبيرا وصار غيورا جدا على سمعة (الاسرة) التي ينتمي اليها في المؤسسة ومهتما بسمعة المؤسسة كلها وصار من قادة الأولاد في المؤسسة.

وبدراسة حياة الولد اتضح ان ابيه رجل شرير مدمن لتعاطي المخدرات، وكان ينتهز فرصة الظلام في اثناء الغارات الجوية فيصطحب ابنه للسرقة من الجيران، وعلى الرغم من اعتدال مكاسبه فانه لم يكن يعطي ابنه نقودا، بل كان يشجعه على الخطف والسرقة ليحصل على قوته، وقد تركت الأم زوجها وابنها اشتمززا من سلوكهما، وعاشت مع اهلهما منذ مدة بعيدة.

وينام الرجل وابنه اما على طوار واما في مدخل منزل يملكه بالاشتراك مع اخيه . فالولد صار هو وابوه منبوذين من الأم. ووالده يقربه اليه بالقدر الذي يتمكن معه من استغلاله، ويشعر الولد بنقمة عامة على المجتمع، وهو متوثب دائما للانتقام والاعتداء.

ومن العجيب اننا بعد ان تولينا توجيه الولد إلى الحياة الجديدة وصار ميالا إلى حياة العمل والكسب الشريف، فقد الحقناه بعمل (ميكانيكي) وهو العمل الذي يلائم استعداداته الجسمي والعقلي والخلقي، وصار كثير النقد لوالده الذي يسلك في نظره سلوكا سيئا للغاية، والذي يدخل السجن بسبب سرقاته.

نرى من هذه الحالة ان مصادر النزعات الاعتدائية يمكن تحويلها من المسالك السيئة المضادة للمجتمع إلى المسالك المقبولة في المجتمع. وذلك عن طريق وضع الولد في بيئة اجتماعية تعطيه التقدير والامن، وتزوده بنشاط اجتماعي صالح، وعن طريق اعطاء الفرصة لنزعاته القوية لظهور دون انانية،

ومع مراعاة انماء الشعور بالمسؤولية الاجتماعية. وليس هنا مجال للتفصيل في هذه الناحية.

حالة في نوبات الغضب في سن الخامسة

هذا ولد في سن الخامسة شديد المعاندة والرغبة في الائتلاف، عنيف جدا في تصرفاته. اذا لم يجب إلى ما يطلب فانه يعبر عن غضبه بنوبات بصرخ فيها بشدة، ويرتمي على الارض، ويرفس إلى ان يجاب طلبه، وهو يعيش مع امه في بيت جده، لأن الوالدة انفصلت عن زوجها بالطلاق عندما كانت حاملا ذلك الابن. الولد يعيش في منزل متعدد السلطات، فهناك وسلطة الجد، وسلطة الجدة، وسلطة الاخوال، وسلطة الأم.

ولذلك لنعدمت وحدة السلطة الضابطة أو الهيئة الموجهة، وعرف الولد كيف يستغل النواحي الكامنة في جو الأسرة لمصلحته. يضاف إلى ذلك ان الولد نفسه مرتبك، ولا يشعر بأنه ينتمي إلى والد كبقية الأولاد.

ويشعر في الوقت نفسه شعورا ضعيفا بان هناك غموضا كبيرا حوله وحول مستقبله من حيث اطمئنانه على استمرار بقائه مع امه، أو عدم بقائه معها. فالولد يعيش في جو يشعر بأنه لا يفهمه اطلاقا، ويمكنه مع ذلك ان يصل فيه إلى كل رغباته. وقد ساعد ارتفاع ذكاء الولد على سهولة كشفه لخصائص هذا الجو في سن مبكرة، إذ أن مستوى عقل الولد وهو في الخامسة يساوي عقل طفل في سن السادسة والنصف.

وللولد مشكلات اخرى عديدة تعتبر كلها نتائج لمركزه ممن حوله، حيث انه يعيش في جو غامض غير مفهوم، ولا يمكنه ان يطمئن اليه تمام الاطمئنان ومع ذلك فهو جو ضعيف في مجموعه بالنسبة اليه، يخضع من فيه لاجابة طلباته. فتتهيج الطفل ونوبات غضبه في الجو تساعد على اجابة طلباته، ويتم



تهيجه فوق ذلك عن نعمته على هذا الجو وعدم اطمئنانه اليه.

حالة غضب ومعاناة لتليذني السادسة عشرة:

وتلميذ في سن السادسة عشرة تصيبه نوبات عصبية شبيهة بالصرع، ذكر عنه والده فوق ذلك أنه عنيد، لا يهتم برأي والديه، كثير الزجر والمشاكسة لاختوته، منصرف عن مذاكرة دروسه مما أدى إلى تأخره الدراسي تأخراً كبيراً. وقد اتضح بدراسة الحالة ان هذه الاتجاهات وغيرها ظهرت كلها في مرحلة التعليم الثانوي، أي في نور المراهقة. ويلاحظ ان الولد يريد ان يثبت وجوده بالاسباب التي يؤدي غالبها في الوقت نفسه إلى إثارة الغيظ في والده، وبذلك تصوير وسائل اعتدائية غير مباشرة بجانب وظيفتها في اثبات الذات وهذه الاساليب هي:

- ١- عصيانه لوالديه.
- ٢- التدخين.
- ٣- المشاجرة وتقديم الشكوى لرجال الشرطة ممن يخطئون نحوه مهما كان الخطأ نافها.
- ٤- بطاقته التي وضعها بجانب بطاقة والده على صندوق البريد.
- ٥- الخروج مع اصدقائه إلى ساعة متأخرة جداً من الليل.
- ٦- استقبال ضيوفه واصدقائه ايا كانوا في المنزل في أي وقت يشاء بغض النظر عن رأي بقية من في المنزل في ذلك.
- ٧- رغبته في ان يكون له في حركة المنزل صوت مسموع لا يقل عن صوت والده.
- ٨- كتابته مذكرات خاصة عن نفسه.
- ٩- خروجه من المدرسة في أي وقت شاء بغير استئذان.

ويلاحظ ان والده رجل عنده بعض العصبية، وهو كثير النقد لابنه ولا سيما انه ابنه الاكبر وكان يعلق عليه كل آماله.

يفرض الوالد بعض القيود على ابنه ولو ان بعضها قيود معقولة، ولكنه يتدخل في كل صغيرة وكبيرة في حياته، ويهمه ان يكون رأيه هو المتغلب في النهاية، والوالد فوق كل ذلك يتهيج على ابنه لدرجة تخرجه احيانا على حنود صوليه. وهو يخشى الا يكون هناك أمل في اصلاح حال ابنه، اذ انه يرى انها لا بد ان تكون وراثية، ويستند في ذلك إلى بعض الأدلة غير القوية.

هذه الحالة تعتبر حالة ثوران أو عدم استقرار، وهي وان كانت لا تتميز بنزعاتها الاعتدائية المباشرة، غير ان ما بها من النواحي الاعتدائية يظهر مع غيرها من النواحي الاخرى.

وبذلك نرى ان النزعة الاعتدائية في الحالة والحالات السابقة لا تخرج عن كونها عرضا واحدا من مجموعة اعراض للشخصية كلها. مثلها في ذلك مثل أي سلوك مشكل.

أسباب الغضب في احوالات الشادة

ومما يكثر ظهوره عند الاطفال ما يسمى بنوبات الغضب، وهي تظهر بأسلوبين: اسلوب ايجابي مصحوب بالثورة أو الصراخ، أو الضرب، أو الرفس، أو الرجم بالحجارة، أو نفع الابواب، أو اتلاف الاشياء، أو ما يشبه ذلك. واسلوب سلبي مصحوب بالانسحاب أو الانزواء أو التهمج، أو الاضراب عن الكلام، أو ما يشبه ذلك.

اما الاسلوب الأول فهو اسلوب الظاهريين أو المنبسطين (Extriverts) ولما الثاني فهو اسلوب الباطنيين أو المنطوين (Introverts) وهذا النوع الثاني الهادئ في ظاهره -وان كان مريحا للآخرين- اضر بالشخص من النوع الأول، اذ انه يصحبه كبت لانفعال للغضب، قد يتبعه بعد مدة قصيرة أو طويلة-



اغراق في احلام اليقظة التي قد يتصور فيها نفسه منتصرا أو مظلوما مقصودا بالظلم من غيره، أو غير ذلك، أو قد يتبعه انفجار أو تحويل (Transfer) ولما للنوع الأول فمن مميزاته على الأقل انه يعطينا فرصة لفهم الشخص، ودراسة سلوكه الظاهر غير المكبوت. ومن مميزاته ايضا شعور الشخص بشيء من الراحة، بعد تعبيره عن انفعاله بصورة ظاهرة.

وتظهر نوبات الغضب احيانا اذا كانت السلطة الضابطة متغيرة، فاذا طلب طفل من امه مثلا امرا وامتنعت، ثم صرخ فأجابته طلبه، فانه يغلب ان امتناعها بعد ذلك في فرصة اخرى يؤدي إلى صراخه.

وكثيرا ما يحدث ان تنتبه الام إلى ان الولد قد يغلب عليها اذا لم تصمد فتصر على الامتناع، ويصر هو على رفع صوته في الصراخ. وقد يستمر الحال إلى ان تجيب الام طلبه. وهذه طريقة من الطرق التي تتشا بها نوبات الغضب. فالطفل يدرك حدود السلطة في بيئته. لذا نجده قد يصرخ مع امه، ولا يصرخ مع ابيه. أو يصرخ مع امه في حضور جدته، أو خالته، لأنه يضمن اذ ذاك شفيعا له به خبرة سابقة. بذلك تصير نوبات الغضب بدرجاتها المختلفة سلاحا يستعمله الطفل بالمقدار الكافي في الظرف المناسب.

وتصل احيانا نوبات الغضب إلى درجة شديدة كاحتقان الوجه، واحتباس الكلام، أو الاغماء، أو القيء، أو كثرة البكاء، وغير ذلك. والاعضاء في مثل هذه الحالة يكون اسلوبا عقليا لاشعوريا يصدر من الطفل للحصول على حاجة مادية أو معنوية فما يترتب عادة على الاعضاء ان الاسرة كلها تجتمع ذعرا حول الطفل، وكل فرد منها يقوم بنصيبه في مساعدته وينظر اليه نظرة ملوها بالخوف والحنان والتأثر. وهكذا يصير الاعضاء وسيلة تؤدي غالبا إلى اهتمام الاسرة به ووضعه في مركز عناية كل فرد منها.

هذا النوع من الاغماء نعرفه في الحالات التي تشبع حاجاتها كلها، وتتلل في أول الأمر ثم تعامل بالشدة في المراحل المتأخرة. ولذا فإننا نجدها عادة في الطفل الأول، أو الحالات التي يعيش اصحابها في جو تتكذب فيه المعاملة بين اساليب الشدة واساليب التراخي الصادرة من شخص واحد أو في الجو الذي تتعود فيه اساليب مختلفة السلطات متعددة كسلطة الأم والاب، أو سلطة هذين مضافا اليها سلطة الاجداد والخالات ومن يشابههم.

ومن اسباب نوبات الغضب والعنف في السلوك الشعور بالخيبة الاجتماعية، كتأخر التلميذ في دراسته أو اخفاقه في التقرب من والديه أو معلميه، لذا نجد ان الشعور بالغنى والحق والتعبير عنهما كثيرا ما يكون حادا واضحا في حالات الغيرة.

كذلك يؤدي إلى النتائج نفسها شعور الطفل بظلم يقع عليه من المحيطين بع من مدرسين أو ابناء أو اخوة.

واشد حالات الشعور بالظلم ما كان بجانبها شعور الشخص بمحاباة ذوي السلطة لغيره، اذ ان جزءا كبيرا من الشعور بالظلم هو في الواقع شعور نسبي. ويضاف إلى ما تقدم الشعور بفقد الاطمئنان إلى البيئة المحيطة.

ومن اهم اسباب الغضب ايضا تقييد الحرية سواء في كذلك حرية الحركة الجسمية أم للعب الحر عند الصغير. ويخطئ بعض الآباء في انهم يتدخلون كثيرا في العاب الاطفال ليحلوا لهم مثلا لغزا استعصى عليهم حله أو غير ذلك مما يحرمهم لذة المحاولة الذاتية والنجاح الذاتي. ومن اسباب الغضب كذلك تقييد حرية التعبير عن الرأي، وتقييد اثبات الذات ولا سيما عند المراهقين والكبار، ويدهش كثيرا من الآباء ميل اطفالهم إلى للمعاكسة والمشاكاة بعد بدئهم حياتهم الدراسية، والسبب في ذلك هو ان جو المدرسة - بكل اسف - جو مقيد في العادة لحرية الحركة، وحرية التعبير عن الفكرة ولا يسمح فيه بإثبات

للذات اثباتا كافيا.

والطفل لا يمكنه في الغيرة ان يثور مباشرة على السلطة القائمة في هذا الجو، فيقوم دون ان يقصد أو يشعر بعملية تحويل للثورة أو الغضب إلى اشخاص أو اشياء لها بمصدر السلطة بعض العلاقة، وتكون قائمة على وجه شبه بعيد، واحيانا لا تكون هناك علاقة ظاهرة اطلاقا. فعند عودة الطفل إلى المنزل يغضب على امه أو على اخوته ويكون كثير المطالب قليل الصبر كثير النقد شديد التدقيق لغير سبب جوهري شديد الغضب. ومثل هذا ينطبق على كل جو يسوده الضغط والتقييد سواء اكان جوا اجتماعيا عاما أم مجالا اجتماعيا محدودا. ولا يجوز الخلط هنا بين تقييد الحرية ووجود المقاييس الضابطة، فالطفل في حاجة إلى توجيه لمعرفة الحسن والرديء مع عدم تقييد حريته بإرغامه على اتباع نظام معين محدود التفاصيل.

وليس من الضروري ان يتم دائما تقييد الحرية بالطرق العنيفة من جانب السلطة، فقد يتم بطرق تبدو غاية في الضعف. وقد شوهد هذا في عدد غير قليل من الحالات. ومن امثلته ان شابا، وهو في سن السابعة عشرة أو اكثر، كان اذا خرج مع اصدقائه للتنزه بكت امه، وبدا عليها الشقاء.

وذات مرة مرضت الام اسبوعا لان ابنها خالفها، وسهر في الخارج مع اصدقائه إلى ما بعد التاسعة مساء. وكانت النتيجة في هذه الحالة بالذات ان الولد كره البقاء بالمنزل كرها شديدا، وخشي الخروج منه خوفا على امه التي يقول انه يحبها حبا جما.

وبهذا وقع في صراع عقلي عنيف بين نزعتين متناقضتين هما: تشوقه لاثبات ذاته، وحرصه على ارضائه لانه نتيجة هذا انه كان ينفجر احيانا في امه واحيانا يدخل غرفته ويحبس نفسه فيها، ويصرخ بصوت مرتفع. وقد صار قليل الاستقرار، يفكر احيانا في الانتحار، قليل القدرة على تركيز جهده في اعماله

الدراسية.

وحالات كثيرة من المرض العصبي والعقلي منشوهما السيطرة بالضعف من جانب الامهات والاباء^(١).

وقد يكون الغضب عند الاطفال صورة من الغضب عند الاباء. وذلك يحدث اما عن طريق التقليد والنقل، أو يكون كرد فعل على غضب الوالدين لأنفه الاسباب وما ينتج عنه. فبعض الاباء يعضب ان لم يجد طعامه معدا في اللحظة التي يريده فيها، أو ان فقد زر قميصه في اثناء لبسه في الصباح أو ان قطع رباط حذائه في اثناء شده له.

هكذا تجد بعض الاباء متوثبين للغضب في كل لحظة. كذلك الاطفال مع اخواتهم أو مع للخدم قد يكون صورة ظهرت عن طريق التقليد أو الرغبة في الانتقام منشوها غضب الاباء معهم.

وفي الحالة الثانية يكون الغضب متسببا من كثرة مشاجرات الوالدين انفسهم مما يهز ثقة الطفل بالجو المنزلي، ويجعل الطفل متحيزاً لاحد الوالدين ضد الآخر^(٢) وبذلك يصير ناقما على الجو المنزلي كله، أو على جزء منه، وقد تنتقل معه هذه النقمة إلى الجو الخارجي في علاقته بالمجتمع عامة أو ببعض اجزائه كالزملاء أو المرؤوسين أو الرؤساء أو السلطة الحاكمة أو القانون نفسه.

ومن العوامل التي تساعد على تهيج الأشخاص وتعرضهم لنوبات الغضب حالتهم الجسمية، فأى نقص عام أو محلي يؤدي إلى اضعاف قدرة

(١) هذه هي نفس الحالة (ص ٢٩٠) ، ويلاحظ ان النزعات الاعتدالية تتجه نحو امه فلا تجد منفذاً فتريد عليه، ومثل هذه الحالات كثير في حالات الانتحار وما هو اخف من ذلك من حالات عقاب الذات (Self Punishment) ومجاهدة النفس (Asceticism)

(٢) يتحزب الطفل عادة للشخص الذي يميل اليه ، وقد يعتقد ان هذا الشخص مظلوم أو ضعيف . ويكون للطفل غالباً في جانب الام ، ويترتب على اقسام جو الأسرة بهذه الصورة مشكلات عديدة



الشخص على السيطرة على موقف ما قد يجعل الشخص هائجا متوترا في بعض الاطفال، لعدم قدرتهم على الشيء أو الكلام أو الرؤية أو اللعب أو إلى ذلك قد تجدهم في حالة توترب واستعداد للغضب والهيجان.

مشاجرات الاخوة

لا نكون مبالغين ان قلنا: ان كل اسرة بها اكثر من طفل واحد لابد من ان يحدث فيها شيء من النزاع والتشاجر. فمن الامور العادية ان يقوم اخ بتعبير اخته مثلا بلون شعرها أو ضخامة قوامها أو غير ذلك، كذلك يحدث ان تثير الاخت اخاها بامور مختلفة. ويتشاجر الاخوة مثلا عند تسابقهم لعمل، أو لعب، أو الحصول على امتياز معين من أي نوع كان. كما يجوز ان ينال طفل ما عقابا سببه له طفل آخر مثلا، فيقوم هذا الطفل الاخر بإثارة المعاقب. فيثير غيظه بكلمات معينة أو بتغييرات معينة يرسمها على وجهه، مما يهين الجو لشجار من النوع العنيف. كذلك يحدث احيانا ان يرغب الاخ الاكبر في فرض سلطة على الاصغر لهذا، ويلجا لوالديه.

وكما جرت العادة قد يكون الاصغر معززا من الوالدين. يحدث بعد ذلك مثلا ان يخرج الاخوان معا -اصغرها في حراسة الاكبر - لقضاء مهمة معينة، يريد الاكبر ان يسير حسب هواه، والاصغر يمانع، فيستعمل الاكبر سلطته، وينهر اخاه ويدفعه، ولكنه يفعل ذلك بشيء من الخوف وعدم الاسترسال فيه، لأن الاصغر مسنود من الوالدين.

فتجد اذ ذاك ان الاصغر يتشاجر بعنف وشدة للسبب نفسه - وهو انه معزز من الوالدين - ولذا تتجدد المشاجرات بين الاخوة، ويكون لموقف الوالدين بعض الاثم في اتجاه المشاجرات ودرجة عنفها.

ويحدث احيانا ان يشعر الاخ الأول والثاني ان الثالث مدلل من الوالدين

فيتحدان ضده ويكثران من التشاجر معه. واحيانا يتفق الأول والثالث ضد الثاني مثلا لان الثاني ممتاز عنهما لخفته أو لجمال شكله، أو لشدة زكائه، أو لرفقة صحته التي جعلت الوالدين يقدان عليه غناية لم يشعر الاخران بمثلها وهكذا من التشكيلات الاخرى العديدة.

ويتشاجر الاخوة اذا اعتدى احدهم على ما يعتبره الاخر ملكا له، أو على ما يعتبره غير مملوك للمعتدي. فالطفل يتشاجر مع اخيه اذا لعب هذا بكتبه أو اوتاه، أو ملابسه، أو اذا لعب بكتب والده مثلا، إلى غير ذلك.

ونجد على وجه العموم ان الاخوة الذين لا يتشاجرون قل ان نسمع عنهم. ومجرد اجتماع طفلين أو اكثر في مكان واحد يقيم في العادة مسرحا لمنازعات تختلف في نوعها وموضعها، ودرجة عنفها اختلافات كبيرة. وهذه المنازعات قد تطول وقد تقصر، وتتخللها عادة معاهدات للصلح لا يراعى في تنفيذها أي نوع من الدقة.

ويتألم الاباء عادة من مشاجرات ابنائهم، وسبب ذلك أن صوت هذه المشاجرات قد يصل إلى مسمع الجيران، وبذلك يتولاها الخجل، اذ يظنون ان الجيران ربما يرمونهم بالخيبة في تربية ابنائهم. ومما يزيد الاباء تألما عنف الابناء احيانا في هذه المنازعات، اذ ان المشاجرات بين الاخوة تصل احيانا إلى درجات يخيّل إلى الوالدين معها انه لو اتاحت الفرصة لاحدهم، فلا مانع عنده من ان يفتك بالآخر. ويعتقد الاباء اذ ذلك ان مثل هؤلاء سيشبون على كراهية بعضهم بعضاً، وسيشؤون غير قادرين على حسن معاملة الناس. ولكن الأمر أهون من هذا بكثير، فكل الاخوة - ولا سيما المتقاربين منهم في العمر - لابد من ان يتشاجروا. وتقل عادة هذه المشاجرات كلما تقدم الاطفال في السن. وليس معنى هذه المنازعات كراهية الاخوة بعضهم بعضاً، فكثيرا ما يحدث ان يتشاجر اخوان، فاذا تدخل غريب للصلح بينهما، فغالبا ما يتضامنان ضد هذا التدخل



ولا يرضيان به مهما نبل غرضه وحسنت نيته.

ومن البحوث التي أجريت في الخارج على الاطفال فيما دون الثامنة من العمر بحيث خلص منه القائم به إلى النتائج الآتية:

- ١- استعداد الذكور للتشاجر أكثر من استعداد الإناث له.
- ٢- الاستعداد للتشاجر يقل عادة بالتقدم في السن.
- ٣- الاستعداد للتشاجر يكثر بين الاطفال الذين تربط بعضهم ببعض روابط الصداقة.

وإذا اخذنا بهذه النتائج، وتذكرنا ان البنين عموما يفوقون البنات في الميل إلى النشاط والعنف والشدة والسيطرة وإثبات الذات، وجدنا ان الشجار قد يدل على الميل إلى التمسك بالحق والمثابرة والشدة، وغير ذلك من الصفات اللازمة لنجاح المرء في الحياة. ويمكن ان يكون الشجار مع حسن التوجيه مقدمة لأمر آخر يكسبه المرء بالخبرة الشخصية وهو القدرة على ضبط النفس ومجاهدتها ومكافحة الصعاب.

وطبيعي جدا ان الاطفال باجتماعاتهم تختلف رغباتهم، وتختلف طرقهم في الحصول عليها، وتتعارض هذه الرغبات. وهذا يؤدي إلى الاحتكاك للدال على النشاط والحيوية، ويمكن ان يترتب على كل هذا ان يتعلم الطفل كثيرا من اساليب التعامل، ومعنى الحق، ومعنى الواجب، واساليب الاخذ والعطاء. ولهذا يكون التشاجر احيانا دليلا على عدم اكتمال النمو الاجتماعي، ولكنه يصح ان يؤدي إليه اذا احسن توجيهه.

يضاف إلى كل هذا ما سبق ان قلناه في اسباب الغضب، فمن الجائز ان يكون التشاجر بين الاخوة دالا على غيره، أو اخفاق اجتماعي، أو شعور بظلم الكبار، أو غير ذلك مما يجب على الآباء ان يبحثوا عنه ليزيلوا اسبابه بادئ ذي بدء.

بحث حالات الغضب والتشاجر

أول ما يجب الاتجاه اليه -إذا كثر الشجار وظهرت ثورات الغضب- دراسة الحالة الجسمانية، فقد يكون للتوتب وسرعة الغضب ناشئين عن اختلال في مصادر النشاط في الجسم، كازدياد في افرازات الغدة الدرقية أو الغديتين فوق الكلويتين، أو الغدة التتاسلية، أو ما يشبه ذلك، مما قد يحدث والشخص غير مهيا للقيام بالنشاط الكافي لتصرف الطاقة المتدفقة فيه. وقد يكون السبب هو تسمم الجسم عن طريق مباشر أو غير مباشر، بسبب الامساك، أو التعب الشديد، أو الاصابة بالبرد العادي، أو قلة النوم، أو سوء التغذية، أو غير ذلك من الاسباب الجسمانية العديدة^(١).

ويمكن في بعض الحالات ارجاع للتعرض للغضب إلى عاهة أو نقص جسمي يتسبب عنه عجز في القدرة أو تعبير من الآخرين، أو عطف زائد منهم، مما قد يجعل صاحب العاهة بعاهته ناقما على نفسه وناقما على من حوله. ويلاحظ عادة ان اطفال المدارس يرفعون احيانا بالعمل؛ سواء كانت المدرسة تسميه عملا دراسيا ام رياضة بدنية.

ثم يذهب الطفل إلى منزله محملا بواجبات منزلية، وقد تضاف إلى هذا دروس خصوصية، وبذلك يحرم الطفل من الاستجمام، ومن اللعب الحر، ومن التنزه الضروري لكل انسان.

فعلينا ان نبحث حياة الطفل المدرسية، وعمله الدراسي من حيث نوعه وكميته ودرجة ملاعته لقواه العقلية والجسمية، وان نعرف علاقة الطفل في المدرسة بزملائه ومعلميه.

وعلينا ان نبحث كذلك في علاقة الطفل بوالديه وعلاقة كل منهما بالآخر. وان ندرس اصدقاء الطفل خارج المدرسة، ونوعهم، ودرجة ملاعتهم له، وكيف

^(١) في الكبار يكون الاستعداد لسرعة الغضب متكررا أحيانا بتصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم .



يقضي وقته معهم، وإن نعرف كيف يشغل وقت فراغه، ونوع هواياته. وذلك لأن الطفل كلما كان مشغولاً بهوايات، وبعمل لذيق، كان أقرب إلى الهدوء منه إلى الغضب.

ويجب أن نعرف الكثير عن حياته الانفعالية فربما يكون هناك ما يدعو إلى الغيرة، أو القلق، أو ضعف الثقة بالنفس، أو الانشغال بمسائل جنسية أو غير ذلك، وعلينا أن ندرس نظريته إلى مستقبله فالمستقبل المظلم غير الأمن قد يكون صاحبه بسببه قليل الصبر كثير الغضب.

يضاف إلى كل هذا وجوب النظر إلى احتمال وجود عوامل وراثية، فغريزة المقاتلة وما يصاحبها من نشاط الغدد اللازمة لها، قد تكون مورثة بنسبة عالية من جيل سابق، ويصير معها أقل قدرة على تكيف نفسه للمشكلات التي تقابله. وعلينا بالجملة أن ندرس نوع المشكلات التي نحن بصدها، كل ما يمكن أن يقلل من شعور الفرد بالسعادة في الحاضر والماضي والمستقبل من عوامل جسمية وعقلية واجتماعية مختلفة.

بعض القواعد العامة:

١- لا يجوز الإكثار من التدخل في أعمال الأطفال، أو تحديد حركتهم أو

ارغامهم على الطاعة لمجرد الطاعة، وإنما يكون التدخل بمقدار ما

سبق أن اشرنا إليه.

٢- لا يجوز اظهار الاطفال بمظهر العجز أو الاستهزاء بهم، والسخرية

منهم، أو اذلالهم أو كبتهم أو تخويفهم أو العمل على تهدئتهم بالعنف

والشدة. فالسماع لهم بالتعبير عن انفعالاتهم العنيفة احيانا امر صحي.

٣- لا يجوز اغتصاب ممتلكات الاطفال، أو تخريب ادواتهم خصوصا في

ساعة غضب.

٤- لا يجوز الظهور امام الاطفال بمظهر الضعف، والقلق، ولا بمظهر



- الاهمال لهم، وعدم الاهتمام بهم
- ٥- لا يجوز ان يسمح للطفل ان يحصل على ما يريده بالصراخ ولا يجوز محايلته أو تدليله في هذه الحالة.
- ٦- يحسن عدم لفت انتباه للطفل اذا قام بثورة غضب لسبب غير معقول.
- ٧- يجب ان نضبط انفسنا قدر الامكان امام الاطفال، بل يجب ان يتعود الاباء الانسراح لا سيما عند عودتهم من العمل.
- ٨- لا تجوز استثارة الاطفال لتسلية انفسنا. ولا تجوز اثاره غضبهم بمنع امتياز معين عنهم ثم التنازل لهم خوفا منهم أو عليهم.
- ٩- لا تجوز مناقشة سلوك الطفل مع غيره على مسمع منه.
- ١٠- لا تجوز اثاره الغيرة بين الاطفال ولا يجوز الاكثار من الموازنات العلنية بينهم ولا خلق جو يشعر بالفرق بينهم.
- ١١- يجب ان يكون الطفل مشغولا في وقت فراغه بنشاط لذني منتج كلعب أو هواية أو عمل أو غير ذلك. وان تعطى له فرصة للعب العنيف احيانا، ويجب ان تكون التربية لوقت الفراغ - بمعنى التوجيه لاستغلال وقت الفراغ استغلالا حسنا- غرضا هاما من اغراض التربية.
- ١٢- يجب ان يكون جو المنزل جو عطف وهدوء وتقدير وعدل وثبات في المعاملة.
- ١٣- يجب ان يوجه نشاط الناشئ لخدمة المجموعة التي ينتمي إليها وللنواحي الخلقية وللنواحي الابتداعية الايجابية.

التضريب

ميل الأطفال إلى الفحص والتخريب والحركة
لأجل أن نفهم ميل غالب الأطفال إلى إتلاف الأشياء يجب أن نبحث
بعض القوى الفطرية التي تهيب الطفل لذلك. وسبق أن عرفنا أن من بين هذه



القوى ما نسميه غريزة الاستطلاع وغريزة الحل والتركيب. وهذه الغرائز تظهر في ميل الأطفال إلى العمل والتخريب والكشف وسؤال الكبار ويقوى ظهور هذا الميل أن الطفل حديث العهد بهذا العالم، ومحتوياته غريبة بالنسبة إليه، ولا بد له من معرفتها حتى يشعر نحوها بأمنه وسلامته، لا سيما إذا اضطر للتعامل معها.

وأول ما يشعر الطفل بالشوق إلى معرفته وإدراكه هو العالم المادي، فهو يريد أن يلمس الأشياء، ويحملها، ويقذفها، ويعضها، ويمر بيده عليها إلى غير ذلك فإذا أعطيت طفلاً في السنة الأولى من حياته كرة صغيرة ملونة، فإنه - كما قلنا - يتأملها ثم يقذفها، فتعطيها له، فيقذفها مرة أخرى، ومرة ثالثة، وهكذا. وهذا تحقيق لفزعة التجريب أو إدراك خواص الكرة عن طريق القيام بالتجارب والملاحظات. فالطفل يدرك بطريقته هذه وزن الكرة وشكلها وألوانها ويدرك ارتدادها في الأرض، ويدرك المسافة التي يلقيها فيها وهكذا يوفق كل هذا يشعره ببقوته ومقدرته على العمل.

لهذا يكرر القيام بتجاربه مرات عدة. ويزكرنا تكراره لتجاربه نوعاً ما بما يفعله العالم الذي يتبع المناهج الصحيحة للبحث العلمي، والذي لا يقطع بنتيجة إلا بعد أن يكرر تجاربه ومشاهداته مئات المرات.

وإذا أردنا أن نصف الطفل في هذه الحالة - وهو في معمله الصغير - قلنا: أنه يلعب. وعنصر اللعب - أو بعبارة أخرى عنصر الشعور بالذلة والسعادة - ضروري لاستمرار الطفل في هذه التجارب وانهماكه فيها.

هذا اللعب هو الذي يكسب الطفل خبرة سريعة واسعة المدى يدرك بها خواص العالم المادي. فسرعان ما يدرك الفرق بين الساخن والبارد والكبير والصغير. والناعم والخشن، والأسود والأبيض والحاد وغير الحاد، وغير ذلك من الصفات الظاهرة بالنسبة إلينا، والتي لا يكسبها إلا عن طريق المحاولات



الحسية العديدة والتجارب الشخصية الطويلة.

ومما نلاحظه من هذا النوع ميل الأطفال إلى اللعب بالماء مثلاً، فمما مصدر هذا الميل ؟ مصدره أن العناصر المألوفة التي يتعامل معها الطفل هي الأجسام الصلبة، فهو يمسك نقاعة أو كرة أو مفتاحاً، فيجد أنه يستقر في يده. ويمسك بالماء فيجد أنه يزول من يده. وهذه خبرة جديدة أو موضوع جديد يستحق البحث والفحص. ماذا يفعل ؟ يلعب بالماء، فإذا وجد إناء ماء فإنه يضع يده فيه ويحركها، وإذا وجد الماء نازلاً من صنوبر فإنه يحاول أن يمسك به، والطفل كله مرح وسعادة وضحك وهو يحاول أن يمسك بالماء والماء يفلت من يده. فهو في هذا المعمل الخاص يدرك الفرق بين الأجسام السائلة والأجسام الصلبة. وكان طفلاً صغيراً في الثالثة من عمره يلعب بالرمل والماء وكان كوز من الماء ويصبه فيسيل الماء في كل مكان، ثم يملأ أكواز الرمل ويصبها فتتكون في شكل قوالب، ثم سأل أمه عن سر تكوم الرمل وعدم تكوم الماء وهو سؤال بديع جداً في الفرق بين الأجسام السائلة أو الصلبة، أوفي مبادئ الطبيعة. وهذا بعينه يحدث عند استعمال الطفل للصابون، وملاحظته لفقائعه، واستعمال أنبوبة مفتوحة من طرفها لنفخ هذه الفقائيع وتكبيرها وتصغيرها وتطبيرها - أحياناً في الظل وأحياناً في الشمس - ومشاهدة الألوان المتعددة الناتجة عن انكسارات الضوء فيها. فالطفل إذن يميل بطبيعته إلى اللعب والتجريب الحسي، وبهذه الطريقة يكسب كثيراً من الخبرة الحسية والمهارة الحركية.

يرى الطفل ساعة والده مثلاً، وهذه في نظره جسم مستدير براق غريب لا تتاح له فرصة لمسه إلا لحظات صغيرة من وقت لآخر. وفي هذه اللحظات التي يسمح له فيها بذلك يلعب بها لعباً مقيداً محدوداً لا يكفي لإشباع نفسه. وعقل الطفل وحواسه تتعطش لكسب الخبرة وهضمها كما يتعطش جسمه لتناول



الطعام وهضمه ^(١)، فيمسك الساعة ويقبّلها بين يديه، وإتماما للتجربة فقد يقذفها على الأرض، فإن تهشمت صاح فرحا لنجاح التجربة (في نظره على الأكل).
ولكن سلوك والده إزاء ذلك يكون في العادة سلوكا غريبا في نظره. ففي الحال يقطب الوالد جبينه، وقد يصيح صيحة الغاضب، فينهره أو يضربه. هذا السلوك يثير دهشة الطفل، ويشعره بأن هذا العالم كله ظلم وقسوة وجور. الطفل أراد أن يمسك الساعة ليفحصها ويفهمها، وقد قذف بها وتكسرت، فأدرك خبرة جديدة، وشعر بقوته، واشتق من كل هذا لذة كبيرة. فلماذا الانتهار ولماذا الضرب؟

في طبيعة الحال يضرب الوالد ابنه لأن الساعة ثمينة، ولكن الطفل لا يدرك شيئا من هذا. وقيمة الساعة في نظره قد تساوي، أولا تساوي قيمة أنفه لعبة من لعبه. وما فعل الطفل هذا إلا بسبب الدوافع الطبيعية المتفجرة عند التي تنشط للتعبير عن نفسها، وترمي إلى الاتصال بالعالم الخارجي وفهمه فإذا بهذه الدوافع من البيئة بالعقبات الشديدة القاسية. ولكن هذه العقبات لا تقتل ما عند الطفل من دوافع ونزعات، فرغبة الطفل في لمس الأشياء واللعب بها لا تختفي، وإنما ينفذها مستترا خائفا، ويكون سلوكه إذ ذاك مصحوبا بشيء من الرعونة، ومن سوء فهم الأشياء وقيمتها، فيتلف الطفل بذلك أشياء كثيرة.

ومن تحليل هذه الأمثلة ندرك أن ما يسمى في العادة إتلافا أو تخريبا، أساسه غالبا حب استطلاع طبيعي ينفذه الطفل بطريقة تجريبية حسية، ويصحبه غالبا سوء تقدير لقيم الأشياء وبعض الرعونة لعلم اكتمال النمو، وشئ من الخوف والتستّر نتيجة سوء معاملة الوالدين.

وتلك القوة التي تدفع الطفل للبحث والتجريب، والاستطلاع، والتي يريد أن يخمدها -ولن يقوى على إخمادها- هي من اكبر الوسائل التي خلقها الله

(١) ذلك لإشباع الحاجة للنمو العقلي والحاجة للنمو الجسمي - راجع موضوع الحاجات النفسية .

لصالح الإنسان من حيث نموه وتعلمه وكسبه القدرة على فهم البيئة والتأثير فيها وحسن التكيف لها.

وكذلك الطفل يرى والده يقوم بحركات بسيطة حين يكتب مثلا، فيترك آثارا سوداء على ورق أبيض. وهذه تجربة غريبة بالنسبة للطفل، فتشاقق نفسه للامساك بالقلم وإجراء الحركة والنظر إلى النتيجة. إذا تنبه الوالدان لهذا الشوق وادركا قيمته فأنهما قد يعطيانه ورقا وقلمًا ليخط ما يشاء، وإن لم يكن هذا فلوح (إردواز) أو سبورة. أما إذا لم يعط الولد هذه الفرصة فإنه قد يخطط خفية في كتب والده، وكراساته، ويتلفها اشد إتلاف، أو قد يحدث منه ما حدث من طفل اعرفه اخذ قطع الفحم، وشوه بها الحيطان والأبواب والأثاث.

وطفل آخر يرى والدته تستعمل المقص، وتقوم بحركات بسيطة تؤدي إلى قطع الأشياء وتمزيقها وهذه أيضا عملية جذابة للغاية، فماذا يفعل الطفل ؟ تشاقق نفسه لإجراء التجربة بنفسه، فيمسك بالمقص، فإذا لم يلاحظ ويوجه فقد يقص كتابا ثمينًا أو مجلة محفوظة أو مفرشا أو ما يشابه ذلك.

وأما إذا لوحظ ومنع، فهو في الغالب يقوم بالعملية سرا. والنتيجة في الحالتين وبال على الوالدين لما سيحدث من إتلاف، ووبال على الطفل لما سيلاقه من عذاب وعقاب. أما إذا عرف الوالدان قيمة هذا الشوق إلى القص، وقيمة التجربة للحسية والتجربة التي يكسبها الطفل من قيامه به، فأنهما قد يوجهانه إلى قص الجرائد القديمة، أو الخرق البالية إلى أن تشبع نفسه من هذه التجربة الجديدة ويتهجه لغيرها من التجارب الطبيعية.

نرى مما تقدم أن ما يسمى في العادة تخريبا لا يكون مقصودا لذاته، وإنما يحدث عرضا في أثناء النشاط للطبيعي للطفل وهذا النشاط الطبيعي - الذي نسميه لعبا، أوحلا وتركيبا أو استطلاعا- يشبع حاجات نفسية، ملحة ويحقق غايات حيوية للطفل وهي نموه وتعلمه بمعانيهما للواسعة.



غير أن الطفل في أثناء هذا النشاط، لا يكون في العادة قد استكمل التناسق الحركي أو التوافق العضلي الذي يساعده على تناول الأشياء وفحصها دون إتلافها، ولا يكون كذلك قد أدرك قيم الأشياء على نفس المستوى الذي يدركها عليه الكبار المحيطون به. إذا أدركنا هذا علمنا أن واجبنا هو أن نعطي الأطفال الفرص الكافية لكسب هذا النوع من الخبرة دون أن تظهر مشكلة تعارض القيم التي أشرنا إليها.

بعض الظروف التي تعارض ميل الطفل إلى اللعب

يلاحظ أن سكان المدن الكبيرة صارت أغلب بيوتهم وشوارعهم غير صالحة للعب الأطفال، فقد حدث في البيوت - خاصة في المدن - تطور كبير أساء إلى الأطفال أكثر مما أساء إلى الكبار. فالمنازل - كما عهدناها قديما - كانت متسعة، كبيرة الغرف، كبيرة الأفنية، قليلة الأثاث. وكان الأطفال يشعرون في هذه المنازل بالحرية والمرح. وكانت تكثر في المنازل الحيوانات والطيور التي يلعب معها الطفل، ويكسب من اتصاله بها خبرات عدة كلها على جانب كبير من الأهمية. وإذا لم يكن بالمنزل فناء فقد كان في أعلى المنزل سطح متسع تربي فيه الحيوانات وتكثر فيه أدوات اللعب.

وكان في كل ذلك فرصاً لتوجيه النزعات الغريزية المختلفة توجيهها سليماً بعيداً عن مواقف التخرج التي يخشاها الأباء عادة، وخاصة فيما يتعلق بالثقافة الجنسية. أما في الوقت الحاضر فقد حلت العمارات في المدن الكبيرة محل البيوت المعروفة. وصار المسكن الحديث عبارة عن أربع غرف تقريبا، وكل غرفة منها مزدحمة بالأثاث القابل للكسر، وغير القابل للمس أو النقل.

وتوجد فوق ذلك عشرات الأدوات البراقة الجذابة التي يسهل كسرها ولا يجوز للطفل لمسها، وليس للطفل عادة مكان للعب أو للحركة، فإن دخل غرفة ما فهو مقيد مراقب، وإذا تسلق كرسيه ضرب، وإذا أمسك بزهرية منع. وهكذا

صار الطفل غريبا في منزله، وصار ثقيلًا على أمه وأبيه وزيادة على ما تقدم فالطفل لا يمكنه أن ينزل إلى الشارع لأنه صاحب بالحركة ملئ بالخطر، ولا يمكنه أن يذهب إلى أعلى العمارة لأنه ملئ بالخشم ولا يؤمن عليه معهم.

فيجب على الأقل أن تخصص كل أسرة غرفة للطفل، أو على الأقل ركنًا للأطفال يفعلون فيه ما يشاؤون من لعب وحركة وتجريب وتخريب وتمثيل.. وغير ذلك أن يعود الأطفال أن يستعملوا لهذه الأغراض غرفتهم دون أي جزء آخر من المنزل، ويزود الأطفال في غرفتهم هذه بما يناسب سنهم من أدوات النشاط، فيعطون الجرائد والمجلات القديمة، ليقصوها في شكل زخارف، أولقص صورها ولصقها في شكل مجموعات ويعطون سبورة (طباشير) وصلصالا، وصندوقا خشبيا مملوءا بالرمل النظيف وبضعة مكعبات وبعض العلب الفارغة، وغير ذلك مما لا يكلف كثيرا ويساعد على خلق مجال كبير لنشاط لذيذ منتج واسع المدى. وإذا انشغل الأطفال بنشاط لذيذ يلائم سنهم وقواهم العقلية والجسمية كانوا أقرب إلى الهدوء منهم إلى القلق والغوغانية، وامكن الأباء إذ ذاك أن يتحملوهم، بل يشاركوهم نشاطهم.

إزاء هذا للتغير في طرق المعيشة يتحتم العمل الجدي على إقامة منشآت للأطفال - بل مدن للأطفال، كما يحدث في سويسرا نتيجة للحرب العالمية الثانية- حيث يتمكنون من تصريف نشاطهم تصرفا مفيدا لنموهم وشعورهم بالسعادة. ولهذا قطعت الأمم الأوروبية أشواطاً بعيدة في تنظيم الحدائق العامة وللأطفال وتزويدها بكل ما يهيئ للنشاط المفيد^(١).
وقطع بعضها أشواطاً بعيدة كذلك في إنشاء أندية خاصة للأطفال ودور للحضانة.

(١) أنثت الأستاذ (بيرت) في كتابه (The Young Delinquent) أن جرائم الأحداث في لندن تزيد حيث تقل مساحات الحدائق العامة التي يسمح للأطفال فيها باللعب، وتكثر حيث تقل مساحات هذه الحدائق .



ومما يجعل إنشاء مثل هذه المؤسسات ضروريا فئة عدد أطفال في الأسرة الواحدة وشعور الأطفال بالحاجة الملحة للعب والتعامل مع أطفال آخرين وكذلك لشغال الأمم الحديثة بالعمل إما داخل المنزل أو خارجه، وعدم صلاحية المساكن الحديثة لنشاط الأطفال بحال من الأحوال.

عوامل التخريب:

عرفنا مما تقدم الأسباب العادية المباشرة والظروف العامة التي يمكن أن يعزى إليها الإلتلاف على وجه العموم، وتبيننا معرفتها في دراسة الحالات الفردية. ولكن عند دراستنا لطفل مخرب، كثيرا ما نجد أن التخريب ناشئ من زيادة النشاط الجسمي زيادة بارزة، مع عدم توافر المسالك المنظمة لتصريف هذا النشاط. ففي بعض الحالات نجد اختلالا في الغدة الدرقية أوفي الغدة النخامية. مثال ذلك حالة كان الولد فيها ناميا جدا وعنده جميع أعراض زيادة النشاط في بعض إفرازات الغدة النخامية. بالإضافة إلى هذا كان متأخر الذكاء جدا. والواقع أن جسمه ونشاطه كانا في مستوى جسم ونشاط ولد كبير السن لا يقل عمره عن عشرين سنة بينما عقله في مستوى عقل طفل عمره عشر سنوات. فلم يكن له من الذكاء ما يعينه على توجيه نشاطه توجيها يتفق ومظهره. كان مخربا جدا، إذ أثلث كثيرا من أثاث المنزل الفاخر.

وكان كثير التخريب والتكسير للأدوات الدقيقة الموجودة في المنزل. وفي حالة أخرى كان الولد متأخرا في ذكائه، إذ أنه كان في الثانية عشرة من العمر، ونكاؤه كان في مستوى ذكاء ولد عادي عمره أربع سنوات وكان الولد موفور النشاط نحيف الجسم حاد التقاطيع. له عيبان براقتان غير مستقرتين في محجريهما، ولما أجري عليه اختبار Basl Metabolism Test وجد ما يدل على ازدياد نشاط غنثه الدرقية وكان الولد شديد التخريب إلى حد يصعب تصوره. وسبب ذلك أن لديه نشاطا كبيرا لا يتمكن مع ضعف عقله من حسن

استغلاله. ومما زاد الحالة سوءا أن الأسرة تعيش في مسكن ضيق مملوء بالأثاث الفاخر في جهة مزدحمة جدا بالمباني المتراسة بعضها بجوار بعض. والجهة خالية من الحدائق العامة التي يصرف فيها الأطفال عادة كثيرا من نشاطهم. وقد لاحظنا أن غالب المتأخرين جدا في الذكاء إذا كانوا نشطين فأنهم يكونون عادة مخربين، ولا سيما إذا كانوا من أسرة متوسطة أو غنية، وإذا كانوا يعيشون معهم في المدينة.

نلاحظ كذلك في بعض الأحيان كثرة حوادث الإلتاف من الخدم، وهم في دور المرافقة، حيث يزداد نشاطهم العام بنشاط غدهم الجنسية، ويزداد نموهم. ويتميز دور المرافقة كما قلنا، ببعض الرعونة في الحركة وبعض النقص في التناسق الحركي. وتكثر الحوادث في المرافقين بنوع خاص إذا كانوا أقل ذكاء من العاديين.

فمن الواجبات الأولى عند فحصنا حالات التخريب الشاذة أن ندرس ما يمكن أن يكون هناك من الأسباب الجسمية التي يصح أن يترتب عليها تهيج عام. هذا التهيج أو العصبية أو نفاذ الصبر.

لما ما إلى ذلك قد يكون نتيجة مباشرة للحالة الجسمية أو نتيجة غير مباشرة لها. فضعف الحيلة للناسئ عن قصور جسمي قد تنشأ عنه نزعات هدمية تخريبية. وقد يظهر التخريب نتيجة لعوامل انفعالية مكبوتة، كما تظهر الأعراض العصبية المعروفة، كقضم الأظافر، أو اللبثول اللا إرادي، أو ما إلى ذلك. فأحيانا نجد واحدا أو أكثر من العوامل الآتية وهي: الغيرة أو كراهية السلطة الضاغطة غير المعقولة، أو الشعور بالنقص أو غير ذلك. وبذلك يصير التخريب مظهرا من مظاهر الانتقام أو إثبات الذات.

ومن أمثلة ذلك حالة البنات في سن السابعة كانت مخربة جدا، فكانت تفتح صناديق الحديقة حتى تغرقها إغراقا. وكانت أحيانا تقطع الأزهار في الحديقة



- وهي كبيرة - من أولها إلى آخرها. وتتلف الزرع إتلافا واضحا. وقد خدشت ظاهر (البیانو) بقطعة من الصفيح. هذه كلها لا تخرج عن كونها نماذج قليلة لسلوكها. وكانت لها فوق ذلك مشكلات أخرى سبق أن أشرنا إليها.

والبنيت تعيش في منزل خالتها التي تزوجت بجدها لأبيها، وليس للجد والخالة أطفال. فتعلقت الخالة بالبنيت وأحببتها وأخذتها من أمها. فيحتمل أن يكون التخريب أسلوبا لا شعوريا للانتقام من الخالة بإتلاف ممتلكاتها، ويحتمل أن يكون مظهرا لعصبيتها وتضايقها لفصلها عن إخوانها، ولأنها تعيش في جو غير طبيعي بالنسبة لها، إذ هو خال من الأطفال، بعيد عن الدبها. ويحتمل أن يكون السببان مجتمعين هما اللذان يرجع إليهما هذا السلوك.

وكثيرا ما يحدث التخريب بصورة عامة فينتج لممتلكات الشخص أو ممتلكات غيره بدون أي تفرقة، أو يحدث بعد تحويل الانتفاع المصاحب له أن تجد تلميذا يخرّب ممتلكات إخوانه في البيت بعد عودته من المدرسة التي كانت تضيق عليه طول النهار. وكثيرا ما نجد تلاميذ يخرّبون في المدرسة مثلا، وبالبحث نجد أنهم تعساء في المنزل إما لعدم التوافق بين الوالدين أو لعدم وجود الأم بسبب الوفاة أو الطلاق، أو لسوء المعاملة التي يلقاها في المنزل، أو ما يشبه ذلك.

ولتوضيح ما تقدم نلخص إحدى حالات الدكتور (توم)^(١)، وهي لبنيت كانت في العاشرة من عمرها. حالتها الصحية جيدة ومستوى ذكائها وتحصيلها فوق المتوسط، وسلوكها في المدرسة حميد. وقد أرسلت له بسبب ميلها الشديد إلى التخريب والعناد، ففي أثناء الشتاء تفتّح صنبور المياه الباردة في خزان المياه الساخنة، أو تفرغ الخزان مما به من مياه ساخنة، كما أنها أتلفت (البیانو)، وكسرت ألواح (أسطوانات) موسيقية ثمينة ثم أخفتها، وكانت تعبت بكل ما في

D. Thom : Everyday Problems of the Everyday Child (١)

المنزل من أثاث، وتعبث بالمنزل نفسه فتتلف حيطانه وأنايب مياهه.. إلى غير ذلك. وبدراستها وجد أنها البنت الكبرى لخمسة أخوة ولم يظهر سلوكها بهذه الصورة إلا بعد وفاة أمها.

والوالد رجل مشغول جدا في عمله، وقد حاول بكل ما في وسعه أن يهيئ أسباب الراحة لأولاده بعد وفاة زوجته ولمن يلاحظ أن الزوجة كانت قد بذلت جهدا كبيرا حتى تمكن الولد من توفير المال اللازم لبناء البيت وتأثيثه فكانت تعمل بنفسها حتى تستغني عن الخدم، وكانت تحرم نفسها من الغذاء والملبس، ومن شراء الدواء حتى تدخر شيئا من المال لبناء البيت. وبعد أن بني البيت كانت قد مرضت واشتد عليها المرض، وبعد أن أنهى والداها من تأثيثه ماتت الأم.

وكانت الأم تبالغ في تضحياتها لدرجة جعلت الأولاد يشعرون بجسامة هذه التضحية، وصار البيت بعد وفاة الأم مرتبطا في ذهن البنت بفقد والنتها. فكان البنت بسلوكها كانت تنتقم من البيت الذي تكرمه كراهية مكبوتة، ويدعم ذلك الاستنتاج اقتصار سوء سلوكها على المنزل دون المدرسة.

كانت هذه إحدى الحالات التي بذل فيها المعالج جهدا كبيرا، ولكنه لم ينجح لعدم تمكن الوالد من تنفيذ جميع التعليمات التي أعطيت له.

ونعتقد أن نجاح الحالة كان ممكنا لو أن الدكتور (توم) لجأ إلى طريقة التحليل النفسي، وهي طريقة لا تتفق مع مبادئ المدرسة التي ينتمي هو إليها.

ومن حالات محكمة الأحداث التي قمت بدراستها بضع حالات من هذا النوع نجد فيها مثلا أن الأم قد ماتت أو مرضت فتزوج الأب بغيرها، فيقوم الحدث بمحاولة إحراق المنزل، أو بإتلاف بعض الأشياء لا سيما ما تملكه زوجة الأب. وهذا النوع من السلوك كان يصدر غالبا من الفتيات في حالة الدكتور (توم) السابقة الذكر. ولعل الانفعال الأساسي غير مكبوتة.

التدمير وعقاب الذات

رأينا فيما تقدم أن التخريب يمكن أن يكون عرضيا في أثناء لعب الأطفال وحركتهم وكشفهم للعالم المادي وكسبهم للمهارات الحركية المختلفة، ويمكن كذلك أن يكون مقصودا للتخريب أو للانتقام. وتكون دوافعه أحيانا شعورية وأحيانا لا شعورية. ويلخص بعض علماء النفس هذه الاتجاهات في أن التخريب يكون للمخاطرة والبحث عن الخبرة، ويحدث أحيانا أن يكون التخريب بدافع لا شعوري نحو الانتقام، وفي هذه الحالة يترتب عليه شعور باللذة والارتياح.

وهناك اتجاه ثالث لم نشر إليه وهو التدمير الذي يتجه للذات أو لممتلكاتها أو ما يشبه ذلك. فلاحظ أن بعض الناس يقطعون كراساتهم، ويتلفون ملابسهم، كأنهم يفعلون ذلك عمدا، ويصل بعضهم في عض أصابعهم لدرجة الإدماء، وبعضهم يأكلون المواد الحريفة بكثرة كأنما يعذبون أنفسهم. فهناك ميل عند بعض الأشخاص إلى تعذيب الذات أو عقابها يبدو في مظاهر متعددة منها ما نكرناه، ومنها تبيد الممتلكات وتبيد النقود والإسراف الشديد. ومنها ركوب المخاطر بصورة لا يمكن أن ينجو الواحد منها إلا عن طريق الصدفة، كالإسراع الشديد في قيادة العربات والدراجات، وفي عبور الشوارع وما إلى ذلك، ومنها تعذيب الجسم ومجاهدة النفس، ومنها الانتحار نفسه أحيانا.

هذا الميل إلى تعذيب الذات يكون - كما قلنا - من بين أعراضه إتلاف الممتلكات. ومنشؤه إما شعور مكبوت بالخطيئة أو كراهية للذات.

وتنشأ الكراهية للذات عادة من كراهية السلطة. وهذه الكراهية للسلطة لا يمكن عادة مواجهتها والتعبير عنها، فيعكسها الشخص على نفسه فيكره نفسه ويقضي عليها أما قضاء جزئيا أو قضاء تاما.

لهذا نرى أن التخريب يسكون أحيانا من مظاهر النزعات الاعتدلية

للموجهة ضد الغير أو ضد الذات ويكون خارجا عن إرادة الشخص خروجاً يكاد أحيانا يكون تاماً.

ونلخص كل ما تقدم في أن التخريب في حالاته العرضية والمقصودة قد يكون لكسب المهارة وكسب الخبرة المصحوبين بسوء تقدير القيم وبانعدام التوافق الحركي، وقد يكون لكسب اللذة، وقد يكون للبحث عن الألم. وهذا البحث عن الألم لا شعوري خارج عن تحكم الإرادة. ويلاحظ أن العنصر اللاشعوري ليس هو الألم نفسه، وإنما هو الرغبة في إيلاء الذات. ونرى بذلك أيضاً أن كثيراً مما قيل في التدمير يمكن أن يضم إلى الفصل السابق الذي يبحث في النزعة للاعتداء.

الغيرة

معنى الغيرة

سبق أن اشرنا إلى الغيرة كأحد العوامل الهامة في كثير من المشكلات، فذكرناها عند الكلام عن التخريب ونوبات الغضب والنزعات الاعتدائية والتبول اللاإرادي وضعف الثقة بالنفس... وغير ذلك. والغيرة كما نعلم ليست سلوكاً ظاهرياً، وإنما هي حالة الفعلية يشعر بها الفرد، ولها مظاهر خارجية يمكن الاستدلال منها أحيانا على الشعور الداخلي، وفي غالب الأحيان لا يكون هذا سهلاً، لأن للشخص في العادة يحاول أن يخفي الغيرة بإخفاء مظاهرها قدر جهده.

ولعل كل واحد قد شعر في وقت ما بالغيرة شعوراً خفيفاً أو حاداً. وهناك أناس يتعرضون لهذا الشعور أكثر من غيرهم. وهو شعور مؤلم ينتج عادة من خيبة الشخص في الحصول على امر محبوب - كشخص أو مركز أو قوة أو مال - ونجاح شخص آخر في الحصول عليه. لهذا نجد أن تفاعل الغيرة مركب



من حب تملك، وشعور بالغضب لأن عائقا ما وقف دون تحقيق غاية هامة. ولا يعترف الفرد عادة بالغيرة، وسبب هذا ما تتضمنه من الشعور بالنقص الناتج من الاخفاق. بل كثيرا ما تكبت الغيرة لأن النفس للشعورية لا تقبل ألم الخيبة ولا شعور النقص.

إذا طبقنا ما تقدم على الغيرة على ما كغيرة زميل من آخر نقوق عليه، نجد أن من يشعر بالغيرة بعدم حيازته، أو بعدم قدرته على حيازة المركز الذي ناله زميله، ويكون مع شعوره بالخيبة والضعة شاعرا بالغيظ من نفسه، أو من زميله، أو منهما معا. ويكون عنده شوق -وإن كان خفيا- للحصول على ما نال الزميل، ويقوم صاحب الغيرة عادة باتهام الزميل أو اتهام الظروف أو اتهام سوء الطالع... وما إلى ذلك.

والغيرة نشعر بها عادة دفعة واحدة، فهي انفعال مركب له خصائصه، وهو ليس مجموعا حسابيا للانفعالات الثلاثة التي ذكرناها، مثل الغيرة في ذلك مثل المثلث الذي لا يمكن أن يوصف بأنه مجموع ثلاثة مستقيمت، ومجموع زاويتين قائمتين وإنما هو مثلث به صفة المثلثية، وهي صفة ليست موجودة في المستقيمت، ولا في الزوايا، ولا في رؤس المثلث.

كذلك انفعال الغيرة لا يعتبر أنه غضب مضاف اليه حب تملك ومضاف إلى هذين شعور بالنقص، وإنما هو أكثر من ذلك. هذا مع إمكان ذكر بعض عناصره كما في حالة المثلث.

ونظرا لتعدد الغيرة نجد أن مظاهرها متعددة يختلف بعضها عن بعض اختلافات بينة، ولكنها مع اختلافها هذا قد يفصح كل منها عن مركب من مركبات الغيرة. فمن للغيرة الغضب بمظاهره المختلفة من ضرب، أو سب، أو هجاء، أو تشهير، أو نقد، أو مضايقة، أو تخريب، أو ثورة، أو عصيان، أو ما يشبه ذلك. ومن مظاهرها كذلك الميل للصمت، أو التهجيم، أو الابتعاد، أو

الانزواء، أو الاضرار عن الأكل، أو فقد الشهية، أو التسليم، أو النكوص أو الشعور بالخجل، أو شدة الحساسية، إلى غير ذلك من مظاهر الشعور بالنقص. وقد تبدو الغيرة في محاولة الطفل الحصول على ما فقده بمختلف أساليب التحايل. ومن هذا النوع أن يقوم الأولاد أحيانا بتقبيل المولود وملاطفته حتى يحتفظ الأكبر بمركزه عند أمه.

وبعض الأولاد يتخلقون بأحسن الخلق حتى يرضوا الكبار الذين بدؤوا ينصرفون عنهم أو يميلون لغيرهم. وقد يكون السلوك تعويضا للشعور بالنقص، وذلك بمحاولة الظهور بمختلف الأساليب.

وكثيرا ما يكون للغيرة مظاهر جسمانية، كتنقص الوزن والصداع والشعور بالتعب. وهذا للتنوع الكبير في أساليب الغيرة من سلوك سلبى إلى ايجابى، ومن سلوك رديء إلى سلوك طيب، يجعل كشف الغيرة أمراً صعباً.

ومما يزيد في صعوبة كشف الغيرة كتمها أو تحويلها. فمظاهر الغيرة بدل أن تتجه نحو المولود، قد تتجه نحو أي شئ آخر في المنزل. ومن الحالات التي نكرها الدكتور (توم) في كتابه الذي اشرنا اليه أن بنتاً مرضت لها اخت فانصرفت الأم عن بقية من في المنزل إلى الاخت، فقامت البنت بعمليات تخريب عنيفة موجهة نحو حديقة المنزل وإثائه دون أن يشعر بها احد.

الغيرة والثقة

ويلاحظ أن كل حالة غيرة تتضمن درجة من ضعف ثقة المرء من حيث مركزه في البيئة. ويعبر عن هذا بطريقة أخرى وهي ضعف ثقة المرء بالبيئة. لناخذ غيرة الأزواج كمثال، فإن كان أحد الزوجين على ثقة تامة بالآخر، فإن احتمال ظهور الغيرة يكون قليلاً. وكذلك الأمر إذا كان المرء شديد الثقة في نفسه. ونجد أن الموقف الواحد يؤدي مع بعض الأزواج إلى غيرة شديدة ومع بعضهم الآخر إلى غيرة خفيفة، أو إلى لا شئ، فكان نوعاً من الخوف الاجتماعي



أو من ضعف الثقة بين الطفل ومن حوله يكون عاملاً مساعداً على ظهور الغيرة في الموقف المناسب. وهذا بعينه ينطبق على جميع أنواع العلاقات بين الأطفال والكبار مثلاً، أو بين الرؤساء ومرؤسيهم، أو بين الطبقات الاجتماعية المختلفة، أو بين الأفراد والحكومات.. أو غير ذلك. فالتقص الناشئ من موقف الغير نحو الشخص وضعف الثقة بالنفس — الذي يمكن إرجاعه آخر الأمر عادة لما لنقص ذاتي أو لخبية متكررة أو لموقف الغير نحو الشخص — يجعله في العادة متهيئاً للشعور بالغيرة عند اجتماع الظروف الكافية لذلك.

وأقوى أنواع الغيرة هو ما ينشأ عن شعور بالتقص مصحوب بشعور بعدم إمكان التغلب عليه، كتقص في الجمال أو نقص في القدرة الجسمية أو الحسية أو العقلية. لهذا نجد أن المعرضين للغيرة معرضون للشعور بالتقص، كما أن المعرضين للشعور بالتقص معرضون أيضاً للشعور الشديد بالغيرة. وتكون كل من الغيرة والشعور بالتقص حلقة متصلة الأجزاء يؤثر كل جزء منها في الآخر.

كيف تنشأ الغيرة؟

لعل أهم أسباب الغيرة أن يشعر الشخص بحقه في امتياز معين (اجتماعي في العادة)، أو أن يحصل عليه بالفعل، ثم يفقده كله، أو يفقد جزءاً منه، ليحصل عليه شخص آخر. فالذي يشعر بأنه يستحق شهرة معينة، ولا يحصل هو عليها؛ وإنما يتمتع بها شخص آخر، يشعر بالغيرة والاستعداد للغيرة في الكبار ينشأ في سني الطفولة الأولى. وتظهر الغيرة في حياة صغار الأطفال في سنواتهم الخمس الأولى عن طريق المصادفة، أو عن طريق التنشيط المقصود من الكبار المهيمنين عليهم.

ويلاحظ أن الطفل في أول حياته تجاب له عادة كل طلباته، ويسترعى في العادة انتباه الجميع، ويسلم بعد مدة قصيرة، بأن كل شيء له، وكل جهد له،

وكل انتباه له، ولكن الذي يحدث هو أن العناية التي كانت تستغرق كل جهد الكبار قد تنحصر عنه فجأة أو بالتدرج كلما نما. وقد نتج عن هذه العناية إلى مولود آخر أو إلى شخص آخر في الأسرة. هذا التغير قد يترتب عليه فقد الطفل ثقته في بيئته ولا سيما في أمه، وفقد الثقة في نفسه تبعاً لذلك، إذ يشعر بأنه غير مرغوب فيه. وبذلك يبدأ شعوره بالقلق، وشعوره بالكراهية لبيئته، والميل للانتقام منها أو الابتعاد عنها، أو شعوره بالنزوع إلى سلوك يترتب عليه جلب العناية إليه مرة أخرى، كالبكاء، أو التبول اللاإرادي، أو المرض.

وكما كبرت الامتيازات التي تعطى لطفل ما، زادت الغيرة عند إنقاصها منه واعطائها لطفل آخر. ولذلك كأن الطفل الذي يتمتع بامتياز معين، هو أكثر الناس استعداداً للشعور بالغيرة، وذلك كالطفل الأول أو الأخير أو الوحيد، أو الذكر الأول أو من يشبه ذلك من الأطفال الذين يحتلون مركزاً يعطيهم فرصة التمتع بامتياز واضح.

كذلك يغار الطفل أحياناً إذا وجهت الأم إلى ولده عناية فائقة. وذلك لأن الطفل في سنواته الأولى كان يتمتع - كما يبدو له - بعناية أمه كلها، ثم يلحظ أن الوالد يأخذ كثيراً من هذه العناية، فتبدو عليه علامات الغيرة، واضحة أو غير واضحة. ويحدث أحياناً أن يتغيب الوالد عن المنزل مدة طويلة، وبمجرد عودته تتصرف الأم إليه انصرافاً يغار الطفل. والغيرة من الأب سببها أنه ينزع الطفل المركز الذي يرغب فيه لنفسه عند الأم. والسبب في أن غيرة الأخ من أخيه أكثر ظهوراً من غيرته من أبيه يرجع إلى الكبت الناشئ عن التقاليد الاجتماعية، والصراع بين حب الوالد (الذي يطعم ويكسو) من ناحية، والغيرة من ناحية أخرى. ويمكن أن تدخل الغيرة من الوالد تحت النوع الناتج عن الشعور بالنقص المصحوب بشعوره بعدم إمكان التغلب عليه.

وتدل دراسة الحالات على أن كثيراً من الحالات الشاذة التي تتصف



بالقلق والاضطراب الجنسي والتعرض للغيرة الحادة يرجع ما بها من اضطراب إلى الغيرة مما يلمسونه من المواقف الجنسية بين الوالدين. وهذا يحدث بنوع خاص عند الأطفال الذين ينامون مع امهاتهم، والذين يلحظون أحيانا ما يحدث بين الوالدين من مغازلة أو اتصال جنسي يعتقد الوالدان أنهما غير ملحوظين فيه، لأن الأطفال عادة يتغافلون أو يتناوون في هذه المناسبات.

وتحدث الغيرة كذلك من الموازنة الصريحة أو الضمنية، ونقص بالضمنية أن الجو نفسه يوحي بالموازنة، وبتفضيل واحد على الآخر.

فهذه الموازنات سواء في المنزل أو في المدرسة - تؤدي إلى الاضرار بالنقص، واضعاف الثقة بالنفس لدرجة تجعل للشخص عرضة لهذا الشعور. وتقوم الموازنات عادة حول جمال الخلقة أو القدرة العقلية أو القدرة الاجتماعية، أو ما إلى ذلك مما قد لا يجد الطفل لنفسه حيلة في التغلب عليه.

بعض الحالات:

حالة طفل وحيد - سبق أن اشرنا إليها - كان واقفا بجانب امه وزارهم بعض الضيوف، فحملت الأم ابنتهم لتقبلها، فما كان منه الا أن صرخ، وشد ملابسها، فحملته فقبول عليها في الحال. والتبول هنا يحتمل أن يكون انتقاما للغيرة ثم غالبا بحيلة لا شعورية.

وحالة أخرى لبنت في السادسة والنصف، بقيت وحيدة مدة خمس سنوات، ثم ولد لأبويها طفل ذكر. والأب رجل هادئ يذل لبنت تكليلا شديدا، واما الأم فأنها سيدة ضعيفة لا سلطة لها على أولادها، وهي تترك غالب العناية بأولادها للوالد، وحالتها العصبية سيئة. تتصف البنت بحساسية شديدة، وتشتت في الانتباه، وتأخر في الدراسة على الرغم من ارتفاع مكانها وهي تحلم بالليل أحلاما مزعجة بصوت مرتفع، يدور غالب أحلامها حول أخيها، ويصفونها بالغيرة والحق في المدرسة والمنزل. ومن المحتمل جدا أن يكون لاساس مشكلة



اللبنت غيرتها من اخيها.

وحالة أخرى لطالب في الدراسة العليا عمره أربع وعشرون سنة لا ينجح في كل عام الا في امتحان الدور الثاني، شعر في احدى المرات بتوكل قبل الامتحان، فقرر الا يدخله. يلاحظ أن المرض هنا كان حيلة دفاعية من حيل اللاشعور وظيفتها حمايته من دخول الامتحان. وقد نجح جميع من دخلوا الامتحان اذ ذلك فتالم الطلاب جدا، ولم يقو على مقابلة من تقدموا عليه، وظهر عليه بعد ذلك عدم الاهتمام بالدراسة، ولم يذهب إلى كليته، وصار شغله الشاغل أن يردد (وما قيمة التعليم؟)، (إن زملائي أصبحوا احسن مني؟) وصار شديد التبرم والحنق، شديد الاحتقار للناس لاجمعين، يعلن أن معاشره الناس لا قيمة لها لسوء خلقهم، وانحطاط عقلياتهم. وخير له أن يبتعد عن معرفهم، ويعيش بمفرده بعيدا عن هذا العالم. ويلاحظ من هذا أنه يسقط شعوره بالخيبة على الناس، أما هو فإنه ارقى الناس جميعا، واحسن منهم عقلا وخلقاً، وهم لا يستحقون معاشرته اياهم. وحتى التعليم نفسه لا قيمة له. فهو لا ينسب انعدام القيمة لنفسه، وإنما ينسبه للتعليم، وهذا ايضا اسقاط. ثم صار كثير التدخين، يكثر من الذهاب إلى مسجد سيدنا الحسين، ويطلب أن تقرأ عليه الأوراد المختلفة، ولعل في تدنيه بحثا عن الشعور بالطمأنينة الذي لا يشعر به في حياته الواقعية وفي علاقته بعالم الناس والعمل. وهذا الطالب هو الابن الوحيد لوالديه، ويجب دائما أن يكون قريبا من أمه، إلى حد أنه يقضي وقته دائما معها، ولا يتركها الا قليلا. واذا جاءهم ضيوف فهو لا يجالسهم، وإنما يلزم امه الا اذا اضطرت لمقابلة الضيوف، وفي هذه الحالة ينتظرها على مضض إلى أن تفرغ منهم.

وبعد حادثة الملحق التي اشرنا إليها ترك (البنسيون) الذي كان يسكنه في القاهرة، واستاجر (شقة) واستحضر معه امه واباه ليعيشا معه في القاهرة. وبذلك تركا مصالحهما وتكبدا نفقات اضافية باهظة، ومع كل ذلك لم يقو على الذهاب



إلى كليته. وفي مرة جلس معه أبوه يرحوه، ويتوسل إليه أن يذهب إلى السكينة، وللولد رفض لأنه لا يقوى على مواجهة من نجحوا وكانوا معه، وأخيرا بكى الولد وترك المنزل، وبكى الوالد وظل يبكي زمنا طويلا.

يعتقد أن (عين السوء) قد أصابت نجلهما. معنى ذلك أن ابنهما كامل من كل ناحية و (عين السوء) هي المسؤولية عما هو فيه، مما يترتب عليه أن الولد ينسج حول نفسه فكرة عظيمة جدا، ويتهم كل من حوله بسوء النية وسوء الخلق. وبلغ من شدة اعتقادهما في الخرافات أن وقعا في شباك محتال يدعي أنه يحول النحاس إلى ذهب، وباعا في هذا السبيل أربعة أفئدة من عقارهما الذي لا يتجاوز أربعة وعشرين فدانا في مجموعه.

وهناك حالة أخرى شبيهة بالحالة السابقة كان الولد فيها شبيها بالوحيد، إذ أنه كان الذكر الأول، وبعده عدة بنات وعدة وفيات ثم ولد. وكان الوالد يشتغل بحرفة تدر مالا كثيرا، إلا أن المجتمع لا ينظر إليها نظره إلى حرفة راقية، وكانت الأم تشعر لهذا بالنقص. ثم أرادت تربي ابنها في المدارس العادية وكانت مشغوفة بأن يعوض لها في نظرها النقص الذي تراه في زوجها. صاحب هذا احتقارها واحتقار الولد بعد نموه للوالد.

نشا الولد مدللا معظما محترما، وكان اذا رسب في امتحان بالمدرسة تعتقد الأم أن المدرسين يقصون رسوبه، وكانت تعلن هذا وتعلن أمثاله من التصريحات حول زملائه في اللعب، وزملائه في المدرسة، وبذلك نشأ الولد وعنده فكرة عظيمة جدا عن نفسه. ولم يقطع في تعليمه إلا سنتين من التعليم الثانوي، واشترك بعد ذلك اشتراكا مشرقا في عمل من الأعمال الوطنية. وعزا كل خيبته بعد ذلك إلى تضحيته في سبيل الوطن. وبذلك زادت فكرته عن نفسه عظمه على الرغم من خيبته في الدراسة التي لم يحاول إعادة مواصلتها. بعد ذلك شغل وظيفة حكومية ولكنه كان يقضي كل وقته في محاربة المؤامرات التي

يتوهم أن غالب زملائه يديرونها ضده. وبقي طول حياته متألماً اشد الألم؛ وخاصة كلما رأى غيره - ممن هم في نظره اقل منه - يتفوق.

الخبرة عند الطفل الوحيد

يتبين مما سبق أن الطفل الوحيد ينشأ بين أبويه وليس معه اطفال آخرون يغتصبون امتيازاته، وينمو محاطاً بكل أنواع الرعاية، فينشأ بفسكرة أنه مركز كل انتباه، وينشأ أنانياً إذ لم يتعود من الحياة أخذاً وعطاء، وحققاً وواجباً. فالحياة كما نشأ فيها أول الأمر كلها اخذ، وليس فيها عطاء، وكلها حقوق وليس فيها واجبات. فإذا خرج الطفل الوحيد أو الشبيه بالوحيد عن دائرة والديه للعب مع الآخرين، فإنه يصدم، لأن الاطفال لا يدعونه يأخذ ولا يعطي، ويعتدي ولا يعتدى عليه. فيحدث مثلاً أن يضرب أو تخطف لعبته عادة فيلجأ إلى امه باكيار وهذه تضمه إليها، وتسب الأولاد الآخرين، وتفهمه أنه رقيق الطبع، وحسن الخلق، وأنه من طينة راقية غير طينتهم. وأما الآخرون فأنهم على درجة كبيرة من السراشة، وسوء التربية، وخير له الا يلعب معهم، وأن يمكث إلى جانبها.

بالطريقة نفسها يخرج الطفل الوحيد أو الشبيه بالوحيد إلى المدرسة فيجد أن المعلمة لا تفرد بالتكليل، بل أنها تعامل الجميع معاملة واحدة تقريباً. وإذا غلبه زملاؤه في لعب أو درس أو غير ذلك، فهو كما علمته امه له حسناته ونواحي رفته التي لا يعلمها احد غيره هو وامه.

وهذا يكبر، ويخرج إلى الحياة ويجد أن مجال التمتع بامتيازاته معلوم، يقابل الخيبة بزيادة اعتقاده في عظمة ذاته، وزيادة اعتقاده في سوء حظه في الحياة ومؤامرات الناس حوله، واثراً عين السوء وما يشبه ذلك وهكذا تصاحبه تلك الحال طوال حياته، وتخلق له من المشكلات ما يظهر اثره في ميدان الحياة الزوجية ومع أولاده وفي مهنته.



وهذه الحالات كلها يصحبها الانفعال المركب المسمى بالغيرة، وهو - كما قلنا - مكبوت في غالب الأحيان، ولذا لا يسهل دائما تشخيصه. وسلوك الطفل الاخير من هذه الناحية يشبه كثير سلوك الطفل الوحيد، أو الشبيه بالوحيد. ويلاحظ عند خروجه للمدرسة أو للحياة اقسى واشد من أي نوع من أنواع الغيرة التي تحدث داخل الاسرة.

الغيرة من المولود

يحسن بالوالدين تنظيم الحمل والولادة بحيث تكون الفترات الواقعة بين طفل وآخر لا هي بالقصيرة ولا بالطويلة، أي أنها لا تكون قصيرة بحيث تحرم الطفل الموجود فعلا من النمو السكافي، ولا تكون طويلة بحيث يتمتع الطفل الموجود بامتيازات يصعب عليه للتنازل عنها فيما بعد. ونعتقد أن فترة طولها من سنتين إلى ثلاث أو اربع سنوات وهي فترات معقولة.

ويجب عند الحمل اعداد ذهن الطفل الموجود لما يتوقع حدوثه، فقبل الولادة بمدة كبيرة، يجب أن يقل التصاقه بالأم. ويجب اعداد ذهنه لذلك بأن تفهمه الأم بأنه سيكون له اخ صغير يلعب معه، ويرعاه. وكثير من الاطفال يلاحظون ظاهرة الحمل، وقد ينزعجون للتغير الظاهر غير المفهوم. ويظن الآباء اذ ذاك أن الغيرة بدأت قبل حادث الولادة، وبعض الاطفال يسألون الأم عن سبب هذا التغير الظاهر، فيجب على الأم أن تجيبه بهدوء بأنه يوجد بداخلها طفل صغير سيكبر ثم يولد بعد أن ينمو نموا كافيا.

ويكتفي الاطفال عادة بما يقال لهم اذا كان معقولا صريحا يلائم عقولهم. ويصح أن تكمل هذه المحادثات بمحادثات اخرى ومشاهدات عن التوالد عند الطير والحيوان، وتكون هذه المحادثات جزءا اساسيا من التربية الجنسية اللازمة

لصحة الفرد النفسية^(١).

وبعد أن يولد الطفل لا يجوز إهمال الكبير واعطاء الصغير عناية أكثر مما يلزمه، فيجب ألا يعطى المولود إلا بقدر حاجته، وهو لا يحتاج إلى كثير. والذي يضايق الطفل الأكبر عادة كثرة حمل المولود وكثرة الالتصاق الجسمي الذي يضر بالمولود أكثر مما يفيده.

فواجبنا إذن تهيئة عقل الطفل إلى حادث الولادة وكذلك يجب فطامه فطاما وجدانيا تدريجيا قدر الإمكان. فلا يحرم حرمانا فجائيا من الامتياز الذي سيبغض مثله على أخيه. الغيرة بسبب الموازنة:

نعلم بطبيعة الحال أن الأطفال باستعدادات مختلفة من حيث الذكاء أو النواحي المزاجية. ينشؤون مختلفين اختلافات تكون أحيانا شاسعة. ويوازن الطفل نفسه عادة بغيره من أخوته من حيث الجنس (ذكر أو أنثى) أو من حيث السن (كما بين الصغير والكبير، فالأصغر يغار أحيانا من الأكبر لمجرد أنه أكبر منه) أو من حيث القدرة، أو من حيث الجمال الطبيعي، أو غير ذلك. ولكن الخطأ هو في اهتمام الآباء والمدرسين، وأصدقاء الأسرة والمجتمع عامة بإبراز هذه الفروق وإشعار الأطفال بأنها مهمة في نظر غيرهم. ومختلف درجات إبراز هذه الفروق اختلافات كبيرة، وتختلف تبعاً لها النتائج المترتبة عليها من غيرة، وحقد، وغرور وغير ذلك.

فيجب على الآباء أن يقلعوا عن الموازنات الصريحة، وعن خلق الجو الذي يشعر بالموازنة ويجب اعتبار كل طفل شخصية مستقلة لها مزاياها واستعداداتها الخاصة بها، فإذا نجح طفل في عمل ما فيكفي أن يشجع عرضاً، ولا يوازن بغيره. وكل طفل - مهما خاب - له ناحية طيبة يمكن كشفها

(١) انظر كتاب ((لصحة الحياة في جمع الأحياء)) للدكتور التومس والدكتور طنطاوي .



وابرازها، والاعتزاز بها. وبذلك يمكن أن يزول الشعور بالخيبة المؤدي إلى الشعور بالذلة والنقص.

ومنعا للموازنات بين الاخ واخيه أو التلميذ وزميله، يمكن الموازنة بين الطفل ونفسه في أوقات مختلفة. فإن تقدم في وقت ما عما كان عليه في وقت سابق، فهذا كاف لتشجيعه، وإذا كانت المدرسة أو الأسرة تعنى بالهوايات، فيحسن أن يكون لدى الأولاد هوايات مختلفة كالموسيقى والتصوير، وجمع الطوايع، وجمع عجائب الطبيعة من الحفريات، وأنواع البيض، وغير ذلك. وبذلك يتفوق كل في ناحيته، ويوازن نفسه بنفسه.

وإن اختار الأطفال هوايات متشابهة، فيجب الامتناع عن الموازنة التي تقلل من قيمة بعضهم، مما يجعلهم يكتفون عن نشاطهم، ويفقدون اهتمامهم به. وتخطئ بعض الأسر بأن تعامل الابن معاملة تختلف اختلافا تاما عن معاملة البنت، مما يخلق الغرور في الأبناء، ويثير حفيظة البنات، وينمي عندهن غيرة تكبت وتظهر اعراضها في صور أخرى في مستقبل حياتهن، ككراهية الرجال عامة وعدم الثقة بهم وغير ذلك من المظاهر، ومما يجعل الولد أيضا معرضا للغيرة عند خروجه للحياة.

وبعض الأسر يخطئ في اغداق امتيازات كبيرة على الطفل للعليل كما حدث بالفعل في حالة معينة من احضار علب (الشيكلاته)، والملابس الحريرة، واللعب واعطاء النقود، وغير ذلك مما لا علاقة له بعلاج المرض نفسه. وهذا يثير الغيرة في الاخوة الأصحاء.

وتبدو مظاهرها في تمنى المرض، وكراهية الطفل للمريض، أو غير ذلك من مظاهر الغيرة الظاهرة أو المستترة.

ويستتج من هذا أنه لا يجوز اعطاء الطفل أي امتياز أكثر من العناية التي يتطلبها المرض، وإن كان المرض شديد الوطأة طويل المدة يتطلب

امتيازات كثيرة بارزة، فيجب أن يحرر الطفل تدريجيا من هذه العناية مع خروجه التدريجي من حالة المرض. وعلى هذا يجب ألا يعطى الطفل في أي وقت من الأوقات امتيازاً يصعب عليه التنازل عنه فيما بعد، أو يشعر معه غيره من أخوته بالظلم والتعيز البالغ.

خلاصة ما تقدم مهما كانت الفروق العرضية أو الدائمة بين الاخوة أو الزملاء، فلا يجوز استئثاره الموازنات المؤدية إلى الغيرة. وهذا لا يمنع بالطبع من اجراء مباريات بين تلاميذ المدارس من أن الآخر مما يحفزهم لبذل الجهد، ويخلق الفرصة أحيانا لتعويد التلميذ تقبل الخيبة المؤقتة بصدر رحب.

سأوسا: التأخر الدراسي

كثيرا ما نتقدم الشكوى من الآباء أو المدرسين عن بعض تلاميذ المدارس لتأخرهم في الدراسة. ويحدث في بعض الحالات أن تكشف مبالغة من جانب الآباء، فبعضهم يشكو من أن درجات ابنه في السنة الأولى الثانوية^(١) ضعيفة، وبالبحت نجد أن عمر الولد إحدى عشرة سنة فقط.

وتكون حجة الوالد إذا عارضت فكرته، أن هناك اولادا ينالون الشهادة الابتدائية^(٢) في عمر أقل من عشر سنوات. وينسى الوالد في ذلك امرين: اولهما أن الآباء يدفعون أحيانا بأبنائهم دفعا في المدرسة ويكون هذا الدفع غالبا على حساب صحتهم، واضعاف حيوييتهم، وخروجهم في مستقبل حياتهم بأفق ضيق. له في غالب الحالات رد فعل سيء على دراستهم نفسها في مرحلة التعليم الثانوي أو العالي. وكثير منهم يقفون في الطريق ولا يتمكنون تعليمهم. والأمر الثاني الذي ينساه اللوالدان أن هناك فروقا شاسعة في استعدادات الافراد، إذ أنه

(١) وكان النظام في ذلك ٣ سنوات للروضة (من سن ٥ إلى ٨) ثم ٤ للابتدائي، ثم ٥ للثانوي.

(٢) بحسب النظام القديم.



ثبت أن ذكاء الأطفال قد يختلف باختلافات شاسعة من طفل إلى آخر. ويمكن باستعمال مقاييس الذكاء تحديد مستوى الذكاء الذي يسمى بالعمر العقلي^(١). ونظرا لقلة شيوع استعمال مقاييس الذكاء، فإن الآباء والمدرسين في مصر مثلا يحكمون عادة على تأخر التلميذ في دراسته إذا كان عمر الولد اكبر بكثير مما ينتظر لمثله من نفس مستواه الدراسي، فإذا تكرر رسوب تلميذ عمره فوق السادسة عشرة في السنة الرابعة الابتدائية فإنه يعتبر متأخرا دراسيا، ولكن يحدث أحيانا أن يتمكن الأب من النظر إلى المسألة من ناحية أخرى، وهي درجة ملائمة المستوى الدراسي لاستعداد الطفل، إذ يجوز أن يكون عمر التلميذ ستة عشر عاما، ولكن استعداده العقلي لا يؤهله إلا للسنة الرابعة الابتدائية.

تقديم معنى التأخر الدراسي

ولكن ما تقدم يعتبر كله تقديرا وصفيا تخمينيا، وقد تقدمت البحوث في بعض البلاد مما أدى إلى تحديد معنى التأخر الدراسي. وأول خطوة في هذا الاتجاه هي قياس الذكاء.

ويُقاس الذكاء بمقاييس مقيّنة (Standardised Taste)، إذا طبقت على طفل ما نصل منها إلى معرفة مستوى ذكائه أو عمره العقلي. فإذا كان عمر الطفل الزمني عشر سنوات، وعمره العقلي ثماني سنوات، فمعنى ذلك أن مستوى ذكائه هو مستوى طفل متوسط الذكاء عمره الزمني ثماني سنوات. أي أن ذكاء هذا الطفل أقل من العادي بمنسبتين عقليتين. كذلك إذا قمنا ذكاء طفل آخر ثماني سنوات، ووجدنا أن مستوى ذكائه ست سنوات عقلية، يكون معنى ذلك أن مستوى ذكاء هذا الطفل يساوي مستوى

(١) لدراسة موضوع الذكاء وسائل قياسه وبعض نتائج تطبيقه في المدارس المصرية يقرأ كتاب قياس الذكاء للأستاذ (إسماعيل القبانى) من مطبوعات معهد التربية .

طفل متوسط الذكاء عمره الزمني ست سنوات، وبذلك يعد متأخرا في الذكاء بمقدار سنتين عقليتين.

وواضح أن الطفل الثاني أكثر تأخرا من الطفل الأول، إذ أن تأخرا مقداره سنتان في الثامنة أكبر نسبياً من نفس المقدار من التأخر في العاشرة. لهذا يحسن حساب ما يسمى نسبة الذكاء، وهو عبارة عن نسبة العمر العقلي إلى العمر الزمني، ويضرب الناتج في ١٠٠ للتخلص فقط من الكسور.

$$\text{أي أن نسبة الذكاء} = \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times 100$$

وواضح أن الشخص المتوسط الذكاء تكون نسبة ذكائه ١٠٠، وأما من تزيد نسبة ذكائه على ١٠٠ فهو المتوسط، ومن تقل عن ١٠٠ فهو دون المتوسط، ويعين البيان الآتي نسب الذكاء المختلفة (١) :

إذا كانت نسبة الذكاء من ٧٠ إلى ٨٠ كان الشخص غيباً جداً.
وإذا كانت نسبة الذكاء من ٨٠ إلى ٩٠ كان الشخص دون المتوسط.
وإذا كانت نسبة الذكاء من ٩٠ إلى ١١٠ كان الشخص متوسط الذكاء.
وإذا كانت نسبة الذكاء من ١١٠ إلى ١٢٠ كان الشخص فوق المتوسط.
وإذا كانت نسبة الذكاء من ١٢٠ إلى ١٤٠ كان الشخص ذكياً جداً.
وإذا كانت نسبة الذكاء من ١٤٠ فما فوق كان الشخص ذكياً عبقرياً.
وأما الخطوة الثانية لتحديد معنى التأخر الدراسي فهي قياس المستوى الدراسي باستعمال المقاييس للدراسية المقننة، ويسمى ما نقيسه المستوى التحصيلي (Educational Age) أو العمر التحصيلي ومعنى العمر التحصيلي بالنسبة للدراسة كمعنى العمر العقلي بالنسبة للذكاء. فإذا وجدنا أن تلميذاً عمره الزمني عشر سنوات وعمره التحصيلي سبع سنوات مثلاً، كان مستوى تحصيله

(١) كتاب الاستاذ القباني (قياس الذكاء ص ٤٩).



في الدراسة يساوي مستوى تحصيل طفل متوسط عمره سبع سنوات. وهذا الطفل بعد متأخرا ثلاث سنوات تحصيلية عما ينتظر له بالنسبة لعمره الزمني. ولكن يجوز أن يكون استعدادة العقلي لا يتمشى مع عمره الزمني، أي أنه لا يجوز مثلا أن يكون عمره العقلي سبع سنوات مثلا، وبذلك لا يعد متأخرا في مستوى تحصيله عما ينتظر له بالنسبة لمستواه العقلي. وفي هذه الحالة يعتبر عاديا من حيث التحصيل.

لهذا نشأت فكرة حساب النسبة التحصيلية، وهي نسبة العمر التحصيلي إلى العمر العقلي، ويضرب الناتج في ١٠٠ لنفس السبب السابق الذكر في حساب نسبة للذكاء.

$$\text{أي أن النسبة التحصيلية} = \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times 100$$

فاذا امكنا أن نعرف هذه النسبة لتلميذ ما، ووجدنا أنها اقل من ١٠٠ بدرجة واضحة، حكمنا عليه بالتأخر الدراسي، ووجب علينا دراسة العوامل التي أدت إلى ذلك ومعالجة الحالة.

وفي العادة لا تزيد النسبة التحصيلية (بخلاف نسبة الذكاء) عن ١٠٠، إلا في حالات نادرة، وهي حالات التلاميذ الذين يرهقون أنفسهم بالذاكرة، أو الذين يساعدون كثيرا بدروس خصوصية. ولكنها في اغلب الحالات تكون ١٠٠، وكثيرا ما تقل عن ١٠٠، وقد دلت بحوث (برت Burt) على أن النقص عن مئة يحدث بنوع خاص عند الاغبياء وضعاف العقول، لآ أنه وجد في جميع حالاتهم تقريبا أن المستوى الدراسي اقل من المستوى العقلي^(١)، ولعل من العوامل المؤثرة في هذا الشعور النقص المصاحب عادة للقصور العقلي، وهذا الشعور بالنقص يجعل مستوى إنتاجهم اقل مما ينظر لهم حسب مستواهم العقلي.

G. Burt : The Backward Child. (١)

ولو كان المستوى لا يتوقف الا على مستوى الذكاء، لكانت النسبة التحصيلية دائما ١٠٠؛ ولكن التحصيل يتوقف- على وجه - العموم على عوامل اخرى كالظروف المحيطة بالتلميذ وحياته الوجدانية وما عنده من دوافع مختلفة. وليس من السهل علينا في مصر في الوقت الحاضر أن نحدد بالدقة درجة التأخر الدراسي، ولذلك اسباب عديدة منها عدم توافر الاختبارات المقننة التي تقيس المستوى التحصيلي.

ومنها عوامل اخرى تدخل في التنظيم العام، كتفاوت الاعمار في الفرقة الدراسية الواحدة تفاوتاً كبيراً؛ وفي بعض الأحيان نجد في السنة الرابعة الابتدائية تلاميذ عمرهم عشر سنوات، ونجد آخرين يقرب عمرهم من سبع عشرة سنة. فتصعب الموازنة بين تلميذين كهذين من حيث درجة تأخرهما الدراسي^(١).

يضاف إلى هذا نظام الامتحانات الذي عود بعض التلاميذ وبعض المدرسين الوصول إلى حل خاصة تمكن من حفظ المعلومات بصورة تكفي لوضعها يوم الامتحان على الورقة المخصصة لذلك. وبذلك تقل قيمة التحصيل الدراسي بمعنى كسب قوة معينة، نتيجة لفهم المواد الدراسية وضمها وحسن تطبيقها والكفاية في استعمالها.

بعض الحالات في التأخر الدراسي

وسنعرض الآن بعض حالات عرضت على العيادة السيكولوجية بمعهد التربية للمعلمين بسبب التأخر الدراسي، وقد بينا مع كل حالة نوع التأخر كما وصفته المدرسة أو كما وصفه المنزل. وبيننا السنة الدراسية^(٢) والعمر الزمني والعمر العقلي.

(١) والصعوبة في هذه الحالة صعوبة إحصائية أكثر منها صعوبة سيكولوجية .
(٢) كان النظام اذ ذاك ٣ سنوات للروضة (٨-٥) ثم ٤ للتدني ثم ٥ للتفوي .

ومن موازنة هذين احدهما بالآخر وبالنسبة الدراسية، يمكننا أن ننسب على وجه التقريب درجة التأخر الدراسي الظاهري من مقارنة السنة الدراسية بالعمر العقلي. وقد اثبتنا كذلك بعض العوامل الاخرى (غير الذكاء) التي نعتقد ان لها دخلا كبيرا في التأخر الدراسي.

طريقة بحث حالات التأخر الدراسي

يجب للتأكد أولا مما اذا كان التأخر الدراسي عاما في جميع المواد الدراسية أو خاصا بمادة أو بمجموعة معينة من المواد، ذلك لأنه يحدث أحيانا أن يكون التأخر عاما في جميع المواد، ويحدث أن يكون في مادة دراسية واحدة. ويجب التأكد أيضا مما اذا كان التأخر حديثا أو مستديما.

.. عادة أن العوامل المؤثرة يمكن أن تقع تحت الاقسام الآتية:

أ- عوامل عقلية عامة كالتأخر في الذكاء أو التأخر في القدرة على القراءة بسبب عدم إتقان اسسها. إذ أن القراءة تدخل في العلوم المدرسية بمختلف أنواعها. أو عوامل عقلية خاصة كالقدرة على التذكر أو إحدى القدرات الخاصة التي يلزم وجودها بنسبة كبيرة للتقدم في مادة دراسية معينة كالقدرة اللغوية أو القدرة الهندسية، أو غير ذلك.

ب- اتجاهات عقلية وعوامل وجدانية عامة كضعف الثقة بالنفس والخمول، أو اتجاهات وجدانية خاصة ككراهية مادة دراسية معينة لارتباطها في الذهن بموقف مؤلم من جانب المدرس أو الزملاء أو غير ذلك من الحالات الوجدانية المختلفة التي قد تنشأ داخل الفصل أو خارجه.

ج- عوامل جسمانية عامة تؤدي إلى نقص عام في الحيوية، فتقل من مقدرة الشخص على بذل أقصى جهده. من ذلك (الأنيميا) والاصابة بنزلات البرد المتكررة والأمراض الطفيلية (كالأنكلستوما) وغير ذلك. وكذلك

عوامل جسمانية خاصة كضعف السمع العام (الصمم) أو الخاص (المتمصل ببعض دون غيرها) أو ضعف البصر بأنواعه المختلفة وما يشبههما.

د- عوامل بيئية تنشأ في المدرسة أو في المنزل أو خارجهما ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

- كثرة تنقل التلميذ من مدرسة إلى أخرى بسبب تنقل الوالد من بلدة إلى أخرى مما يترتب عليه اضطراب التلميذ بين طرق تعليمية مختلفة. وضياع لبعض اجزاء المنهج. وكذلك انتقال الطالب انتقالاتا فجائيا بالنسبة إليه من نوع من التعليم إلى نوع آخر كما يحدث عند تنقل التلميذ بين مدارس أجنبية وأخرى مصرية.
- كثرة تغيب التلاميذ عن المدرسة لأسباب قوية أو تافهة.
- هروب التلاميذ من المدرسة لقلة جاذبية العمل بها، ولوجود مغريات أخرى خارج المدرسة كالخيالة، أو تأليف عصابات، أو الجري وراء المسائل الجنسية، أو ما يشبه ذلك.
- علاقة الطفل بالديه وإخوته وزملائه ومدرسيه وعلاقة والديه أحدهما بالآخر، وفكرتهما عن التعليم وأهميته، وما ينشأ عن ذلك من اتجاهات عقلية وحالات وجدانية تؤثر في التلميذ أحيانا بطريق مباشر وأحيانا بطريق غير مباشر.
- مقدار شعور التلميذ بقيمة العمل للمدرسي خصوصا بعد سن المراهقة.
- طريقة استغلال التلميذ وقت فراغه.
- تنقلات المدرسين بعد بدء الدراسة من فرقة دراسية إلى أخرى بسبب تغير الجداول.

• درجة ملائمة المواد الدراسية وطرق التدريس لاستعداد التلميذ ومستوى تحصيله.

• الجو المدرسي العام (راجع الفصل الحادي عشر).

• ملائمة جو المنزل واستعداده للعمل الهادئ المنتج.

وليس من الممكن في هذا المقام أن نتكلم بالتفصيل عن هذه النواحي كلها.

مصاحبات التأخر الدراسي

لاحظنا في الجندول السابق أن هذه الحالات ليست حالات تأخر دراسي فحسب، وإنما توجد معها مشكلات أخرى كالهروب وشروذ الذهن والاعتداء، وغير ذلك من المشكلات التي قد تكون مصاحبة فقط للتأخر الدراسي، وقد تكون مسببة له، وقد تكون ناتجة عنه.

وقد لاحظنا في حالات جرائم الأحداث جرائم العبيدة التي فحصناها، والتي كان الأحداث فيها من تلاميذ المدارس أنهم كانوا متأخرين جدا في الدراسة.

وكان هؤلاء أحيانا ينظمون أنفسهم في شكل عصابات للسرقه من عربات الترام أو عربات السكة الحديدية أو السطو على المنازل أو غير ذلك. وكانوا يتصلون باحد الباعة ليكون بمثابة مصرف لمسروقاتهم يبيعونها له.

والتلاميذ الذين يلبون اول داع للخروج على النظام، والذين يكونون مصدر اضطراب في حياة المدرسة هم في حياة المدرسة للعادة المتأخرون دراسيا، ولا يخرج ممالك التلاميذ الذين من هذا النوع عن أنه تعويض للشعور بالنقص الذي يسببه لهم الاخفاق الدراسي. وهذا الشعور بالنقص أو الشعور بعدم تحصيل المستوى المنتظر لهم ينتج اساسا من موازناتهم بزملائهم الناجحين.

كذلك يمكن تفسير هذا الممك ضد النظام المدرسي بأن التلاميذ يعتبرون

أن المدرسة عائق في سبيل تحقيق ذاتهم تحقيقا يجلب لهم المرور، ولذلك فهم يثورون ضد المدرسة.

وفي المراحل المتقدمة يفقد التلميذ ثقته في نفسه ازاء نوع المستقبل المعترّب على النجاح المدرسي. وربما لا يجد ما يشعره باطمئنان من هذه الناحية فتحدث له أنواع من التآلم واليأس، وما يتبع ذلك من مشكلات نفسية. ونجد في المراحل الاولى من التعليم أن التأخر الدراسي يصحبه إغراق في احلام اليقظة، لأنها للطريق الوحيد للتخلص من صعوبات الدرس، وفي غالب حالات التأخر الدراسي نجد سلوكا يحتاج إلى اصلاح كالاستكانة، والاغراق في احلام اليقظة والشعور بالخجل والنقص.

وأحيانا نجد التلميذ يمارس عملا آخر يجد فيه بعض السلوى كالتدخين أو الاستمنااء أو متابعة المسائل الجنسية، وأحيانا أخرى نجد محاولات المساكسة أو التسلط أو كشف عيوب الناس أو الثورة على النظام وأحيانا نجد أنواعا من الحركات العصبية العامة أو الخاصة.

لذلك وجبت دراسة درجة ملائمة الدراسة للتلميذ من اول الأمر ؛ لا سيما أن التأخر للدراسي قد يكون قليلا في اول الأمر. ولكنه في العادة يتضخم اثره كلما تقدم الطفل في الدراسة، اذا هو لم يعالج. فاذا فرضنا أن تاخرا قليلا في فترة الطفل على المطالعة أو الحساب وجد في سن الثامنة، فإن اثر هذا التأخر يتضح ويزيد كلما تقدم الطفل في مرحلة التعليم الابتدائي، لأن الدراسات التالية تترتب عادة على ما يسبقها، ولذا يجب التيقظ - كما قلنا- لأي نوع من التأخر الدراسي تداركه من اول الأمر بطرق الفحص العلمية.

سابعا: المشكلات الجنسية

تظهر عند المراهقة نزعة لاختلاط البنين بعضهم ببعض، والبنات



بعضهن ببعض. ويحتقر البنون البنات لضعفهن، وتحتقر البنات البنين لخشونتهم وربما كان سبب هذا الانفصال حدثاً الإحساس الجنسي، وبدء النظر إلى الجنس الآخر نظرة جديدة تجعل كلا منهما حذراً من الآخر.

وفي سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة يبدأ كل من الجنسين يهتم بالآخر ويبحث عنه. ويسمى أنصار فرويد المرحلة التي يهتم فيها الفرد بأفرد جنسية (مرحلة الجنسية المثلية) (Homo-Sexuality) ومرحلة اهتمام الفرد بأفرد الجنس الآخر (مرحلة الجنسية الغيرية) (Hetro - Sexuality).

وبرى فرويد واتباعه أيضاً أن الطفل منذ بدء إدراكه لوالديه وبسبب اشتقاق كثير من لذاته عن طريق الرضاعة، واللمس والحمل، والربت، والدغدغة، يربط في ذهنه ولديه بهذه المواقف كمصانره للذة أو للحب، أو مصادرة لعدم اللذة، أو الكراهية. وتتأثر حسب رأي المحللين النفسيين من مثل هذه المواقف العقد باسم عقدة أوديب (Oedipus Complex) وعقدة الكترا (Electra Complex). وبرى فرويد أن هذه العقد طبيعية في نمو الأفراد بحكم الصلة بينهم وبين الوالدين. ومع أننا نعلم بأن علاقة الوالدين أنه بالأطفال، وأن هذا في نمو علاقتهم الجنسية المستقبلية، إلا أننا نرى أنه يمكن الاستغناء عن مثل هذه التفسيرات كما سنرى فيما بعد.

وكل ما يمكن أن يقال هو أن اللذة الذاتية موجودة منذ الطفولة، قد تمر اللذة، وقد تثبت متصلة بالنشاط الجنسي أو بمظاهر أخرى غير جنسية كالتدخين وما إليه. ثم يأتي نمو الذاتية أو الفردية ثم يتجه جل الاهتمام إلى كسب المعرفة وكسب المهارة التي تؤدي إلى حسن التعامل مع البيئة المادية والاجتماعية، ويدخل في هذه البيئة المحيطة بعض عجائب الطبيعة بما فيها من ظواهر النمو، والتوالد، والوظائف الجسمية المختلفة، وبدء المخلوقات، وتكوينها ونهايتها، وغير ذلك مما تتصل بالمسائل الجنسية اتصالاً وثيقاً. ثم

يأتي بعد ذلك دور المراقبة والبلوغ بما فيه من نزعات جنسية جديدة قد يكون الفرد مهيباً لمقابلتها عن طريق الخبرة السابقة بمعناها الواسع. وقد تأتي فجأة فتحدث صدمات نفسية عنيفة. ومما يزيد في اثر هذه الصدمات العوائق والتقاليد التي تقوم في وجه التعبير عن هذه النزعات.

بعض الحالات

ولأجل أن نفهم كيفية ظهور المشكلات الجنسية، نأخذ حالة شخص وصل إلى العقد الرابع من عمره. وتتلخص مشكلته في أنه لا يمكنه أن يجتمع اجتماعاً جنسياً طبيعياً بمن يتزوجها مما يؤدي عادة إلى الانفصال. هذا مع أنه يمكنه أداء هذه العملية بسهولة بسهولة مع المومسات، ولكنه حاول مع من تزوجهن فآخف أخفاقاً تاماً. ودراسة تاريخه وجد أنه ينحدر من أسرة محافظة متدينة، لا يشير إلى المسائل الجنسية أو ما حولها بأي إشارة، بل تستر هذه الموضوعات استتكار شديداً. نشأ الولد في هذا الجو، لا على احترام أمه فحسب، بل على ما يقرب من تقديسها، مما جعله يرى في زوجته صورة الأم التي بلغ من امر تقديسها أنها آخف مع زوجته أخفاقاً تاماً. ولكن كان يمكنه مع ذلك الاجتماع بالمومسات ولعل هذا لبعد الشبه في ذهنه بينهما وبين أمه. ومما زاد مشكلة الرجل أن نصحه أحد الناس في سن البلوغ المبكر بوجوب الاتصال الجنسي، حتى يقي نفسه شر الجنون، فاتصل بالمومسات، وبذلك كانت الصورة الأولى التي ارتبطت في ذهنه بالإشباع الجنسي هي صورة المومسات. ومما يؤيد هذا الاستنتاج أنه كان كثيراً ما يحلم بالليل أنه يجتمع اجتماعاً جنسياً بأمه أو بأخته أو بزوجته. وكانت تتحول في الحلم صورة من يجتمع بها أحياناً من الزوجة إلى الأم أو الأخت أو العكس. قد يدل هذا على شدة حب الولد لأمه وأخته واحترامه لهما، وعلى ادراكه لا شعورياً وجه الشبه بينهما وبين زوجته. وعلى ما يتمتع من الصلة الجنسية الناجحة مع زوجته التي تشق صورتها في ذهنه من أمه. ومما



زاد في تعقيد الحالة أن حدثت له وهو صغير خبرة جنسية مع ولد آخر في مثل سنة، وقد كان موقفه في هذه الخبرة سلبيًا غير إيجابي، وقد جعله هذا الأمر شديد الشغف في مستقبل حياته بإثبات رجولته مع الخوف من الاخفاق. وزاد الحالة تعقيدا فوق ذلك أن خطيبته الأولى لم تكن تميل إليه، وكان يعلم ذلك بنفسه ويشعر به شعورا واضحا.

وهذه حالة أخرى لفتى يدمن العادة السرية إيمانًا شديدًا، ولا يوفق في علاقاته الاجتماعية، ولا سيما حين يتحدث مع فتاة أي حديث ولو كان عاديا ليس وراءه أي مقصد سيئ. واتضح من دراسة حالته أن كانت له محاولات جنسية في سن السادسة مع صغار الفتيات بقصد اللعب والتجريب. وقوبلت محاولاته بالاشمئزاز والاستنكار والتعبير المستمر من الوالدين، فما عذبه شعور بالخطيئة، ترتب عليه في مستقبل حياته تشدد مع نفسه، وشعوره بحقارتها، واعتقاده باحتقار الناس له، وميله للابتعاد عنهم. ترتب عليه أيضا سلوك تعويضي فيه تصف في التكنين، والظنافة، والألفة لكنه كان في الوقت نفسه لا يقوى على مقاومة الرغبة الجنسية، فلا يجد وسيلة للتعبير عنها الا في الاستمئاء باليد. ويشعر الولد بالغيرة من ولده الذي تزوج بعد وفاة والدته بفتاة صغيرة السن، وكان الفتى إذ ذاك في أول دور المراقبة. والغيرة في هذه الحالة مكبوتة كبنتا تاما.

وحالة ثالثة لفتى شغل ذهنه ليل نهار بالمسائل الجنسية، يحلم بها في يقظته احلاما يقول أنها جميلة، فيبدر في عقله الحيل للوصول إلى الفتيات الجميلات، ويحلمن بهن في لثناء نومه احلاما مزعجة، تشمئز منها نفسه اشد الاشمئزاز. وكان لا يقوى على القيام بمحادثة ولو كانت بريئة مع أية فتاة، ولا يقوى على مناقشة أية مسألة جنسية مع أي إنسان. ومع شدة الاشمئزاز من المسائل الجنسية، واعتبارها مسائل قذرة، فإنه أحيانا يتكلم عنها كأنها امور شبه مقدسة، بل كأنها فوق البحث العلمي، وفوق المعرفة الصحيحة. وهو شديد الاحتقار لنفسه يرى أنها قذرة، وضيعة، رغم نضج عقليته، وإتقانه نظم الشعر

على الرغم من صغر سنه. مات أبوه وتركه صغيرا فعنيت امه به وباخوته
عناية وصلت بها إلى أقصى حدود التضحية. وترتب على ذلك أنها لم تترك
لهم صغيرة أو كبيرة يفكرون فيها بأنفسهم، مما جعلهم ملتصقين بها متعتمدين
عليها كل الاعتماد.

والأم تحزن أشد الحزن، بل يصيبها المرض أحيانا إذا خالف أحدهم
امرأها، أو حاول أن يثبت وجوده، كما يثبت الشبان وجودهم، مما جعل الفتى
واخوته يخضعون لأمرهم، يستسلمون لضعفها. وكان الأب رجلا ضعيفا من
الناحية الجنسية، وكان لهذا قاسيا مع الأم، والقسوة كثيرا ما تظهر للتعويض عن
ضعف جنسي. وكانت الكراهية بينهما مستحكمة، وكان ذا تاريخ طويل في
المسائل الجنسية لا يتسع له هذا المقام.

نشأ الولد كارها للمسائل الجنسية، يشمئز منها، محبا لأمه يعطف عليها،
ولكن يود التحرر من سلطانها، فلا يقوى، ومع ذلك كان أحيانا يتطلع للمسألة
الجنسية ويرأها مقدسة في نظره، ولعل ذلك لشعوره الغامض بارتباطها بأمه
وبوجوده. وأمه تتألف جدا من هذه المسائل. فعندما كانت تغسلهم وهم صغار،
وكانت تتناول كل جزء من أجزاء جسمهم، ولكنها حين تصل إلى الأجزاء
الأخرى والتناسلية تكف يدها وعليها علائم التأفف، فتأمر أولادها أن
يغسلوها بأيديهم.

كانت الأم شديدة المحافظة والمراقبة والدقة مع نفسها ومع أولادها. وقد
كان لها مع ذلك من صغر سنها، وجمال شكلها، ووفرة ذكائها ما يفسح لها
الفرصة في مجال الزواج، ولكنها كانت تقابل عروض الزواج برفض حاسم،
وكانت كذلك تقابل أية إشارة إلى أية مسألة جنسية من جانب أولادها بعاصفة من
الانفعال والمرض.

لهذا كله نشأ الولد متناقضا في الشعور إزاء المسائل الجنسية، فبينما تجده



يقس الأمور الجنسية ويحترمها احتراماً شديداً تجده يحترقها ويستنقذها. فحينما تجده مشغولاً بها منشغل الذهن ليل نهار باحلام وخيالات تتعلق بأشباع الناحية الجنسية، فهو يدبر في ذهنه الحيل لذلك، وحينما آخر تجده منصرفاً عنها يخافها وتتفرز نفسه منها، وهكذا تجده ممزق النفس في اتجاهات مختلفة، مما أنهك قواه وشئت مجهوده الذهني، وجعله متناقضاً في اتجاهاته وأفكاره وأقواله عصبياً مبغض الذهن على الرغم من شدة ارتفاع ذكائه.

هذا الولد مصاب بحالة قلق عصبي أساسها الحياة الجنسية في الأسرة، وأساسها موقف الأم من العالم الجنسي عامة، وهذا الموقف من شأنه أن يخيف الناس من العالم الجنسي، مع أنه عالم تنفع الطبيعة البشرية إلى دراسته وفحصه والوقوف على أسراره.

وهناك حالة لفتاة تجاوزت العقد الثاني من عمرها بدأت تعتكف ولا تتصل بالناس وتقضي وقتها في نوم وانقباض وشرود ذهني وبكاء. وكتبت كثيراً مما يجيش بصدرها من آمال والام في صورة شعر أو نثر.

ونعتقد أن أساس المشكلة هنا جنسي، إذ اتضح بدراسة الحالة أن بين الأم والأب شفاقاً مستمراً، مع تعاضد من ناحية الأم، وشعور من ناحيتها بسوء الطالع لتزوجها من رجل يعتبره أقل منها مكانة وثروة وعقلاً. وبذلك نشأت أمام البنت صورة لما قد تتوقعه في المستقبل من شقاء في الحياة الزوجية، إن هي تزوجت. يضاف إلى ذلك أن البنت تعطف على الأب، والأم تشعر بهذا مما ترتب عليه اضطهاد الأم للبنت. وللبنت اخت أخرى أصغر منها، مانعت الأسرة زواجها إلى أن تتزوج الكبرى، مما جعل البنت تشعر بخيبتها نحو اختها الصغرى، إذ أنها ترى نفسها عائقاً في سبيل زواجها. والبنت فوق ذلك على درجة كبيرة جداً من الذكاء، والنشاط، والحساسية، ولا تجد منفذاً لكل هذا لأنها تابعة في البيت ليل نهار، بحكم تقاليد الأسرة.

وخلاصة الحالة أن المستقبل الطبيعي للبنت -وهو الزواج- صار في نظرها بعيد التحقق، وأن تحقق فصورة زواج لها لا تغري البنت بتوقع الخير من زواجها. ومن ثم كانت لا تتوقع خيرا على أي حال.

وتتعدّد صورة الحالة النفسية هنا بالعلاقة المنزلية الداخلية بينها وبين والدين والأخوة، وبين أفراد الأسرة جميعا، والأسرة التي تنتمي إليها الأم، وتلك التي ينتمي إليها الأب إلى غير ذلك.

وفي عدد من الحالات نجد أن سبب الشنوذ الأصلي هو المثال الذي يكشف في الأب أو الأم أو كليهما، وقد يكون هذا المثال ظاهرا، لا حيلة للتخفي فيه، وقد تكون معه محاولة للتستر. لكنه يصل عادة، وعلى أي حال إلى علم الطفل، كما يصله عادة، في نفس الوقت تحذيرات وقبود شديدة مرتبطة بالمسألة الجنسية. ففي الأسرة التي يتصف أربابها بسوء السلوك، كثيرا ما يصحب سلوكهم محاولة تستر يشتد معها الأباء على الأبناء بدرجة غير عادية، مما يخلق صراعا نفسيا شديدا بين الرغبة في إشباع النزعة الغريزية التي تشجعها الأمثلة الواقعية، والخوف أو الاشمئزاز أو غير ذلك مما يفرسه الأباء أنفسهم. ومن ثم نجد تنبّها، وعدم استقرار في الاتجاه الجنسي، تصحبه نوبات من ممارسة العادة السرية، أو الاجتماع بالمومسات، أو الاجتماعات الجنسية الشاذة، أو ما يشبه ذلك. ويبحث الفتيان والفتيات عن اللذة الجنسية لشغفهم باستطلاعها، وقد تثبت لديهم بحكم الممارسة والتعود. ويبحث بعضهم عن الاتصال الجنسي الحاجة إلى العطف ولذا نرى من بعض الحالات أن تفكك روابط الأسرة عامل أساسي يتبعه أحيانا فقد الطفل لعطف أسرته. ويقع كثير من الفتيات في حبال الشبان، أن كن يعشن مثلا مع زوجات أبائهن أو أزواج أمهاتهن، إذ أن نفورهن من الجو الجاف أو القاسي يسهل لهن الوقوع في جو آخر يبدو أكثر عطفًا وأكثر حنوا. والعلاقة الجنسية يشعر فيها الشخص عادة بنوع من عطف الفاعل على



الأكل بنوع اللذة الجنسية يطغى على الأكم أو الشقاء النفسي^(١).

وكنا نجد في بعض الحالات طفلا ذكرا، وسيم الوجه، تعيش النفس- بسبب سوء معاملة والديه له، أو لجفا في جو المنزل، أو لتفكك الروابط العائلية بسبب التشاحن أو الطلاق أو غير ذلك- يقع فريسة لآخرين فيستغل استفلا جنسيا مفرطا. ونجد هذا أحيانا في المؤسسات التي يعيش فيها الناشئون بالقسم الداخلي. وهناك قد تتخذ المسألة الجنسية أداة للتخويف. ويقع بعض الأولاد فيها بسهولة جريا وراء العطف والحماية، أو هربا من التهديد بالضرب أو تشويه السمعة. ونعلم كذلك أن العلاقات الجنسية من نوع اللواط والسحاق وما يشبه ذلك، تكثر حين يكبر العائق بين اختلاط الجنسين، وتكثر كذلك حين توجد حاجة ملحة للعطف. ولعل هذا يفسر ما يحدث في السجون والملاجئ من اتصالات جنسية تقع عادة على مدى واسع.

نرى مما تقدم أن المشكلات الجنسية كغيرها من المشكلات توضع جل بذورها عادة من السنوات الأولى بسبب انعدام استقرار الجو المنزلي أو قلة استقرار العلاقات بين الوالدين وموقفهما من المسائل الجنسية ومقدار ما يوضع عليها من قيود غاشمة. ويتأثر السلوك الجنسي كذلك بالظروف الحالية والأمال المستقبلية، كما يتأثر بعوامل أخرى كامنّة في كل من الأسرة والمجتمع.

الاستمنا

ومن العادات التي يذعر لها الآباء والمدرسون ما يسمونه بالعادة السرية أو الاستمنا، وهذه العادة أكثر انتشارا بين المراهقين من البنين منها بين البنات. وتعلل (شرلوت بهلر)^(١) ذلك بأن الحاسة الجنسية عند البنين محلية

(١) يلاحظ أن فقد السعادة قد تعوضه سعادة أخرى كاللذة حسية. ولذلك يبحث تحيسو النفس أحيانا عن شرب الخمر، والإغراق في التخبين، أو الشره في الأكل، أو الاستمنا، أو غير ذلك من اللذات الحسية التعويضية التي سبق أن أشرنا إليها في الفصل الثالث عشر (ص ٢٧١).

ومركزها في الاعضاء التناسلية، ولكنها في البنات عامة موزعة على مساحة كبيرة من سطح الجسم.

وقد يبدأ اللعب بالاعضاء الجنسية في منى الطفولة الأولى عن طريق اللعب العادي أو الرغبة في الكشف العادي لأجزاء الجسم أو أي دافع سطحي بسيط. وقد يشق الطفل من هذه الملامسة لذة كما يشقها من أي جزء آخر من أجزاء جسمه، ولكن النتيجة أن يتجه ذهن الطفل إليه ويكسب في نظره أهمية بالغة، وذلك لما يظهره الوالدان امامه من علامات الانزعاج والتألم، والرغبة في الاستمرار في هذا النوع من اللعب.

وقد وصل المنع في إحدى الحالات إلى ربط يدي الطفل ورجليه إلى جانبي السرير حتى لا يحدث احتكاك من أي نوع. مما ركز اهتمام الطفل بأشد صورة ممكنة في العضو التناسلي وزاد من أهميته في نظره، مما وجه انتباه الطفل كذلك إلى قبح العضو، وقذارته، وارتباطه في ذهنه بارتباطات قد يكون لها أثر سيئ في مستقبل حياته.

ومما يساعد على تثبيت اللعب الجنسي عند صغار الأطفال عدم شعورهم بالسعادة لسبب من الاسباب، أو شعور عام غامض لديهم بحالة القلق وعدم الارتياح وحسرة الطفل على نفسه. وافراده تبعاً لذلك في تحصيل نوع من اللذة قد يكتشفه -كما قلنا- عن طريق الصدفة في أثناء اللعب وكشف العالم المحيط به وموقف الناشئ من اللذة الجنسية في هذه الحالات شبيه بما سبق أن ذكرناه عن الشره أو التدخين.. أو ما إلى ذلك.

ولذلك يجب العمل على أن ينشغل ذهن الطفل ببعض الميول واللهوايات العملية التي يشعر مع تحقيقها بالإنتاج الملموس. وبذلك يتجه إلى الابتداع والإنتاج والعمل اليدوي كمصدر للسرور، بدلا من أن يتجه إلى أجزاء جسمه



المختلفة كمصادر للذة أو لمجرد السلوى، كما يجب أن تراعى القواعد البسيطة التي قد تساعد الطفل على وقايته من الاستمنااء كاستماع الملابس، والنظافة المحلية، ومنع المهيجات بأنواعها المختلفة، والتمتع بالفسحة، والهواء الطلق، ومنع كل ما يترتب عليه الشعور بالخوم، والميل إلى النوم، وما إلى ذلك.

ويجب عند علاج الاستمنااء عند الاطفال أن نلاحظ أنه إذا كان يصاحبه انفعال واستغراق كان راسخا عميق الاصل، وإن كان لا يصاحبه انفعال واستغراق، فهو لعب عادي، بسيط سريع الزوال. ويراعى عند العلاج كذلك عدم تناول العرض الظاهري فقط، وإنما ينبغي تناول اسبابه، والظروف التي تساعد على ظهوره، فنغير منها حتى ينصرف للطفل عن هذه العادة. على أن جزءا من العلاج يتجه إلى الاعراض نفسها. فيمكن تشجيع الناشئ على الاقلال التدريجي من هذه العادة حتى تزول. ويمكن اقناع الناشئ بالسرور المترتب على النجاح في ضبط النفس.. إلى غير ذلك.

والاستمنااء في دور المراهقة عند البنين بنوع خاص وسيلة يتخلص بها المراهق من حالة التوتر النفسي الناشئ من النزعة للتعبير الجنسي وعدم القدرة على إشباعها. ويلاحظ أن أكثر الشيء ميلا إلى ممارسة العادة هم أكثرهم شقاء، وأكثرهم فراغا، وأكثرهم عجزا عن ملء فراغهم بإنتاج يجلب احترامهم لأنفسهم، واحترام غيرهم لهم. وقد لوحظ أن القردة نفسها لا تمارس الاستمنااء إلا في حالة الحبس وعدم توافر الفرص للنشاط الحر الواسع المدى.

والاستمنااء مضر ولا شك أننا نبالغ عادة في تصوير درجة اضراره بمن يمارسه مبالغة اثر ضرره في الناشئ اثر مضاعفا. وقد نسبوا في الماضي كل ضرر يمكن تصوره للاستمنااء، فنسبوا اليه السل، وفقر الدم، والجنون، وضعف البصر، وفقدان القوى الجنسية والأمراض الروماتزمية.. وغير ذلك.

وتنشأ بعض اضرار الاستمنااء نتيجة الشعور باللذة التي يكتسبها المراهق

من العملية نفسها، لا سيما حين يركن إليها لتخلصه مما يشعر من توتر جنسي ونفسي. ونتيجة سماعه السكبار يعلنون اضراره، ومخالفته للخلق والدين، وغير ذلك. فيحدث عند المراهق صراع بين الرغبة في الممارسة، وتأنيب الضمير، فيتكون عنده شعور بالخطيئة واحساس بحقارة نفسه، وقدراتها، وعدم لياقتها باحترامه، أو احترام غيره.

وتتكون إلى جانب هذا الشعور رغبة ملحة في الممارسة ممارسة يمزق نفسه ويشتت قواه في اتجاهات مختلفة لئلا يفتقد منها قوته البالغة. فالاتجاه الغريزة الجنسية قوة كبيرة، والاتجاه التقاليد والاخلاق وما إلى ذلك قوته البالغة.

ومن اضرار الاستمناء أنه ينشط افرازات الغدد التناسلية مما يزيد في الحاجة اليه بعد ممارسته، ومما يسهل تكون العادة، ورسوخها، فتصير مستندة - بجانب العوامل الاخرى- إلى حاجة فسيولوجية جسمية، يترتب عليها احتمال الافراط فيها، ويلاحظ أن وسيلة الاستمناء نفسها غير طبيعية من حيث الوضع العام، بل من حيث المثيرات المحلية، إذ أن درجة خشونة هذه المثيرات، ودرجة حرارتها، وشكلها عامة، تختلف عنها في المثيرات الطبيعية. وهذا يجعل من يمارس العادة السرية بكثرة قليل القدرة بعد زواجه على الاتصال الجنسي الطبيعي، وذلك لسبق تعود ممارسته المعسالة الجنسية في جو مختلف اختلافا جوهريا عن الجو الطبيعي، سواء في خصائصه المحلية أو العامة، وبذلك قد يكون إدمان الاستمناء في المراهقة سببا من اسباب عدم توافر السعادة الزوجية في المستقبل. ومع ذلك كله فإنه سبب يمكن لزالته، وتمكن معالجته.

ويغري إلى الاستمناء أنه اسهل الطرق لمواجهة الصعوبات الجنسية الذاتية وكثرة الالتجاء اليه تؤدي إلى الاكتفاء به، والشعور بالاكتفاء بالذات لتحقيق المذات. وهذا يجعل للنشء بعد اكتمال نموه اقل جرأة على الاتصال بالجنس الاخر، والميل إلى العزلة، والابتعاد، والسلبية، والميل إلى اتباع اسهل

الطرق لإشباع اللذة الجنسية، بدلا من الطرق الطبيعية التي تتطلب جرأة، ومخاطرة، وعملًا إيجابيًا. والذين يميلون للاستمتاع الميل للاتصاف بغالب خصائص الانطواء النفسي.

وبالإضافة إلى ما ذكرنا من أسباب للاستمتاع، فأنتنا نؤكد أنه مظهر لاسلوب عام للسلوك، ظهر نتيجة المعاملة الأولى، فإذا تذكرنا أن الاستمتاع هو اتباع اسهل الطرق واقصرها لإشباع اللذة الجنسية الملحة، التي لا يقوى المراهق على مقاومتها، وحرمان نفسه منها.

تذكرنا ايضا أنه قد يكون نتيجة لأن ظروفه الأولى كانت تشبع فيها كل ملذاته دون أي عائق، أو لأنه كان محروما فتما مشغوقا بنوع من اللذة يسعى وراء البحث عنه بأية طريقة، أو لأنه كان يعامل بقسوة جعلته ينمو جبانًا، قليل الجرأة، يتبع اسهل الطرق لتحقيق رغبته، أو لأي عامل اخر يترتب عليه الشعور بالشقاء وفقدان الأمن. وعلى العموم فالاستمتاع -كأية مشكلة أخرى- لا يظهر قائما بذاته. وإنما هو جزء من اسلوب السلوك العام، ولا يجوز أن يعالج بمفرده، وإنما يعالج تبعًا لمعالجة الشخصية كلها.

تلخيص المشكلات الجنسية وأسبابها

يتبين من كل ما تقدم أن المشكلات الجنسية بأنواعها المختلفة، مرتبطة بنمو للفرد، وعلاقته ببيئته الأولى، وخبراته المشتقة من هذه البيئة اذ يقف الطفل غالبا في أول حياته من اعضائه التناسلية موقفا بريئا، ولكن الآباء قد يكون عندهم اتجاه الاستقذار، والخوف، والشعور بالجرم نحو اللعب الجنسي العرضي، فيتأثر الأبناء بذلك في الاتجاه غير الصحي.

وقد يحدث تثبيت على الأب، أو الأم بسبب التلذذ، وميل الآباء أو الأمهات إلى حمل الاطفال ولمسهم والتمسح فيهم والاسراف في تقبيلهم وضمهم

اليهم بشره، اشتقاق اللذة من هذا كله، مما يثير الاطفال ويجعلهم ميالين أحيانا إلى اشتقاق اللذة من اللمس وما اليه. مما قد يترتب عليه- كما قلنا- تثبيت على الأم أو الأب، فيترتب عليه انحراف في الاتجاه الجنسي، وهذا أحدث التفسيرات التي تعطي لتكوين الاساس للنزعة الجنسية المثلية (Homosexuality)، أو التعبيرات الشاذة للنزعة الجنسية الغريبة (Heterosexuality).

واما اهمال الاطفال، وعدم إشباع حاجاتهم الطبيعية إلى العطف، فقد يترتب عليه رغبة الطفل في الانتقام والإيذاء، حتى يشعر الناس بوجوده. وهذا احد الآراء التي تعطي لتفسير نزعة التعذيب أو السادية (Sadism) وقد يفضل الطفل المهمل في بعض الأحيان أن يضرب ويؤذى، لأن الضرب والإيذاء في نظره مصدر للذة لأنه نوع من الاعتراف بوجوده. وهذا احد تفسيرات ظهور الميل إلى حب العذاب أو إيذاء الذات أو الماسوكية (Masochism) وقد تتخذ السادية عند اكتمال النمو ميلا إلى إيذاء المحبوب وضربه، حتى يتم الاستمتاع الجنسي، اما الماسوكية فقد تتخذ عند اكتمال النمو اتجاهها إلى أن يضرب الشخص ويعذب من محبوبه، حتى يتم الاستمتاع الجنسي. ولا يمكننا أن ندعي أن هذا حصر للمشكلات الجنسية، فهناك البرود الجنسي، والفوران الجنسي، والاستهتار والاستسلام الجنسيان، والبغاء، والتصرف الجنسي المصحوب بجرائم^(١)، وغير ذلك مما لا يسهل حصره في صفحات قليلة كهذه.

وقد لاحظنا في دراسة حالات البغاء الجنسي بأنواعه أنها ترتبط بالانحطاط النفسي المعنوي. وهذا الأخير قد ينشأ عن فقدان العطف الناشئ عن انحلال الأسرة أو ما يشبهه.

فالمشكلات الجنسية كغيرها من المشكلات — التي سبق للكلام عنها —

J. Paul De River : The Sexual Criminal. ^(١)



تنشأ عن طريق التربية الأولى للطفل وصلته بمجال حياته في مختلف ادوارها.
فمن طريق التربية الأولى، ومركز الفرد في مجال حياته، والتغيرات
الطارئة على هذا المركز تتكون عند الطفل اتجاهات نفسية عامة تتخصص بفعل
الظروف الحالية من استثارة وتقليد، وفعل الحالة الجسمية والمزاجية، وما إلى
ذلك. ولعل ما تقدم كله يدلنا على شدة الحاجة إلى دراسة التربية الجنسية.

التربية الجنسية

ولا يفكر الناس عادة في أن هناك مشكلة جنسية يمكن أن تحل عن أي
طريق منظما كان أم غير منظم، مقصوداً. ويرى البعض الآخر أن يتركوا
أولادهم يتعلمون ما يتعلمونه من المسائل الجنسية بأنفسهم، فيرون الا يكون هناك
جهد إيجابي من ناحيتهم كآباء أو معلمين أو مرشدين في هذا الاتجاه. ويرى
آخرون الا يتركوا هذه المسائل للطبيعة بل يرون وجوب الحيلولة بين الناس،
وكل ما يمكن أن يوحى بالمعرفة عن المسائل الجنسية، فلا يصح أن يرى ما
يحدث مثلاً بين الحيوان من اجتماع جنسي وبذلك تصير المسائل الجنسية في
نظر الطفل سراً شائناً، ولغزاً مغلقاً. وقد يبقى جاهلاً بكل ما فيه إلى أن تتدفق
فيه الأحاسيس الجنسية فجأة تدفقاً عنيفاً، وإلى أن تظهر عليه علامات البلوغ
الظاهرة، مما قد يزعجه ويزيد من تثبته عن المعرفة أو التوجيه. ويترب
على هذا التدفق الجنسي المصحوب بالجهل والخوف، وبالشعور بالقذارة اغلب
المشكلات الجنسية المعروفة في دورى المراهقة والبلوغ. وفي الحياة الزوجية
يترب عليه غالب أنواع الشقاء الزوجي. وتترتب عليه أيضاً مشكلات أخرى
تظهر نتيجة لتعدد المشكلة الجنسية، كجنون التدين وحالات (السيكاسينيا)
وكانت تسمى إلى عهد قريب (بالنيوراسينيا)، و(الهستريا) (الملائكوليا)
وغير ذلك.

بضاف إلى ما تقدم تطور المدينة في الاتجاه الذي نألفه يزيد في الضغط والتقييد والاستثارة في نفس الوقت لنشاط الناشئين من الناحية الجنسية. وهذا يجعل الموقف مليئا بالصعوبات التي تلح في طلب الحل في اتجاه التربية الجنسية.

ويقصد بالتربية الجنسية اعطاء الخبرة الصالحة التي تؤهله لحسن التكيف في المواقف الجنسية في مستقبل حياته. ويترتب على اعطاء هذه الخبرة أن يكسب الطفل اتجاهها صالحا ازاء المسائل الجنسية والتناسلية.

ومن الواضح أن تكوين الاتجاه العقلي لا يقتصر على إعطاء المعلومات والتفسيرات التي تنير هذا الميدان أمام الناشئ. فالمعلومات الجنسية بمفردها غير كافية لتكوين هذا الاتجاه العقلي الذي لا ينمو الا عن طريق الاحتكاك المستمر بين الناشئ، وبينته الاجتماعية من آباء ومعلمين وزملاء من الجنسين كذلك لابد من كسب خبرة مشابهة عن طريق الملاحظة الحسية وغير الحسية لحياة النبات وحياة الحيوان بأنواعها المختلفة^(١).

هذا الاحتكاك المستمر يؤدي إلى كسب المعرفة بنوع خاص، ويؤدي بوجه أوسع إلى كسب الاتجاه العقلي، ولذا كان من الضروري الاعتماد على التعليم والتقليد والإيحاء والتوجيه.

ولهذا كله وجب أن نضع في متناول الطفل مصادر الخبرة الشخصية، وأن نتصف - نحن الآباء والمعلمين - بالاتجاه العقلي الصالح الذي نرغب في أن يكسبه الطفل منا عن طريق الامتصاص أو التقليد والإيحاء. ووجب كذلك أن نستنتج أن التربية الجنسية أوسع بكثير من التعليم الجنسي وأنها لا تقتصر على من معينة بل تبدأ من السنوات الأولى في حياة الطفل.

(١) انظر (لمسة لحياة في جميع الاحياء) للدكتور القوسي والدكتور طنطاوي .

موقف الطفل من المسائل الجنسية

ويجب أن يكون موقف الطفل الأول من المسائل الجنسية كموقفه من جميع المسائل الأخرى. والطفل لحدائته في هذا العالم، ولضرورة حسن تكيفه معه، لابد يكسب خبرة عن البيئة المحيطة به، فيفحص الأشياء، ويلعب بها، ويشق منها خبرة واسعة، وبمجرد نمو قدرته اللغوية يكمل وسائل بحثه بالأسئلة التي يوجهها لمن حوله عامة، ولوالديه بنوع خاص، وهو يثق عادة في قدرة والديه وصدقهما ثقة مطلقة.

ومما يتجه إليه ميله للبحث، وشغفه لاستطلاع جسمه، فكما يضع يده في فمه، وكما يعض أصبع رجله وهو مستلق على ظهره، قد تمتد يده إلى بقية أجزاء جسمه ومن بينها أعضاؤه التناسلية والأخراجية، لذا كان للعب في الأجزاء التناسلية عند الأطفال في غالب الأحيان كأي نوع من أنواع اللعب ولا سيما إن كان مجردا من حالة الانفعال والاستغراق الشديدين اللذين يحدثان نادرا.

وحين يتقدم الطفل في السن، يبدأ يلاحظ الفروق بين مختلف الناس من ذكور وإناث ومن كبار وصغار، ومن إنسان وحيوان، كما يلاحظ ويدقق في الفحص عن أوجه الشبه والفروق، فيسال أسئلة تتعلق بمنشأه، ومنشأ أخوته، ومنشأ والديه، وغير ذلك من الأسئلة الكثيرة. وميل الطفل لاستطلاع المسائل الجنسية ميل نقي يتجه إلى المعرفة الخاصة. وقد قال (برترند رسل)^(١) في هذا الصدد: أن هذا الميل للاستطلاع الجنسي ليس له لون أو طابع معين في دور الطفولة الأولى ولكنه جزء من الميل للاستطلاع العام الذي يتصف به الطفل. وقالت (الدكتورة لوراهاتون)^(٢) في هذا أيضا: أن الاستطلاع الجنسي وللعب يتخذان صورة الاتجاه العام للكشف أو النزوع للمخاطرة. ويجب معاملة اللعب

B. Russell : On Education (١)

L. Hutton : Co education , British Journal of Medical Psychology , Vol IX (٢)

الجنسي على أنه لعب، لا على أنه سلوك سيئ، لا سيما أنه يحدث مجردا عن الإنفعال الجنسي. وإنما يعقد الموقف ويخلق الإنفعال تدخل الكبار وموقفهم تجاه هذه المسائل. ومن ثم يبدي الطفل زيادة الشغف بالبحث عن طريق الخبرة الحسية وعن طريق الأسئلة عن هذا العالم الذي يقع كله في خبرته بينة موحدة الأجزاء، لا فرق فيها بين المسائل الجنسية وغير الجنسية. ويدهش بالطبع أن بعض هذه الأسئلة يجد صدراً رحباً من والدين ويجد بعضها الآخر سخرياً أو غضباً أو صمتاً أو تحرجاً أو انفعالا من أي نوع، مما يوحى إلى الطفل بغرابة المسائل الجنسية واختلافها بصورة جوهرية عن غيرها من المسائل.

وقد قام الباحثون المختلفون أمثال (بياجيه piaget)، وغيره ببحث أسئلة الأطفال فوجدوا أنهم يسألون من تلقاء أنفسهم قبل سن التاسعة أسئلة تبين الاهتمام بالأجزاء الجسميّة ووظائفها، وبالأعضاء التناسليّة والفرق بينها ووظائفها، والاهتمام بالعمليات الخارجيّة وبأصل الحياة وعمليات النمو، والفرق بين الصغار والكبار، والذكور والإناث، والإنسان والحيوان من حيث تركيب الجسم وحكمة الفروق، وأوجه الشبه، وغير ذلك. ويسأل الأطفال أسئلة من النوع الآتي:

من أين يأتي الأطفال؟ ولماذا كان لأمه ثدي، وليس له مثله؟ وعندما تكبر البنات لتصل إلى سن أمها كيف يكون ذلك شكل الأم وحجمها ؟
وعندما كانت الأم صغيرة مثله، فأين كان هو نفسه وكيف ولدت أمه؟
وتسأل البنات هل سيكون لها شارب مثل أبيها ؟ ولم لا ؟

ويرى كثير من الباحثين مثل (الدكتور هتشنسون)، و (برتراندرسل) أن عبء التربية الجنسية يجب أن يقوم به الآباء. ويرى (رسل) وغيره فوق ذلك أن محور التربية الجنسية هو الإجابة للصريحة عن أسئلة الطفل، والاتجاه العلمي الخاص للهادئ عند الاستماع لها، والإجابة عنها.

موقف الآباء من الاطفال في المسائل الجنسية

نعلم أن الأبناء يمتصون الاتجاهات من آباءهم عن طريق الإيحاء، والأم بحكم كثرة تعاملها مع الطفل لابد من أن يكون نشاط الاعضاء التناسلية والاخراجية ميدانا لهذا التعامل. فإذا كانت تظهر اشمئزها الشديد عند غسل ابنها أو مسحه، أو توقع عليه عقوبة شديدة إذا حاول أن يراها عارية، فإن هذا يوحى إليه بما يجب عليه اتخاذه إزاء المسائل الجنسية من تحرز وشمئزاز. وإذا رأى التجهم، والصمت، والتحرج إن سأل أي سؤال يتعلق بالناحية الجنسية، فإنه قد يتجه إلى كتمان كل ما يجيش بخاطره عنها. والطفل في كل هذا ربما لا يدرك الفروق الدقيقة بين مواقف والديه إزاء المسائل الجنسية وموقفهما إزاء المسائل غير الجنسية، ولكنه مع ذلك يتأثر بهذه الفروق مهما كانت دقيقة.

ويتربن على ذلك أن يزداد شغف الطفل بالمسائل الجنسية، ويشعر بأهميتها، وضرورة الاندفاع لبحثها، كما يشعر في الوقت نفسه بأنها تتصف بكثير مما يتصل بالجرم والخطيئة والقذارة والخوف. يضاف إلى كل ذلك أنه يعلم بطريقة ضمنية أو صريحة ما يحدث بين والديه، كما يعلم أن المسائل الجنسية هي التي أدت إلى وجوده في الكون، وبذلك يقع بين امرين: أحدهما شدة الشغف بامر تدل كل الدلائل على أنه مهم شائق مرغوب فيه.

وتنشأ أهميته بسبب ارتباطه بلغز الوجود، وبسر العلاقة بين والديه، وبما يحاط به من الخوف والتستر. وثاني هذين الأمرين أن المسألة الجنسية التي يشغف بالبحث عنها مسألة شبه إجرامية فطرة مخيفة شائنة وبذلك تصبح المسألة الجنسية في نفسه سرا هاما، لذيقا، قذرا، شائنا، وتبقى بسبب ذلك مصدرا للتناقض في الاتجاهات النفسية.

ولعل هذا يبلنا على ما يجب أن يكون عليه موقف الآباء إزاء الاعضاء

التناسلية والاخراجية والمسائل الجنسية. ومن ثم يكون موقفا طبيعيا هادئا، مجردا من الانفعال ما امكن، وبذلك لا يوحى سلوك الوالدين بما يجعل من العسير على الطفل أن يحقق نزعاته الجنسية تحقيقا تحفه السعادة عندما يكبر. ويجب على الآباء ايضا أن يعنوا بالاثار والخبرات الجنسية الأولى للطفل لتكون صحية وصحيحة ما امكن.

كما يجب عليهم ايضا أن يشبعوا شغف الطفل بالاستطلاع أولا بأول، اذ أن هذا الإشباع مما يهدئ من حدة الشغف، ومما يضمن حصوله على معلوماته واتجاهاته العقلية من مصادر طبية.

ولأن لم يشبع الطفل هذا الشغف - كما ذكرنا- فقد يحصل على معلوماته من زملائه أو من الخدم أو السوق والاشرار.

وواجب الآباء أن يجيبوا عن اسئلة الاطفال اجابة صريحة صحيحة، هادئة تلونها الروح العلمية للخالصة، وأن يجيبوا عن هذه الاسئلة بما يلائم مقدرة الطفل على فهم الاجابات.

ويجب أن يكون موقف الآباء من اسئلة الاطفال، ولعبهم وشغفهم بالاستطلاع موقفا ثابتا، سواء اكانت هذه الاسئلة متصلة بالعالم المادي أو الاجتماعي، ام كانت تقتصل بجسمه واجزائه، ووظائفه، وخصائصه، والفروق بين جسمه من هذه النواحي واجسام غيره من الإنسان والحيوان.

ويرى البعض أن الفيلسوف العالمي (برتراند رسل)^(١) قد تطرف في راية حيث قال: إنه يجب أن يسمح للطفل من أول الأمر أن يرى والديه واخوته واخوانه عراة كلما حدث ذلك بصورة طبيعية اعتيادية غير مقصودة. ولا يجوز أن يكون هناك اظهار للتحرج ازاء رؤيتهم عارين.

لأنه يكفي أن يعلم الطفل بعد ذلك من ملاحظة ما يجرى من اداب أن



التمسّ امر واجب. يترتب على ذلك - في نظره- أن يكشف الطفل في الحال للفروق بين امه وابيه، ويوازن بينهما، ويعرف كذلك الفروق بين الاخوة الذكور والاخوات والإناث. وسواء لكنا نولفّق على هذا للرأي ام لا نوافق فإن (رسل) يرى أنه متى كشف الموضوع إلى هذا الحد فإنه يفقد قيمته كموضوع يشغل الطفل بالبحث فيه. ومثل السر المعروف في ذلك مثل الصندوق المفتوح لا يسترعي انتباهها ولا يغري بالفحص. وكل سؤال يتقدّم به الطفل في هذا الدور (السنوات الأولى) يلزم أن يجاب عنه بما يلائمه؛ كما يجاب عن أي سؤال يرتبط بأي موضوع آخر.

ويخطئ الآباء حين يلتزمون الصمت ازاء اسئلة ابنائهم، لأن الصمت ليست له نتائج سلبية فحسب، بل إنه يوحي بافكار ايجابية، تتضمن خطورة الموضوع، ووجوب معاملته كسر شأن. لذا كان الصمت مؤدياً إلى نفور الأبناء، وإلى بحثهم عن المعرفة من مصادر غير مرغوب فيها اطلاقاً كالخدم مثلاً.

التربية الجنسية للآباء

يتبين مما تقدم أن من أولى الواجبات أن يتربى الآباء التربية الجنسية الصالحة. وقد قامت (مسز جرينبرج)^(١) بهذه التجربة في امريكا منذ أكثر من ثلاثين سنة. وهي ترى أن الآباء - بحكم تأثيرهم الأول والمستمر على الطفل من جميع نواحيه - لهم أهمية خاصة من حيث وظيفتهم في التربية الجنسية للأطفال. ومن رأيها أنه ليس من الضروري أن يصل الآباء إلى نهاية المعرفة والخبرة الفنية في التربية الجنسية، اذ يكفي أن يتمكنوا من معالجة المسائل الاساسية الأولى. وطريقة تربية الآباء تربية جنسية، هي اشتراكهم في حلقات للدراسة الجمعية، واستماعهم لاحاديث المتخصصين، واعطاؤهم فرصة المناقشة،

Gruenberg : Discussing the Work of the Home : Towards A New Education (١)
(N.E.F.P).

وتبادل الرأي والخبرة، مما له اثر من حيث التنوير ومن حيث تهدئة الحالة النفسية. وللمناقشات أثرها للقيم بالنسبة للأباء الذين يمنعهم التردد والخجل عادة عن المناقشة الحرة الصريحة، اذ يجرون -تحت ظروف حلقات الدراسة الجمعية- على التكلم والمناقشة مما يساعد على تخليصهم من كثير من النزعات المكبوتة، ولو تخليصا جزئيا. وترمي هذه الحلقات ايضا للوصول إلى سلوك جنسي طيب قد يؤدي إلى توطيد دعائم السعادة الزوجية. ولابد من أن يتوافر في محيط الطفل لزاء الأمور الجنسية مستوى راق وجو يشعره بالسعادة الزوجية، كي يتكون لديه جنس صحيح.

ويتلخص برنامج التربية الجنسية بالنسبة للأباء، في درسم المبادئ الأولية، للتشريح وعلم الحياة، واسس الصحة الجنسية، والفروق الفردية بين الذكور والإناث في مراحل النمو المختلفة، والخصائص العقلية والجسمية للطفل في مراحل النمو المختلفة، وما يجب اتخاذه لزاء نزعات الطفل، وجوب معاملة هذه النزعات كلها -ومنهما النزعة الجنسية- على قدم المساواة، ومراعاة أن النزوع الجنسي ليس في ذاته شرا أو خيرا؛ إنما الخير والشر في طريقة توجيهه واساليب ممارسته. كذلك عليهم أن يعلموا شيئا عن التربية الخلقية والاجتماعية، وحكمة التشريع، والتقاليد، والاداب الزوجية والتاسلية، وأن يعرفوا اسس الاجابة عن اسئلة الاطفال والمراهقين والبالغين، وأن الاساس في التربية الجنسية هو الموقف العلمي المستقر الهادئ الخالي من الخوف من جانب الآباء.

وقد وجدت مسز (جرينبرج)^(١) أن هذه الدراسات والمناقشات الجمعية تخلق بالفعل الاتجاه الوجداني والعلمي الصحيح في الآباء، ولها بالتالي أثرها في الأبناء.

Gruenberg : Guidance of Childhood and Youth. (١)

قواعد عامة للتربية الجنسية:

وهناك اسئلة عديدة تتعلق بالتربية الجنسية يمكن أن نلخص اهم اتجاهاتها فيما يأتي:

١. هل تترك التربية الجنسية لمحض الصدفة ؟ أم يبذل في اتجاه تحقيقها جهد مقصود؟

٢. هل يقوم بها الوالدان أم الاطباء أم المدرسون ؟

٣. واذا قام بها المدرسون مثلا فهل تعطى بطرق فردية أم بطرق جمعية ؟

٤. هل تعطى للتعاليم الجنسية قائمة بذاتها مستقلة عن كل ما حولها أم تعطى جزءا من معلومات اخرى ؟

٥. في أي من تبدأ التربية الجنسية ؟

وقد سبق أن اجبنا عن بعض هذه الاسئلة في ثنايا ما تقدم، وقررنا الا نترك التربية الجنسية للصدفة، لأن المسائل الجنسية شائقة وهامة، ويسعى الطفل إلى معرفتها -إن اخفيت عنه- من الخدم وللزملاء.

ويحتمل أن يقدم له هؤلاء معلومات خاطئة، ملونة بلون مثير على غير الصورة التي نتوخاها. ويتلذذ عادة بعض الاطفال من تعليم من يجهلون من زملائهم شيئا عن هذا السر. ونظرا لأنه سر شائن، فهم يعلمونهم لياه بشيء من التكتم، مما يزيد الأمر خطورة في نظرهم. والطفل الذي يقف موقف المعلم، يستعمل سيطرته؛ فيلجأ إلى وسائل التعذيب العقلي والمنع والتكبر والترفع والمبالغة والاختلاق وغير ذلك. ويمهد أحيانا بعض الاطفال المرافقين لبعضهم الآخر فرصة للحصول على خبرة جنسية حقيقية، تحت ظروف تترك عادة لسوا الآثار النفسية وراءها.

ونظرا لمعاملة الزملاء للمسائل الجنسية كأنها سر عظيم فإنهم يميلون

إلى للتندر بها في اشاراتهم، واحاديثهم، ونكاتهم، ورسومهم في دورات المياه، وغير ذلك.

لهذا يجب أن نعمل على اعطاء المعلومات بطريقة صحيحة في المنزل والمدرسة، وأن تعطى بحيث لا تصبح سرائنا، أو لفزا عظيم الشأن.

وقد اختلف الباحثون في كيفية اعطاء هذه المعلومات؛ اتعطى بطريقة فردية ام جمعية ؟ وإن كان بعض ائمة علماء النفس، امثال (شتيكل^(١) Stekel)

وغيره يرون الاقتصار على الطريقة الفردية. قال (شتيكل) في هذا الصدد: إن التعليم الجامعي في المدارس بسبب مشكلات نفسية عديدة (Enlightenment en nasse in schools , starts countless traumas) ولكن مع ذلك يتجه غالب الرأي الآن نحو التعليم للجامعي، مع اعطاء الفرصة لاجابة الافراد عن مشكلاتهم في جلسات فردية خاصة، إن هم ارادوا ذلك.

والذين لا يرضون عن التعليم الجامعي يقولون: إن التلاميذ ليس لديهم الاستعداد للاستفادة في وقت واحد من هذا التعليم، ويقولون: أن لكل تلميذ تاريخه الخاص وخبرته ومشكلاته الخاصة. ويرى بعض هؤلاء أن من مآخذ الطريقة الجمعية أنها تقلل من قدسية الموضوع، وتسهل التحدث فيه.

غير أن التعليم الجمعي يتميز عن الفردي في ناحية هامة: فالطفل الخجول قد يقل خجله في حالة التعليم الجمعي، حين يرى زميلا له يسأل سؤالا، فيجيب عنه اجابة علمية خالية من التخرج. ولا يحتمل أن يحدث هذا في الجلسة الانفرادية. وإذا كان الطفل تلميذا في مدرسة، فقد تتأثر نفسه اذا استثناء معلمه بهذا التعليم الفردي. يضاف إلى ذلك أن التعليم الفردي قد يشعر بأن الموضوع على درجة كبيرة من الخطورة، ولهذا اثر سيئ محتمل الوقوع. وكانت الاسر في لنجلترا وأوروبا تلجا إلى طبيب العائلة لكي يعطى



الناس ما يلزمه من استتارة جنسية. وفي هذا خطر كبير لأن الطبيب -إن توافرات لديه المعرفة- قد لا تتوافر لديه اساليب للشرح والتوضيح.

ثم إن الطفل ربما ينظر إلى الموضوع على أنه مرض أصيب به، وربما ينظر إليه كامر غاية في الخطورة؛ لما يرى في عيادات الاطباء من الات، وادوات، وغير ذلك.

وبالإضافة إلى كل هذا، يمكن الطبيب عادة أن يوفر الوقت الكافي للناس في موضوع واسع متشعب النواحي كهذا. والاتجاه إلى هذا الرأي يحرم الطفل عادة من فرص استغلال التعليم الهادئ البطني، الذي كان يجب أن يبدأ قبل ذلك بمدة طويلة ليستمر سنوات. ويوجه هذا الرأي جو الاسرة إلى زيادة التكتم، وتحويل المسؤولية من أنفسهم إلى الطبيب نفسه. وهذا الاتجاه- وإن ظهر في أوروبا من زمن بعيد- في سبيله الآن إلى الزوال لعدم صلاحيته.

ويتضح من كل ما تقدم، أن التربية الجنسية يجب أن تبدأ في المنزل وتستمر في المدرسة وتؤدي بالاساليب الجمعية والفردية وبالروح العلمية الصحيحة الهادئة، ويتفق الرأي على أن تعطى المعلومات الجنسية لا كمعلومات أو دراسات مقتطعة، قائمة بذاتها، وإنما تعطى كأجزاء متناسقة ومتكاملة مع دراسات اخرى. وقد قال في هذا الصدد (الدكتور اندسون) رئيس لجنة الصحة المدرسية في الولايات المتحدة: إن الخبرات الطويلة قد دلت على أن الدراسات الجنسية القائمة بذاتها تفصل المعلومات الجنسية عن غيرها من المعلومات وتحملها شحنة انفعالية كبيرة تجعل من الصعب هضمها وتمثيلها في السلوك اليومي للطفل^(١).

(١) Long and varied experience of schools has demonstrated that the so called Sex Courses tend to isolate and emotionalise materials, making it difficult to

ولذلك وجب أن تعطى الدراسات الجنسية بالمدرسة ضمن دروس مشاهدة الطبيعة وعلم الاحياء، والصحة والتشريح. وفي السنوات المتأخرة تعطى الأمراض السرية، والصحة الاجتماعية، والأخلاق التناسلية، والجنسية وحكمة التشريع الاجتماعي للزواج، وقواعد تكوين الأسرة تكويناً صحيحاً.

أما عن سن بدء التربية الجنسية فلا شك في أنه يجب أن يبدأ منذ السنة الأولى بتكوين اتجاه عام للطفل إزاء المسائل الجنسية. وعندما يبدأ الطفل استلته، يلزم أن يجاب عنها في حينها بما يلائم مقتدرته على الفهم.

ويجب على الموم أن يلم كل ناشئ نكراً كان أم أنثى، قبل سن المراهقة بجميع المعلومات الأساسية في هذا الموضوع، إذ لا تكون الحالة الانفعالية بعد هذه السن ملائمة. لقبول المعلومات بسهولة. ويجب أن تعطى الخبرة والمعلومات في كل مرحلة بالطريقة التي تلائمها. وإن كان غالب الباحثين لا يحدد سناً معينة يتم قبلها الإلمام بالتعاليم الجنسية، غير أن جميعهم ينصحون بعدم التأخر إلى بدء المراهقة، وبوجوب البدء المبكر متى جاءت الفرصة. بل يرى (رسل) وجوب إعطاء للطفل جميع المعلومات اللازمة قبل سن العاشرة، حتى أن كان غير شاعر بالحاجة إلى الاستفسار عنها من غيره.

بعض المحاولات في التربية الجنسية

رأيت بعض الهيئات العلمية والتعليمية في إنجلترا وأمريكا على نشر ما يجب اتباعه إزاء التربية الجنسية، ومن هذه نشرة قامت بإعدادها (الدكتورة بياتريس وب) للمجلس البريطاني للصحة الاجتماعية، ومن رأيها أن مهمة شرح المعلومات الجنسية ينبغي أن تقع كلها على عاتق الأم، على أن يساعدها الأب في هذه السبيل. ولا يجوز أن يوكل إلى الطبيب شأن هذا العمل.

incorporate them into the everyday conduct of the child)). New Education Fellowship ; Towards A New Education



غير أن المدرس يمكنه أيضا أن يتولا بعد الاتفاق مع الوالدين. وترى أن يبدأ التعليم الجنسي بالرد على الأسئلة التي يوجهها الطفل، ويحسن التفكير بالرد ما أمكن ذلك. ويجب أن تشمل المعلومات التي تعطى له حقائق عن التلقيح في النبات والحيوان، وبعض الحقائق عن التغييرات التي تحدث في النمو، وبعض قواعد الصحة العامة، والأخلاق والتقاليد المتعلقة بالجنس والتناسل، وحكمة هذه الأخلاق والتقاليد. وبينت المؤلفة، ما سبق أن بيناء، فقالت: ان الموضوع لا يجوز أن يعامل كلفز، ولا يجوز أن نعتبر أنه لا يهم الأطفال إلا بعد وصولهم إلى المرحلة التي يحتاجون فيها للنساجية الجنسية احتياطا مباشرا، إذ أن ترك الطفل إلى ذلك الوقت المتأخر يوقعه في يد من يتطوعون لاعطائه معلومات وخبرات مشوهة.

واهم ما يراعى عند اعطاء التعاليم الجنسية - في نظرها - هو الاتجاه العقلي العام للوالد أو المدرس وإيجاد رأي عام نحو هذه المسائل^(١). وقد قامت هيئة المؤتمر السنوي للصحة الاجتماعية بأمريكا بنشر ما قررت أنه النقاط المتفق عليها نهائيا في التربية من حيث الصحة الاجتماعية ونلخص اهم هذه النقاط - كما أو ردها (جرينبرج) - فيما يأتي:

١- يقصد بالتربية الجنسية جميع المسائل التربوية التي يترتب عليها اعداد الناشئين لمقابلة جميع مشكلات الحياة التي يكون مركزها الغريزة الجنسية، والتي تظهر بصورة من الصور في خبرة كل انسان عادي. وتشمل هذه المشكلات مدى واسعا من خبرة الإنسان؛ أبسطها المسائل الأولية المتعلقة بالصحة الجنسية الشخصية، واعقدها المشكلات الجسمية والاجتماعية والنفسية التي تتعلق من قريب أو بعيد بالسعادة الزوجية

B. Webb ; The Teaching of Children as to the Reproduction of Life : British (١)
Social Hygiene Council .

وحياة الأسرة بوجه عام.

٢- لا يجوز أن يكون هناك دراسات قائمة بذاتها تسمى الدراسات الجنسية، ولا يجوز أن يكون هناك اجزاء من المناهج الدراسية في المدارس أو الكليات تسمى الدراسات الجنسية.

٣- تقدم التربية الجنسية في المدارس ضمن دراسات أو موضوعات أخرى وحيث أن التربية الخلقية الجنسية لا تخرج عن أن تكون جزءا من التربية الصحية أو الخلقية وجب أن يكون التوجيه الجنسي والدراسات الجنسية- المقصود بها تكوين اتجاهات عقلية صحية وعادات طيبة ومثل عليا- جزءا لا يتجزأ من المنهج التعليمي والتربوي العام.

٤- تدل الدراسات السيكولوجية على أن التوجيه الجنسي للإنسان، وتدريب سلوكه الجنسي يجب أن يبنى على اساس الاختيار الذاتي الحر، المبني على الإدراك والمعرفة، ببعنى آخر يجب أن تكون هناك ضوابط ارادية للدوافع والرغبات الغريزية التي تستثيرها أنواع المغريات والمثيرات المحيطة، وتقويها ذكريات الماضي المتراكمة من ايام الطفولة.

٥- ترمي التربية الجنسية إلى اعطاء الناس اسما للضوابط الارادية للسلوك ومن هذه الاسس: احترام الرأي العام المتعلق بالمسائل الجنسية، وتذوق الاداب الجنسية وتقديرها، ومعرفة للنتائج القانونية والاجتماعية والطبية، والشعور بالمسؤولية الشخصية والاجتماعية، وتقليد بعض الاشخاص المثاليين، والتعفف الرقيق المناسب بدلا من الخجل والرعونة اللذين كنا نلاحظهما قديما أو الوقاحة التي نلاحظها الآن، واحترام الأنوثة والرجولة، وتكوين عادات ضبط الذات، ومعرفة العلاقات العامة بين المسائل الجنسية والحياة، واتماء وسائل الترفيه العقلي والجسمي لا كوسائل لاعلاء الغريزة الجنسية، بل كوسائل لإبدالها. والعلم بجزاء

الامتناع والتعفف عند الناشئين، ودراسة الادب الذي يصور الحب في
اسمى الصور وارقاها.

٦- تكل الدلائل على أن الآباء لا يعرفون ان كانت هناك وقاية كافية ضد
معرفة أولادهم للمسائل الجنسية بأسوا الوسائل. فمن المؤكد أن كل طفل
تقريبا سيصل إلى المعلومات الجنسية على اقصى تقدير في السنوات
الأولى من بلوغه من مصادر غير مرغوب فيها، ويترتب على هذا فساد
الصحة، وانحطاط للخلق. والطريق الآمن الوحيد هو خلق اتجاه صحي
في عقل الناشئ بتعليمه بالتدرج، وأولا بأول، كل ما يتعلق بما يخطر
على باله من المشكلات الجنسية.

٧- تجمع التربية الجنسية بين أوجه من التربية الخلقية والتربية الصحية، لذا
لا يمكن اكتمالها بتكثف عناصرها في وقت واحد، فهي عملية تدريجية
بطيئة تشمل العناية الصحية والتوجيه والتعليم وحسن المثال.

وهذا يضع على المنزل جل مسؤولية التربية الجنسية المباشرة في
المراحل السابقة للمراهقة. ولهذا يجب اعداد الآباء، وكل من لهم صلة بالطفل
عن طريق اللشترات، والمحاضرات والمناقشات، ليعدوا أنفسهم لتعليم اللشء
وتوجيههم فيما يختص بالمسائل الجنسية.

وقد عنيت بايراد هذه النقاط بالتفصيل لسبب هام، وهو ما يقع فيه
الكثيرون ممن يقومون بعلاج الشباب علاجاً نفسياً، إذ يوجهونهم أحياناً إلى اتباع
الحرية في ممارسة المسائل الجنسية، مما يترتب عليه الوقوع في مشكلات نفسية
أخرى اعتد بكثير مما كان لديهم.

ومن أمثلة ذلك أن عرض أحد اللشبان نفسه على أحد المعالجن النفسين
فقال له اللقائم بالعلاج- على خلاف ما يتفق مع المبادئ الأولية في العلاج
النفسى- أنه يشكو من كبت في الفريزة الجنسية، وافهمه أن التقاليد والاداب

الجنسية وغير ذلك إنما هي من عمل الإنسان، وليس لها في ذاتها قيمة. حاول الشاب بناء على هذا أن يشبع نزعته الجنسية، ثم كف بعد مدة عن ذلك؛ إذ تولاها الاشمئزاز والتقزز وزيادة الكبت. وكان اتجاهه العقلي أنه كان كشاب صغير لا يمكنه أن يتمتع بحرية جنسية في نظام تقاليدنا الحاضرة إلا مع فتاة منحلة الخلق، وهذا يبعث فيه الاشمئزاز مما زاد اضطرابه في ذلك الوقت، وجعله يتردد بين شدة التدين والانكباب على الاستمئاء، وإيمان شرب الخمر، ووصل به الأمر إلى تعاطي الحشيش وأنواع المكيفات وانصرف عن عمله، وكانت تتناهب حالات شديدة من الانقباض وضيق الصدر وبقية اعراض القلق العصبي.

التربية المختلطة

وقد قامت بعض المدارس بتجارب في التربية الجنسية، ورأي بعض النظار^(١) أن التربية المختلطة وهي تعليم البنين مع البنات ضرورية للتربية الجنسية في جميع مراحل التعليم. فإن كان يراد بالمدرسة أن تكون صورة من المجتمع، فيجب أن تكون صورة حقيقية منه.

وحيث أن البنين والبنات يختلطون في المجتمع، فيجب أن يختلطوا قبل ذلك تحت ظروف المدرسة خاضعين لبعض التوجيه، وفي هذا إشباع لحاجات الأفراد الحالية، واعداد له في الوقت نفسه لمواجهة المواقف المستقبلية.

وترى الدكتورة (هاتون)^(٢) وهي تعتمد على ملاحظاتها القائمة على التحليل النفسي أن التعليم المختلط يزيد عادة من النزعات الاستقلالية للبنات، إذ يحررن من اعتمادهن على أمهاتهن، ويجعلهن كذلك أقل قلقاً، وأكثر هدوءاً. وللتعليم المختلط -في نظرها- اثر طيب في البنين أيضاً، فهو يجعلهم أكثر دقة وحزماً مع أنفسهم. فهي بذلك تؤيد التربية الجنسية في التعليم المختلط من حيث

(١) T. Blewitt : The Modern Schools, Handbook.

(٢) I. Hutton : On Coeducation : British Journal of Medical Psychology Vol . IX

تكوين الاتجاه العقلي العام.

وبلاحظ أن مدى الحرية الممنوحة في التربية للمختلطة يختلف من مدرسة إلى أخرى بدرجة محسوسة. ومن المدارس التي قطعت في الحرية الممنوحة شوطا بعيدا (دار تجنتون هول Dartginton Hall). ويقول ناظرها الأستاذ (كري^(١) Curry): إذا كان الطريق الوحيد للاعداد للحياة في المجتمع هو ممارسة الحياة الاجتماعية، وجب أن تكون البيئة أبعد ما يكون عن الجو الصناعي، ويجب أن يباح للأطفال مواجهة نوع المشكلات التي سيقدر لهم مواجهتها في مستقبل حياتهم.

لهذا وجب جعل التعليم مختلطا، ولكي يجنى تطبيق للتعليم المختلط بأحسن النتائج، يجب أن تزول كل الحواجز الصناعية بين الجنسين، ويعتقد ناظر المدرسة أن اساليب الوقاية والتحفظ التي اقيمت بالمدارس التي تمارس التعليم المختلط تؤدي إلى نفس الاخطار التي يراد تجنبها من اقامة هذه العوائق.

وإذا كان بيدهم السلطة يعتقدون أن اجتماع البنين مع البنات اجتماعا منفردا لابد أن يؤدي إلى أسوأ ما يمكن تصوره من نتائج، فإن سبب ذلك هو أن انفراد البنين بالبنات يصحبه في هذه الحالات جو صناعي ملئ بخوف كل منهما مما عساه يحدث، وبذلك يصير هذا الاجتماع من الخطورة بمكان لهذا كله فإن مدرسة (دار تجنتون) تدير بحيث لا يوجد فيها أي قوانين أو نظم حول علاقة البنين بنوع خاص فالبنون والبنات يعيشون في نفس البيوت (houses) على نظام الأسرة.

وتوجد بين اعضاء هيئة التدريس الذين يعيشون بالفعل معهم وبينهم روح الصداقة العميقة ورفع الكلفة رفعا تاما، مما يضمن وقوف المعلمين على كل ما يمكن أن يحدث، ومما يضمن التوجيه المقبول إذا احتاج إليه الأمر.

Curry : Dartginton Hall : The Modern School School,s Handbook. (١)

ويعترف ناظر المدرسة بأن علاقات الحب في مدرسته المختلطة لا بد من أن تنشأ، لكنه يؤكد أيضا أن التربية الانفعالية الجنسية لا تتم إلا إذا واجهناها أولا في ظروف خاضعة للإرشاد والتوجيه الصحيح.

وهناك مدرسة أخرى وهى مدرسة (سمرهل) وناظرها (نيل)^(١)، وقد قطعت شوطا أبعد من المدرسة السابقة في مدى الحرية التي تمنح للتلاميذ من الجنسين في اختلاطهم وأحاديثهم ونكاتهم. فناظر المدرسة يسمح للكرلاد -إن ارادوا- أن يتحدثوا في المسائل الجنسية علنا وبحرية تامة، حتى يشبعوا منها وتزهدا نفوسهم ويملؤها، ويترك لهم الحرية التامة في اختلاطهم بعضهم مع بعض، ولكنه يستغل الرأي العام في مدرسته، ويستغل قيمة سمعة المدرسة في نظر هذا الرأي العام لتكوين المستويات الخلقية اللازمة لتوجيه سلوك تلاميذه. ومن أمثلة ذلك أنه قبل في مدرسته فتاة وفتى، كل منهما من مدرسة أخرى من المدارس العادية، فتكونت بينهما في الحال صداقة. وبدا ينفرد أحدهما بالآخر بطريقة مثيرة للشبهة فقال لهما الناظر الأستاذ (نيل) إنه من الناحية الخلقية لا يهमे شخصا ما يفعله كل منهما مع الآخر، غير أن سلوكهما هذا سيبيء حتما إلى سمعة المدرسة كلها، وإذا هما أنجبا باختلاطهما هذا طفلا فإن المدرسة لا يمكنها أن تتكفل به (هذا تهكم)، ولكن النتيجة الحتمية الخطيرة في هذه الحالة هي انتهاء حياة هذه المدرسة والقضاء عليها قضاء تاما. واسترسل قائلا لهما أنهما يظنان خطأ أن ما يفعلانه يسمى حرية، وأنهما لحادثة عهديهما بالمدرسة لا يكتان في نفسيهما شعورا بالاخلاص لها. واستمر (نيل) يخاطبهما بهذه اللهجة الحازمة المملوءة بالثورة والغضب مما يدل بطبيعة الحال على أن الحرية في هذه المدرسة ليست كما يظن بعض الناس مطلقة بلا حدود، وإنما يحددها - كما قلنا - الرأي العام في المدرسة. ووصلت للحرية حقيقة في هذه المدرسة إلى درجة

الرقص والسباحة المختلطة للبنين مع البنات. وكانت تسير المدرسة في الظاهر على قاعدة الحرية التامة، ولكن التلاميذ كانوا يضعون دستور المدرسة وقوانينها في ضوء خبراتهم ومشكلاتهم. وكانوا يعملون من هذه القوانين والتعليمات على ضوء ما يستجد من المشكلات. وبذلك جاءت كل قوانينهم ونظمهم عن لفتناع ذاتي تام. ذلك في جميع المسائل صغيرها وكبيرها سواء في ذلك المسائل الجنسية غير ذلك.

والفرق بين مدرسة (نيل) ومدرسة (دار تجنون): أن الأولى أكثر حرية من الثانية، وأن تقاليد المدرسة يضعها المجتمع المدرسي تبعاً للحاجة الطارئة. ومدرسة نيل قوامها الصراحة التامة في المسائل الجنسية، فهي تناقش فيها علناً وبكل صراحة. فلا سر، ولا غموض، ولا استئثار، ولا قداسة. وتكون هذه المدرسة مثالية حقاً لو أن المجتمع له تقاليده ومبادئه الدينية والخلقية، وله قوانينه ومثله ونظمه الثابتة التي يجب أن يخضع لها التلاميذ.

فيجب مع استمتاع التلاميذ بالحرية أن نوجههم إلى تقدير هذه التقاليد، وفهم الحكمة منها. ويعترف (نيل) بأن الناشئين لا يمكنهم أن يضبطوا أنفسهم بغير دين أو أخلاق، ولكنه يريد من التلاميذ أن يكونوا مستويات سلوكهم - كما قلنا- بأنفسهم في المدرسة. وهذه في رأينا مرحلة قد تكون طويلة، ولا نضمن انسجام نتائجها مع المستويات الكائنة فعلاً في المجتمع.

ومن مدارس التعليم المختلط الأكثر تقيداً من المدرستين السابقتين مدرسة (بدالس Bedales) يقول ناظرها: إن الناحية الجنسية وما يجب إزاءها في دوري الطفولة والمراهقة لها مشكلات تظهر في كل مدرسة.

وتظهر هذه المشكلات بنوع خاص في مدارس التعليم المختلط. وإسأس معالجتها الصراحة التامة، وفهم حاجات الطفولة والمراهقة، والعطف على الناشئين إزاء هذه الحاجات. وهو يعطي في مدرسته الدراسات الجنسية ضمن

الدراسات العادية بالمدرسة فهي جزء من التشريع، وجزء من علم الحياة. وفي السنوات الأخيرة من المدرسة تناقش الصحة الشخصية والاجتماعية المرتبطة بالناحية الجنسية. وهذا يكفي في رأي ناظر المدرسة، إذ أنه يعني في المدرسة بالتعبيرات الوجدانية عنانية كافية في التمثيل، والموسيقى، والشعر، والفن التصويري. ويضاف إلى ذلك، الجهد المشترك الذي يقوم به البنون مع البنات في كثير من اعمال المدرسة، وفي الدراسات الاجتماعية، والخدمات الاجتماعية للامر المجاورة للحي الذي به المدرسة. وتدريب التلاميذ على العمل المشترك بين الجنسين يعدوهم الاشتراك في نشاط يهمهما دون أن يشغل ذهنهما بالمسائل الجنسية.

ويرى (لين هاريس)^(١) وهو ناظر لمدرسة ناهضة بإنجلترا اسمها مدرسة (سان كرسفور)، وأن يعلم البنون مع البنات، والا يجبر احد الجنسين على اتباع نظام معين تكون فيه الخواص الجنسية هي الخواص الاساسية. ويراعى فيمن يقومون بالاشراف على بيوت الطلبة أن يكونوا سعداء في حياتهم للزوجية، وأن يشتركوا هم وزوجاتهم في الاشراف الفعلي والسكني مع الطلبة والطالبات. ويرى (لين هاريس) أن إشباع الاستطلاع الجنسي وتوجيهه يجب أن يبدأ في البيت، ويستمر في المدرسة، والا تعطى معلومات صريحة قائمة بذاتها، وإنما تعطى اجزاء متكاملة مع التربية المستمرة خلال الحياة المدرسية، وتعالج المسائل الجنسية بتعاون الآباء والمدرسين، حتى يمكن توحيد وجهات النظر، وضمان استمرار الوجهة الصحيحة. لما للتعليم الجنسي فانه يدخل ضمنا في مشاهد الطبيعة وعلم الحياة وعلم الصحة.

واما (بول روبرتس Paul Raberts) ناظر مدرسة (فرنشام هيتس) وهي من المدارس الحديثة، فانه يتنقد للتعليم المختلط، والتعليم الجنسي، ويمير

(١) Lynn Harris : St . Christopher School : The Modern School,s hand bool



على أساس أن حرية التكلم في المسائل الجنسية، تزهد نفوس التلاميذ فيها. ويرى أن ما يتعلق بالمسائل الجنسية يجب أن يفصل فيه البنون عن البنات، وأن يعطى لمجموعات صغيره، وأن تعطى فيه أحيانا الفرصة للمناقشات الفردية. ويبدو (بول روبرتس) في كل هذا أكثر ميلا إلى اساليب المحافظين من زميليه السابقين (نيل) و (كري).

وتتجه بقية المدارس الحديثة إلى العناية بالمسائل الجنسية عناية كبيرة، ويختلفون اختلافات بسيطة في درجة الحرية المعطاة، أو الاسلوب المستعمل، أو غير ذلك.

نعلم مما تقدم أن التعليم الجنسي على الرغم من عظم اهميته لا يخرج عن كونه جزءا من التربية الجنسية العامة، وقد اتفقت الآراء بين المربين ونظار المدارس الحديثة - كما بينا- على أن تعطى معلومات جنسية كاملة للناشئين على فترات مختلفة في حياتهم، وأن تعطى ضمن علوم أخرى كمشاهد الطبيعة، أو التشويح، أو الصحة أو علم الحياة، أو غير ذلك. تجارب في التعليم الجنسي:

كان المتبع إلى عهد قريب أن يكتفى بأن يدرس الاطفال عمليات التلقيح والتكاثر في النبات، ثم يتركون ليستجوا الباقي بأنفسهم. ويلاحظ أن الاختصار على دراسة النبات أو الاكتفاء بمد هذه الدراسة إلى الاسماك والضفادع عديم الفائدة، بل قد يضر؛ إذ أنه قد يثير مشكلات في ذهن التلميذ لا يمكنه للقوه بها امام معلمه أو ولده.

وقد قام الاستاذ (سمث)^(١) ناظر إحدى مدارس مقاطعة (الينواس) بأمريكا بتجربة في اعطاء دراسات جنسية للتلاميذ، ومن رايه أن تكون الناحية الجنسية جزءا متكاملًا من الدراسة، لا يمكن فصلها عنها، وأن تعالج بطريقة طبيعية كما

تعالج مواد الدراسة الأخرى. فالتلاميذ في السنوات الدراسية الخمس الأولى يقومون في المدرسة بتربية الدواجن والأسماك وغيرها، وملاحظة هذه الكائنات، ومناقشة ما يحدث لها. كل هذا يعطي الطفل فكرة أولية صحيحة عن أصل الحياة، وفكرة التكاثر، وفكرة الأمر عند الحيوان، وغير ذلك. وفي السنوات الدراسية السادسة والسابعة يتعلم التلاميذ بطريقة منظمة كثيرا من أجزاء الحيوان، ووظائفها ويدخل ضمن هذه الدراسات الجهاز الهضمي، والتنفسي، مع الموازنة دائما بين الإنسان والحيوان. وفي السنة الدراسية الثامنة يتعمق التلاميذ في علوم الحياة أكثر من ذي قبل، ويقومون بالتشريح العلمي. وفي السنة التاسعة ينتقل التلاميذ إلى دراسة الاجنة، ودراسة التطور، وبذلك يستعملون المعلومات المتعلقة بالتشريح والوظائف والعمليات الجنسية.

وبعد ذلك -أي عندما يكون التلاميذ في سن السادسة عشرة تقريبا- يدرسون شيئا عن الصحة الجنسية الفردية، والصحة الجنسية الاجتماعية، والتقاليد والآداب المتعلقة بالناحية الجنسية، فيدرسون البغاء، والإنتاج غير الشرعي، والأمراض التناسلية وغير ذلك. ثم ينتقلون بعد ذلك إلى الجامعة مزودين بالكفاية من التربية الجنسية، التي تتوقف إلى حد كبير على نوع جيد من التعليم الجنسي.

وينفصل البنون عن البنات في بعض الدروس في هذه المدرسة من السنة الدراسية الثامنة، أي بالتقريب من ١٣ إلى ١٨.

وقد قام اثنتان^(١) من الباحثين في (ويلز) بإجراء تجربة تعليمية في التربية الجنسية في المدارس، بدأت سنة ١٩٢٩ بعد موافقة السلطات التعليمية المحلية عليها. وهي تعتبر من التجارب الفريدة في نوعها من هذه الناحية، ومن حيث الروح العلمية التي أجريت بها، واتساع نطاق إجرائها في المدارس الأولية

Tucker and Pout : Sex Education in Schools (١)



المختلفة. وقد وصل عدد هذه المدارس إلى ٩٣ مدرسة، ووصل عدد التلاميذ الذين خضعوا للتجربة إلى ١٦ ألف تلميذ تقريباً. وقد بدأت التجربة بعمل استفتاء للآباء، وعقد المؤتمرات لهم. وكانت نتيجة هذا أن وافق ٩٣ % من الآباء على أن تقوم المدرسة بواجب التربية الجنسية، وأما الذين لم يوافقوا على ذلك ونسبتم ٧ % فبعضهم يرى أن يقوم الوالدان بهذا الواجب، وبعضهم يرى وجوب عدم التعرض للمسائل الجنسية إطلاقاً. وفريق يرفض التعرض لها في المنزل أو في المدرسة على أساس يرى هو أنها دينية. وفريق رابع للتمسك للصمت ولم يبد سبباً ما. ويعتقد القائمون بالتجربة والمدرسون الذين ساعدوهم في إجرائها، أن الحياة الجنسية الخاصة لهذا الفريق الرابع من الآباء محرمة إلى حد أنهم لا يتعرضون لبدء أي سبب، ويحتمل أن يكون لديهم كبت شديد خاص بالمسائل الجنسية.

وبعد فحص ردود فعل الآباء وافقت السلطات المحلية على بدء التجربة، وهي إعطاء احاديث بالفصول الدراسية تبدأ بحديث عن الصحة الجنسية والنمو، وحديث أولي بسيط عن اثر التفكير في السلوك، ثم الانتقال إلى الغدد وشرح قيمتها في النشاط والنمو بوجه عام مع تبسيط كبير.

فشرحوا الغدة الدرقية، والنخامية، والغدتين فوق الكلوتين، والغدة الجنسية. وبنفس الطريقة العلمية الهادئة التي شرحوا بها وظائف الغدد، انتقلوا إلى شرح الوظائف الجنسية الثانوية للغدد التناسلية مع التكميل عن التشريح التناسلي، وتناولوا بعض القواعد الصحية العامة التي تتناول وجوب لبس الملابس الواسعة التي لا تضغط على هذه الغدد، ووجوب النظافة المستمرة حتى لا تهيج هذه الغدد، وغير ذلك. واحاديث البنين تختلف عن احاديث البنات، وتعطى لكل فريق على حدة، ويقوم رجل بإعطاء احاديث البنين وسيدة بإعطاء الاحاديث الأخرى. بعد هذا تبدأ احاديث في علم الحياة متعلقة بالتكاثر والتلقيح والنبات. وما فيه من الاعضاء التشريحية التي تقوم بهذه الوظائف، كالبيض، والقلم،



والمبيض، والبويضات، وحبوب اللقاح. ثم يحدث الانتقال بعد ذلك إلى تكاثر الاسماك، وبعض مظاهر الحماية والوقاية التي يقوم بها السمك الكبير نحو صغاره حتى يكبر، ويستقل في حياته. ثم ينتقلون بعد ذلك إلى الطيور ثم الحيوانات الثديية، ثم الإنسان. ويبين في هذه الأنواع الأخيرة نمو الجنين داخل الرحم الذي يشبه في وظيفته للمبيض في النبات. ويسمون الرحم بالبعش (Nest) لأنه شبيه بعش الطير الذي يحفظ فيه البيض إلى أن يفقس. أما الحديث في حالة النبات فانه يضاف إليه شيء عن العادة الشهرية، ودلائلها، وجوب العناية الصحية لזاءها.

ويشار في الاحاديث التالية لذلك، إلى أهمية الذكر في الإنسان، وطريقة وضعه للخلايا الذكرية داخل الرحم، حيث يقابل الحيوان المنوي البويضة الأنثوية ويتم التلقيح ويبدأ النمو، ويشار إلى بعض القواعد الصحية الواجب مراعاتها في أثناء الحمل حتى ينمو الجنين نموا حسنا^(١).

ومن أهم الاحاديث ما يلي ذلك عن التقاليد الجنسية، وجوب مراعاتها، والحكمة في ذلك.. إلى غير هذا.

وكانت تتخلل هذه الاحاديث اسئلة يلقبها الاطفال على القائمين بالتجربة حول هذه المسائل، ومن امثلة الاسئلة المتعلقة بموضوعنا ما يأتي:

- أخرج الجنين من السرة ام من مجرى البول؟
- لماذا بعض النساء يلدن وبعضهن الآخر لا يلدن ؟
- لماذا يولد بعض الاطفال ميتا ؟
- هل يمكن أن تلد المرأة مهما كانت عجوزا ؟
- هل يمكن أن تلد للمرأة دون أن تتزوج ؟
- ما وظيفة الوالد في إنتاج الأولاد ؟ وما الذي يفعله بالضبط لذلك ؟

(١) (١١٠) P. Tucker and Pout (Ibid)

- لماذا لا يلد الاطفال ؟

وبعد انتهاء التجربة وجه أصحابها إلى معلمي المدارس التي اجروا بها تجاربهم استفتاء لاستيضاح رأيهم في التجربة. وكان اكثر من ٩٠% من المعلمين يؤيد التجربة بالطريقة الجمعية التي أجريت بها. كما يؤيد ترتيب الاحاديث وتسلسلها، وكذلك فكرة قيام اختصاصي من خارج المدارس -لا من اعضاء هيئة التدريس- بإعطائها. ومما لا شك فيه أن نجاح التجربة يرجع بعضه إلى مهارة القائمين بها، وبعض صفاتهم الشخصية الخاصة. وهذا ينطبق على كل نوع من أنواع التربية والتعليم.

بل على كل عمل فني من هذا النوع. ويرجع نجاح التجربة ايضا إلى موقف القائمين بها ازاء المسائل الجنسية، والاتجاه العقلي العلمي الهادئ الذي يمكنهم من مواجهة التلاميذ به.

ويرجع ايضا إلى نوع المصطلحات والألفاظ التي استعملوها. وهذا كله لا يعفينا من أن نتذكر دائما وجوب مراعاة الفروق الفردية في السن والمزاج والتربية الأولى، والنظرة الاجتماعية العامة إلى الموضوع، ونظرة البيئة الخاصة اليه وغير ذلك.

ويقول وليام براون (W.Brown) تعليقا على هذه التجربة: ان احسن من يقوم بالتربية الجنسية للوالدان، ولكن حيث أن غالب الآباء يعوزهم الوقت والرغبة والمعرفة الجنسية والمزاج للخاص، وجب للنظر فيما يمكن في المدرسة للوصول إلى التربية الجنسية اللازمة.

ويلاحظ أننا لم نشر في هذا الباب إلى التربية الجنسية في مصر، وكيف يجب أن تكون، ولكننا اقتصرنا على ما يعمل في الخارج، حتى يتبين ما يمكن عمله عندنا مع مراعاة ظروفنا وتقاليدنا الاجتماعية، ولكن على أي حال يمكننا أن نلمس في الفصلين السابقين أهمية المشكلة ومدى انتشارها وتغلغلها.



وندرک كذلك الحاجة الملحة إلى وجوب العمل من جانب القائمين بأمر
التعليم في هذا الاتجاه الجديد.

المصادر والمراجع

- ١- سيكولوجية نمو الطفل، عبد الحميد، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٨.
- ٢- مشاكل النمو عند الطفل، عبد الفتاح جمعة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٥.
- ٣- علم النفس للتربوي، احمد زكي صالح، مكتبة النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٥.
- ٤- الطفل العاجز، ترجمة زينب بدران، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٢.
- ٥- مشكلات علم النفس، عبد السلام عبد الغفار، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٠.
- ٦- اختبارات القدرة على التفكير الابتكاري، جابر عبد الحميد، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٧.
- ٧- سيكولوجية الطفل، عماد عبد الواحد، دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٨.
- ٨- سيكولوجية الاطفال غير العاديين، محمد عدنان، صحيفة التربية، القاهرة ١٩٩١.
- ٩- سيكولوجية الفروق الفردية، يوسف الشيخ، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٠.
- ١٠- موسوعتك في تربية طفلك من الولادة حتى المراهقة د. ديفيد كين، الاهلية، ٢٠٠٠.



- ١١- نمو الاطفال والاولاد منذ الولادة حتى انتهاء البلوغ، د. عبد الحسن، الدار العربية للعلوم، ١٩٩٩.
- ١٢- الصحة النفسية للطفل من الميلاد وحتى ١٢ سنة، د. حاتم محمد ادم، مؤسسة اقرأ، ٢٠٠١.
- ١٣- دليلك الكامل للعناية بالطفل والمراهق، د. كريستين لاند، الاهلية، ٢٠٠٣.
- ١٤- تغذية الطفل منذ الولادة وحتى سن البلوغ، عبد الله محمد، الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٠.
- ١٥- اسس الصحة النفسية للطفل، عمر سرحان، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٧.
- ١٦- أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، كتاب عقائد واداب واخلاق وعبادات ومعاملات، القاهرة، مكتبة الدعوة الاسلامية، شباب الازهر، ١٩٦٤.
- ١٧- حمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت لبنان: مكتبة لبنان ١٩٨٦.
- ١٨- اسعد رزوق، موسوعة علم النفس، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٧.
- ١٩- السيد محمد خيرى، الاحصاء في البحوث النفسية والاجتماعية والتربوية، دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة، ١٩٥٧.
- ٢٠- صالح عبد العزيز، عبد العزيز عبد المجيد، للتربية وطرق التدريس، ط١٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢.
- ٢١- عبد الرحمن العيسوي، الارشاد النفسي دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ١٩٨٦.



- ٢٢- عبد الرحمن العيسوي، العلاج النفسي، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ١٩٩٤.
- ٢٣- عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية الجنوح، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية، الاسكندرية، ١٩٨٤.
- ٢٤- عبد الرحمن العيسوي، علم النفس والتنمية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤.
- ٢٥- عبد الرحمن العيسوي، علم النفس الاسري، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، دار النهضة العربية لبنا، بيروت ١٩٩٤.
- ٢٦- عبد الرحمن العيسوي، الاسلام والعلاج النفسي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٥.
- ٢٧- عبد الرحمن العيسوي، الارشاد النفسي، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ١٩٨٨.
- ٢٨- عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية للتنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ١٩٨٩.
- ٢٩- عبد المنعم الحفني، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٧٨.
- ٣٠- عكاشة عبد المنان الطيب، الزوج المثالي، مكتبة التراث الاسلامي، القاهرة ١٩٩٣.
- ٣١- كمال الدسوقي، تعريفات مصطلحات اعلام علوم النفس، ط، القاهرة، مؤسسة الاهرام.
- ٣٢- مغازي علي محجوب، عكاشة عبد المنان الطيب، الزوج المثالي، مكتبة التراث الاسلامي، القاهرة، ١٩٩٣.
- ٣٣- دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ١٩٨٦.



٣٤- وهبي سليمان غاوجي، المرأة المسلمة ط. بيروت ، لبنان، دار القلم
بيروت، لبنان ١٩٧٥.

٣٥- يحيى بن شرف الدين النووي، مختصر رياض الصالحين، دار
القلم، بيروت، لبنان.

فهرس

المقدمة.....	٣
اولاً: المشكلات المتعلقة بالتغذية.....	٥
حالات.....	٦
أنواع المشكلات وطرق تحديدها.....	٨
كيف ندرس مشكلات التغذية ؟.....	١٠
البطء في تناول الطعام.....	١٣
موقف الآباء وما يترتب عليه.....	١٣
الشره.....	١٧
ثانياً: المشكلات المتعلقة بالنوم.....	٢٠
بعض المشكلات العادية.....	٢٦
التقلب والمشي والكلام في أثناء النوم.....	٣٠
التبول اللاإرادي.....	٣٢
الأسباب الجسمانية وعلاجها.....	٣٣
مصاحبات التبول.....	٤٠
العلاج والوقاية.....	٤٢
ثالثاً: المشكلات العصبية والنفسية.....	٤٩
للعصبية العامة وانعدام الاستقرار.....	٤٩
مص الأصابع.....	٥٥
قرص الأظافر.....	٥٨



- ٥٩..... رابعاً: اللزمات العصبية: (Tics)
- ٦٢..... صعوبات النطق
- ٧١..... التشخيص والعلاج
- ٧٣..... عوامل ظهور صعوبات النطق
- ٧٤..... مصاحبات التهتهة
- ٧٧..... علاج التهتهة
- ٧٩..... الخوف وضعف الثقة بالنفس
- ٨٢..... أنواع المخاوف
- ٨٣..... مخاوف الأطفال ومصادر تكوينها
- ٨٩..... الخوف من الموت
- ٩١..... الخوف من الظلام
- ٩٢..... القلق والخوف العام
- ٩٤..... ضعف الثقة بالنفس
- ٩٤..... الثقة عند الطفل الصغير
- ٩٦..... بعض العوامل الطبيعية للشعور بالنقص
- ٩٨..... أثر الموازنات
- ١٠٠..... اعتماد الطفل على نفسه وعلى غيره
- ١٠٦..... خامساً: الكذب
- ١٠٨..... الكذب الخيالي Imaginative ore playful
- ١٠٩..... الكذب الاتبايسي (Confessional Lie) :
- ١١٠..... الكذب الانتقامي



الكذب الدفاعي.....	١١٠
كذب التقليد.....	١١٣
للکذب المرضي أو المزمن (Pathological Lie or Mythomania)	١١٤
بعض القواعد العامة.....	١١٦
السرقه.....	١١٩
حالة في السرقة.....	١١٩
حالة أخرى في السرقة.....	١٢١
السرقه والاستعداد لها.....	١٢٢
الشعور بالملكية وإنماؤه.....	١٢٣
الدوافع للسرقة.....	١٢٦
دراسة حالة السرقة.....	١٣١
بعض القواعد العامة.....	١٣٢
الميل إلى الاعتداء والتشاجر ونوبات الغضب.....	١٣٣
دراسة حالات.....	١٣٧
حالة في نوبات الغضب في سن الخامسة.....	١٤٠
حالة غضب ومعاودة لتلميذ في المانسة عشرة:.....	١٤١
أسباب الغضب في الحالات الشاذة.....	١٤٢
مشاجرات الاخوة.....	١٤٧
التخريب.....	١٥٢
بعض الظروف التي تعارض ميل الطفل إلى اللعب.....	١٥٧
التكمير وعقاب الذات.....	١٦٣



- ١٦٤ الغيرة
- ١٦٤ معنى الغيرة
- ١٦٦ الغيرة والثقة
- ١٦٧ كيف تنشأ الغيرة
- ١٧٢ الغيرة عند الطفل الوحيد
- ١٧٣ الغيرة من المولود
- ١٧٦ سادسا: التأخر الدراسي
- ١٧٧ تحديد معنى التأخر الدراسي
- ١٨٠ بعض الحالات في التأخر الدراسي
- ١٨١ طريقة بحث حالات التأخر الدراسي
- ١٨٣ مصاحبات التأخر الدراسي
- ١٨٤ سابعا: المشكلات الجنسية
- ١٨٦ بعض الحالات
- ١٩١ الاستمضاء
- ١٩٥ تلخيص المشكلات الجنسية واسبابها
- ١٩٧ للتربية الجنسية
- ١٩٩ موقف الطفل من المسائل الجنسية
- ٢٠١ موقف الآباء من الاطفال في المسائل الجنسية
- ٢٠٣ التربية الجنسية للآباء
- ٢٠٥ قواعد عامة للتربية الجنسية
- ٢٠٨ بعض المحاولات في التربية الجنسية



٢١٢..... التربية المختلطة

٢٢٣..... المصادر والمراجع

٢٢٧..... الفهرس



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

للطفـل والمراهق النفسية

دار اسامة للنفس
دار المشرفة

الأردن - عمان

هاتف/ فاكس: 00962 36382533 فاكس: 00962 36382513

البريد الإلكتروني: info@asama.ps